شعر شوقى فى المناسبات
فى ميـــزان النقــد

دكتور
طلعت صبح السيد

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد تعمق النقاد نفوس الشعراء المحافظين للبحث عما إذا كانت عواطفهم صادقة أم لا ؟ وجرد بعضهم كثيرا منهم من صدق العاطفة ، لأن ماينظمونه ليس تلبية لمشاعرهم وأحاسيسهم ، ولكنه تلبية لمطالب جماهيرية، ومجاراة لأوضاع سياسية واجتماعية معينة، فلم تكد تمر مناسبة من المناسبات إلا ولهؤلاء الشعراء فيها قصائد عديدة يسجلونها ويتغنون بها.

ونحن إذا قلبنا دواوين كثير من الشعراء الذين عاشوا قبل شوقي، أو الذين عاصروه أو جاءوا بعده ، فإننا لن نجد لأحدهم هذه الكثرة الكثيرة من شعر المناسبات كما كان الحال عنده ، فلم تكن تفوته حادثة بارزة دون أن يسجلها، وقد غلبت حوادث العصر على نوازع نفسه ، ودفعته مكانته الأدبية التى حصل عليها إلى أن يوغل فى الأحداث السياسية والوطنية، وأن يرصد الأحداث اليومية حتى كاد يمتلك شعر المناسبات ، وكأن هذه الأحداث هى التى وجهت عبقريته إلى نظم الشعر ، ومن هنا كان اتهام النقاد له بأنه " شاعر مناسبات " وأنه يسير فى رصد الأحداث رصد الصحافة لها.

ولعل هذا الجانب من شعر شوقى هو الذى جعل كثيرا من الأدباء والنقاد يختلفون حول شعره اختلافا بينا، وهو نفسه الذى جعل بعض النقاد من دعاة التجربة الوجدانية يشنون عليه حربا شعواء ويرفضون شعره بحجة أن أكثر مايدور عليه هو مايتعلق

بالأشخاص من مدح ورثاء ، أو بالحوادث من مناسبات سياسية ووطنية ، وأنه لاشخصية له فى شعره ، يجهد المرء نفسه فى العثور على ملامحه الخاصة فلايعود بطائل .

وكم كنت أعجب حين أرى كثيرا من هؤلاء النقاد يحاولون النيل من شوقى ، ويزداد عجبى حين أرى بعضهم ينكر كل ماله من ميزة وفضل ، ويرى أن إنتاجه الضخم لا علاقة له بالشعر ، لأنه فى نظرهم خرج عن مألوف مقاييسهم ، وليس إلا صدى لبعض شعراء العربية الأوائل .

والحق أن هناك ألوانا من الدراسات النقدية المتعددة تناولت الشاعر وشعره فى شئ من التفصيل ، ويضيق المجال هنا عن حصر هذه الدرسات، إذ لاتزال أقلام النقاد والدارسين تجرى فى الكتابة عنه، أو فى المفاضلة بينه وبين غيره من الشعراء .

ولا عجب فشخصية شوقى من حيث هى سيرة فذة تستوجب موالاة البحث فى تراثه الشعرى الضخم الذى أغنى به شعرنا العربى الحديث ، ونحن لا نبالغ فى شئ إذا قلنا إن حديث النقاد عن شوقى سيظل - كما هو حال المتنبى - قيمة باقية فى الشعر العربى لاتنفد أبدا .

ومع كثرة هذه الدراسات فإن المتتبع لها سوف يرى أنها تواكبت فى معظمها حول شعر شوقى ، تدرسه وتحدد ملامحه ، وتتبين خصائصه ومظاهره الفنية، وترصد مدى تأثر شوقى بالشعراء أو تأثيره فيهم .

ومن الجلى أننا لم نعثر بين كل هذه الدراسات على دراسة مستقلة تدور حول شعر شوقى فى المناسبات .

غير أن أقوى دراسة تتصل بهذا الموضوع إنما هو كتاب الدكتور شوقى ضيف " شوقى شاعر العصر الحديث " . وقد تعرض الدكتور فى صفحات محدودة منه لشعر المناسبات ، ولانكون مغالين إذا قلنا إن هذه الصفحات مع مافيها من تقويم دقيق، ليست دراسة وافية مستقصية لهذا اللون من الشعر ، والمؤلف وإن عنى فيها عناية ظاهرة بموضوعات شعر شوقى، وبالمناسبات التي استهدفها وصاغ فيها أشعاره ، فإن هذه العناية لم تقترن عنده بدراسة فنية وافية للأداء الشعرى ، وماتحقق فيه من مقومات خاصة.

وكل ما كان للدكتور شوقى ضيف من شاغل فى هذه الصفحات إنما هو الوقوف عند المناسبات المختلفة التى أثرت فى صناعة شوقى ، وإثبات أن نظمه لهذا اللون من الشعر إنما كان سببا مهما من أسباب اتصاله بالجماهير ومخاطبتها، ومع كل هذا فالدراسة لم تتسع لتقويم شعر شوقى فى المناسبات ، ولما سرى فيه من أفكار، وماطرأ عليه من تطور وتجديد .

ومن الإنصاف أن نقول إن هذا هو السبب الذى دفعنى لأن أختار هذا المجال موضوعا لدراستى ، ومجالا لبحثى . فلا ينكر أحد أن نبع شوقى الشعرى متسع بعيد الغور، وأن شعره مجال

خصب ممتع، يجد الناقد فيه أدوات الشاعر الموهوب ، من رهافة حس ، وسعة خيال، وقدرة على التعبير ، وما إلى ذلك.

هذا وقد اتجهت في دراستي نحو هذا الشعر ، وأخذت أدرسه، وأحدد ملامحه ، وأبرز الفلسفة التي تكمن خلف وفرة إنتاج شوقي منه، وهي فلسفة يمدها الاتصال الوثيق بالحياة ، كما يمدها تصوير شوقي لواقع الحياة تصويرا ينبع من معايشة وفهم ، وفق رؤية فنية معينة ، ووفق قواعد الفن وأصوله .

ولعل الله يمكنني من التصدي لهذه الدراسة فأنصف الشاعر ممن تجنوا عليه . وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية، وإنصافا للبحث العلمي لن أتعجل القول بنقيض التهمة التي وجهت لشوقي أو بتأييدها، ولكني سأدرس البواعث والملابسات التي جعلت الشاعر يتجه هذه الوجهة، وأنظر في ضوئها إلى شعره لأرى مافي هذا الاتهام من صدق ، أو مجافاة للحقيقة ، وعلى أساس ذلك يكون الحكم النهائي عليه.

والحق أنني لم أغفل الفترة الزمنية الخطيرة التي عاشها شوقي، وماتسمت به، وما كان يحيطه من قضايا سياسية أو وطنية ، أو اجتماعية ، وغير هذا وذاك من المواقف التي أثرت في نفسه تأثيرا بين،وانعكست في شعّره بألوانها المختلفة أيما انعكاس.

ولست أبتغي من وراء دراستي هذه أن أكتب ترجمة لشوقي، أو أن أصف فنه، كما أنه ليس من هدفي أن أرصد موضوعات شعره في المناسبات على سبيل الحصر والاستقصاء ، وإنما أردت أن

أقدم دراسة نقدية من خلال نماذج من شعره تلقى الأضواء على سائر شعره فى المناسبات ، وهى نماذج تبين إلى أى مدى تحتوى القصيدة من قصائده على ملامح يمكن أن تكشف بعض الجوانب فى شخصية شوقى، وصورة المجتمع والعصر من حوله ، كما تبين فى الوقت نفسه مازخر به شعر شوقى فى المناسبات من تجارب واعية ، ومشاعر صادقة، وأفكار نابضة ، وأنه لم يخل من نظرات وتأملات فى الحياة وماوراءها.

ولقد تقاضانا المنهج العلمى أن نبدأ الدراسة بمدخل تمهيدى، نتحدث فيه حديثا موجزا عن حياة شوقى ، ومايتصل بها من حقائق، وأن نعرض لمفهوم شعر المناسبات ، ونتعرف على شعر المناسبات قبل شوقى ، ونلقى الضوء على البواعث والملابسات التى دفعت الشاعر للإكثار من النظم فى هذا اللون من الشعر .

وفى رأيى أن التعرف على هذه الموضوعات ضرورى وهام لكل من يتصدى لبحث موضوع كهذا ، أو حتى موضوع يتناول جانبا من شعر المناسبات .

وبعد هذا المدخل التمهيدى بدأت الدراسة الفعلية التى يتناولها البحث، وهى ثلاثة أبواب :

خصصت الباب الأول للحديث عن موضوعات شعر المناسبات وموقف النقاد . وقد حاولت فى الفصل الأول أن أحدد موضوعات شعر المناسبات، من خلال التعرف على المناسبات الذاتية والمناسبات الغيرية.

ولم أقتصر على دراسة موضوعات شعر المناسبات الغيرية من الوجهة الفنية فحسب ، بل إننى سأنظر فيها من حيث تأثرها بأحوال البيئة والمجتمع، وسأحرص على إطالة الوقوف عند القصائد المختارة التى تمثل أدوارا فاصلة ومواقف حاسمة للأحداث التى واجهت الشاعر، إذ لايصعب على الباحث أن يجد فى الديوان من أمثال هذه القصائد مايتجاوز العشرات .

أما الفصل الثانى من هذا الباب فقد جعلته لتحديد المحاولات النقدية التى وجهت لشعر شوقى فى المناسبات، والخطوط البارزة فى هذا النقد .

وقد درست موقف العقاد ، وبينت أنه قد استأثر بالنصيب الأوفى من هذا النقد، ومن هنا كان دافعى وحرصى على مناقشة مقاييسه النقدية ، وتخليصها من النواحى الشخصية التى تتسم بها أحيانا كثيرة ، مما يحول دون وقوف القارئ لها على أصالة العقاد فى النقد ، وقد التزمت الحيدة العلمية والإنصاف لشوقى، أو للعقاد بأقصى ماوسعنى الجهد ، كما سيرى القارئ فى تضاعيف هذه الدراسة.

ولم يفتنى أن أتبع ذلك بذكر آراء نقدية أخرى لهذا الشعر، وقد ناقشت هذه الآراء ، وأوضحت مبلغ تأثر كثير من أصحابها بآراء الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين فى نظرتهما إلى وحدة العمل الأدبى ، وأهدافه، وغاياته، ومقوماته الفنية.

وقد حرصت على تقويم النتائج التى استخلصتها من دراستى لشعر المناسبات ، وآراء النقاد فيه ، فدرست فى الباب الثانى المناسبات بين التجديد والتقليد.

واعتمدت فى هذا الباب على النقد التحليلى التطبيقى ، الذى يعتمد كل الاعتماد على النص الأدبى ، دون أن أغفل أثر الملابسات المحيطة من ظروف وتكوينات خارجية وداخلية، لإيمانى أن العمل الفنى مهما كان حاله لايستطيع أن يعيش بمعزل عن مؤثرات واقعه وذاته .

وقد حاولت فى الفصل الأول من هذا الباب ، أن أستخلص مجموعة من القيم ، جعلتنا نعجب بشوقى ، وبماراده فى شعر المناسبات من آفاق جديدة لم يسبق إليها فى ميدان الشعر العربى .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب قمت بدراسة نقدية لشعر شوقى التقليدى فى المناسبات، وبينت كيف حال هذا الشعر دون وقوف قارئه على أصالة شوقى ، وفلسفته ، ومقوماته الفنية بصورة مكتملة ، ثم كيف كان هذا الشعر خاصة المدخل الحقيقى لتصدى النقاد لشعر شوقى والطعن فيه.

وفى الباب الثالث والأخير تحدثت عن العوامل التى كانت وراء تفوق شوقى فى مناسباته، وجعلتها فى ثلاثة فصول .

استعرضت فى الفصل الأول المواءمة بين دواعى الفن وضرورات العصر، وخصصت الفصل الثانى لفنية شوقى، أما الفصل الثالث فقد جعلته خاصا بالحديث عن غيرة شوقى على شعره.

وقد عنيت فى هذه الدراسة بأن أوضح أن معظم شعر شوقى فى المناسبات يقوم على أساس فنى لايقضى على ذاتيته ، ولايتحكم فى أصالته ، حتى غدا - بماله من خطر فى تصوير النفوس ، وفى توجيه الوعى القومى والإنسانى - يمثل النهضة الشعرية فى الثلث الأول من القرن العشرين.

هذه هى دراستى فى خطوطها العامة ، وقد أفدت فيها من كل ماكتب حول هذا الموضوع من قريب أو من بعيد .

وقد اقتضتنى أن أعقد بعض الموازنات بين شوقى وشعراء عصره فى مصر، وبخاصة أولئك الذين كانوا يتجاوبون معه بشعر الحوادث والمناسبات، وعلى رأسهم الشاعر حافظ إبراهيم ، الذى شغل الناس هو وشوقى فترة طويلة من الزمان ، فلا يذكر شوقى إلا ويذكر معه حافظ ، ولايذكر حافظ إلا ويذكر معه شوقى . ولم يمنعنى كلفى بشعر شوقى من أن أتحرى الحق فى كل هذه الموازنات.

ومع مابذلته من جهد متواضع فى هذا البحث، لا أستطيع أن أقول إننى بلغت فيه حد الكمال، وكل ماأرجوه أن يكون محاولة تتبعها محاولات، وأملى أن أكون قد وفقت فى بعض ما إليه قصدت .

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل ..

المنصورة فى رجب ١٤١٢ هـ / يناير ١٩٩٢م

الدكتور
طلعت صبح السيد

مدخل تمهيدى للدراسة

مدخل لدراسة احمد شوقى
وشعر المناسبات

سأحاول فى هذا الفصل أن أعطى تصورا عاما مختصرا لأحمد شوقى وشعر المناسبات، من خلال تناولى لحياة شوقى ، ومفهوم شعر المناسبات ، ثم أتناول شعر المناسبات قبل شوقى ، لأتحدث بعده عن بواعث هذا الشعر.

أولا : حياة شوقى :

إن من يراجع حياة شوقى كما دونها المؤرخون يتبين له أنها قد مرت بخمس مراحل وهى كما يلى:

المرحلة الأولى : نشأته حتى سفره إلى باريس وذلك من مولده[١] إلى عام ١٨٨٨م.

---

(١) قيل إن شوقى ولد عام ١٨٦٨م (مجلة الهلال عدد أكتوبر عام ١٩٨٢م ص ٧٦) وقيل إنه ولد عام ١٨٦٩م (الأدب العربى المعاصر فى مصر، للدكتور شوقى ضيف ص ١١٠ دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٦م)، وقيل إن تاريخ ميلاده كان عام ١٨٧٠م كما يتبين من الوثائق الرسمية وكما هو واضح من شهادة الليسانس التى نالها من جامعة باريس (انظر مجلة الهلال عدد اكتوبر ١٩٨٢م ص ٧٦، وانظر كذلك وطنية شوقى ، للدكتور أحمد الحوفى ص ١٢٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٧٨م).

المرحلة الثانية: سنوات إقامته فى فرنسا لدراسة الحقوق، وذلك من عام ١٨٨٨ م إلى عام ١٨٩١ م .

المرحلة الثالثة : سنوات نشأته فى ظل العرش الخديوى ، من عام ١٨٩٢م إلى عام ١٩١٤م.

المرحلة الرابعة : سنوات نفيه إلى أسبانيا من عام ١٩١٥م حتى عام ١٩١٩م.

المرحلة الخامسة: مرحلة مابعد النفى من عام ١٩٢٠م حتى عام ١٩٣٢م.

المرحلة الأولى :

وهى تشمل مولد شوقى فى مهد من مهاد الترف والثراء، ونشأته فى بيئته الأرستقراطية [١]حيث الغنى والثروة ، والترف ، والنعيم، ثم تعلمه مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب الشيخ صالح بحى السيدة زينب بالقاهرة وهو فى الرابعة من عمره، وانتقاله إلى مدرسة المبتديان ، فالمدرسة التجهيزية (الثانوية) وإظهاره نبوغا وتفوقا، ثم تخرجه من هذه المدارس وعمره خمس عشرة سنة ، والتحاقه بمدرسة الحقوق ليدرس القانون عام ١٨٨٥م ويقضى بها سنتين، ثم تحوله إلى قسم الترجمة، وحصوله على الشهادة النهائية فى الترجمة عام ١٨٨٧م.

---

(١) يلاحظ شوقى شاعر العصر الحديث ، للدكتور شوقى ضيف ص ١١ دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م.

وفى أثناء هذه الفترة كان شوقى يتبادل الأحاديث الأدبية مع أستاذه فى العربية الشاعر الشيخ محمد البسيونى ، وآنذاك أخذ ينبوع الشعر يتفجر على لسانه ، مما أدخل العجب على الشيخ البسيونى الذى كان يجيد نظم الشعر .

ثم تتلمذ على الشيخ حسين المرصفى ، وعليه قرأ كتاب (الكشكول) لبهاء الدين العاملى، وديوان الشاعر المصرى بهاء الدين زهير (١) ، وكانت لشخصية المرصفى آثار كبيرة فى شاعرية شوقى (٢).

كما تتلمذ سنتين لحفنى بك ناصف (٣) ، وقد تتلمذ كذلك على الشاعر إسماعيل صبرى ، وكان لايرى أستاذا له غيره (٤)، وكان فى صدر شبابه كلما قرض قصيدة أو نظم مقطوعة من الشعر عرضها عليه (٥).

---

(١) شخصيات فى حياة شوقى ، للأستاذ عبد المنعم شميس ، سلسلة اقرأ (دار المعارف) عدد ٤٥٠ أكتوبر ١٩٧٩م ص ٤٢.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٤٨ ، ٤٩.

(٣) المصدر السابق ص ٤٣.

(٤) أضواء على حياة الأدباء المعاصرين ، للأستاذ أنور الجندى : ٣/ ٢١. دار الأعلام للطبع والنشر القاهرة ١٩٥٥م.

(٥) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٨٨ . دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة ١٩٧٤م.

ولشوقى في هذه المرحلة بعض الأشعار [١] هى فى الغالب انعكاس لتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية، وهى تدل على موهبة شعرية مبكرة، وكان الخديوى توفيق معجبا به وبشعره الذى ينشره وهو طالب ، وقد مدحه شوقى بأشعار له وهو طالب عام ١٨٨٨م ، ولذلك عينه بالقصر، ثم اختاره ليكون مبعوثا إلى فرنسا لإتمام دراسته فى الحقوق والآداب .

المرحلة الثانية:

وهى تشمل أربع سنوات متتالية [٢] قضاها فى فرنسا لمتابعة دروسه فى الحقوق، تلك التى درس فى مصر طرفا منها بمدرسة الحقوق قبل أن يتحول إلى قسم الترجمة .

والذى لاشك فيه أن إقامة شوقى فى فرنسا، وحذقه للفرنسية ، ورحلاته مع زملائه من الطلبة إلى إنجلترا لقضاء أكثر أيام العطلة بها، قد جعلته يتأثر بالحياة الأوربية ، ويتصفح معالم الحضارة الأوربية، ويطلع على آراء علماء القانون والاجتماع والسياسة فى خير نظم الحكم ، ويتأثر بآرائهم فى إيثار الحكم الدستورى .

---

(١) انظر الشوقيات : ٢٠١/٤ ومابعدها . طبعة دار الكتاب العربى بيروت.

(٢) شوقى شاعر العصر الحديث للدكتور شوقى ضيف ص ١٤ ، وذكر الدكتور أحمد الحوفى أن هذه المدة خمس سنوات وليست كما ذكر الدكتور شوقى ضيف (وطنية شوقى ص ٣٢٥).

كما أنه كان شاهد عيان على كثير من شئون هذه البلاد وأحوال أهلها، فلقد رأى سلطان الشعب، وبلوغه من الرقى درجات، وشاهد هنالك صولة الدستور ، وفضل الشورى، فتجلى ميله إلى الدستور والحكم النيابى، وأخذ يتطلع إلى حياة أرقى ، وطمح إلى ماطمح إليه غيره من المصريين الذين درسوا فى أوربا بأن يكون لمصر دستور، وأن يزول عنها الحكم المطلق واستبداد الفرد برأيه .

ونحن إذا عرفنا أن شوقيا حينما أراد توفيق أن يوفده مبعوثا إلى فرنسا، قد اختار دراسة القانون، لطنه أنها ذات واشجة قوية بالأدب (١) أدركنا ماكان يفكر فيه شوقى، وما كان يتطلع إليه من تثقيف بالثقافة الأوربية ، واطلاع على الآداب الفرنسية .

يقول الدكتور شوقى ضيف :

" وليس من ريب فى أن هذه البعثة كانت نعمة على شوقى، وكأن ربة الشعر لم تنسه ، فقد أخرجته من سجنه، وانطلقت به تطوف أركان البحر المتوسط، وتملأ عينيه بمفاتن الحضارة فى فرنسا وانجلترا، كما تملأ عقله وروحه بالمدنية الغربية والآداب الفرنسية، وهو فى أثناء ذلك يتنقل بين مونبلييه وباريس ولندن، ويشاهد المسارح ودور الأوبرا ويقرأ الصحف والكتب القانونية والأدبية، وقد قرأ لفيكتور هيجو ، ولامرتين ، ودى موسيه وغيرهم من شعراء فرنسا مثل لافونتين ، وبذلك رأى رأى العين عوالم جديدة فى الشعر والحضارة " (٢).

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث للدكتور شوقى ص ١٤.
(٢) المصدر السابق ص ١٥.

ونحن لانستطيع أن ننكر أن شوقيا قد تأثر بالشعر الأوربى تأثرا كبيرا، واتصل بآداب فرنسا الإنسانية الواسعة، فمن ينظر المقدمة التى كتبها للطبعة الأولى من ديوانه عام ١٨٩٨م يراها وثيقة بالغة الأهمية فى هذا الأمر، ويرى شوقيا يؤكد فيها هذا الأمر بنفسه.

ومن الصعب أن تفوت البعثة على شوقى التأثر بالأدب الأوربى، حيث اختلف إلى المسارح التمثيلية والغنائية فى باريس ، وقرأ آثار كثير من الشعراء الفرنسيين، واتصل بحياتهم الأدبية، ورأى تحت عينه تجديدهم فى الشعر، وهذا يعنى أنه قد وعى أثناء إقامته فى فرنسا واتصاله بآدابها حقيقة الأدب والشعر ومجالاتهما الرحبة.

وقد طرق شوقى نفسه هذا الباب، ووقف على حقيقة وهى أن الشعر فى فرنسا لايقتصر على الفن الغنائى الذى عرفه القدماء ، بل يشتمل أيضا على الفن القصصى والفن الدرامى، فأخذ على الحال يترجم هذه الفنون ويحاكيها ، فقد ترجم قصيدة " البحيرة " للامرتين شعرا ، وحاكى الكثير من قصص لافونتين على ألسنة الحيوانات، وألف أول مسرحية له وهى " على بك الكبير " وطبعها بعد عودته من البعثة عام ١٨٩٣م، ثم أعاد صياغتها فى أخريات أيامه[١] ، وظهرت له عام ١٩٢٩م مسرحية " مصرع كليوباتــــرا "

---

(١) أعلام الشعر العربى الحديث ، للدكتور محمد مندور وآخرين ، تقديم إيليا حاوى ص ٤٥ منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

وهى تعد " بدء الأدب المسرحى الصحيح فى لغتها الرفيعة ، وفى كثير من الجوانب الفنية التى توافرت فيها بالقياس إلى ماسبقها من مسرحيات عربية "(١).

المرحلة الثالثة :

شوقى الآن عاد إلى مصر، ووقتها عين فى القصر رئيسا لقلم الترجمة، وظل يشغل هذا المنصب حتى شبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وأعلنت الحماية على مصر .

على أن نفوذ شوقى وسلطانه تجاوزا شأن هذا المنصب إلى حد بعيد، فقد نال من الحظوة عند ولى الأمر مالم ينله من قبل أحد ، وسرعان ماالتحق بمعية الخديوى عباس، وأصبحت له حظوة كبيرة عنده.

ليس هذا فحسب ، بل إن الخديوى - ولكى يقيد شوقيا بالقصر وبسياسته المرسومة - قدمه على جميع رجال حاشيته، وأسند إليه تدبير كثير من الأمور وتصريفها، ومن ثم صار شوقي شاعر الأمير، وصفيه ، وظهيره فى مناضلة الاحتلال فى مطلع حكمه.

والحق أن شوقيا قد أكثر من مدح الخديوى وأسرته فى هذه المرحلة ، وصار يدور معه فى كل أهوائه السياسية.

---

(١) الأدب المقارن ، للدكتور محمد غنيمى هلال ص ١٧٤. دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.

وربما أن هذا هو السبب الذى جعل كثيرا من الدارسين لشعر شوقى يقررون أن شعره الوطنى قبل النفى كان أقل وأضعف من شعره بعد النفى، وهو السبب نفسه الذي حدا ببعض الباحثين إلى القول بتفوق الشاعر حافظ إبراهيم عليه فى ميدان الوطنية، ومايتصل بها من عواطف الجمهور السياسية آنذاك (١).

وهذه المرحلة فى حياة شوقى هى مرحلة التركيات والإسلاميات والمدائح، وقصائده فى العثمانيين فى هذه المرحلة تعد من بدائع الشعر ، ولاغرابة فى ذلك ، ففضلا عن العصبية الدموية والدينية كانت مصر تابعة للسلطة العثمانية، وكان أمراء مصر يعلنون ولاءهم للعثمانيين، وكان شوقى نفسه من أبرز الموالين للعرش التركى، وظل على هذا الولاء حتى سقوط الخلافة.

وفى هذه المرحلة أيضا وثق شوقى صلته بزعماء مصر الوطنيين الذين حملوا لواء الجهاد عاليا، وجاهروا بعدائهم للمحتل الأجنبى ، أمثال : مصطفى كامل ، محمد فريد، سعد زغلول، عبد الخالق ثروت ، عبد العزيز جاويش ، وغيرهم .

وإن من الظلم أن نقول إن شوقى فى هذه الآونة لم يتفرغ لأدبه بحكم وظيفته فى القصر ومعيته للخديوى ، فالإنصاف يقتضينا أن نقول إنه قد حاول مع ذلك أن يتفرغ لنفسه ولفنه، وفى ديوانه طائفة من شعره وهى قصائده على ألسنة الحيوان، أوحى إليه بها اطلاعه على الأدب الفرنسى طوال إقامته فى باريس، ولعله - وهو

---

(١) انظر الأدب العربى المعاصر فى مصر للدكتور شوقى ضيف ص ١١١.

الممتلئ النفس فخرا بمجد مصر - قد اطلع على الشعر التاريخى الذى نظمه الشعراء الغربيون فى أطلال اليونان والرومان، فتطلع لأن ينظم على مثاله، فكانت روايته التاريخية الخالدة " كبار الحوادث فى وادى النيل [١] " وهى أم قصائده الأولى ، وقد قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف سنة ١٨٩٤م مستنهضا همم جيله والأجيال التى بعده كى يعيدوا مجد الماضى وعظمته .

هذا فضلا عن قصائده التى نظمها فى العروبة والإسلام، مما يفيد أنه بدأ يفكر فى إرضاء الجمهور العربى ويتطلع إلى ذلك، بل ويتحين الفرص كى يغنى العرب ماكانوا يستشعرونه من عواطف قومية أو إسلامية.

كل مافى الأمر أن ظروف ارتباط شوقى بالقصر فى الفترة التى أعقبت فترة إقامته فى فرنسا وتأثره بآدابها قد حالت بينه وبين النزعات التجديدية التي أحدثها الأدب الفرنسى فى نفسه، لأن القصر - وبخاصة فى عصر عباس الثانى - قد استحوذ على موهبة شوقى الشعرية استحواذا يكاد يكون تاما.

---

(١) انظرها فى الشوقيات : ١٧/١ ومابعدها . طبعة دار الكتاب العربى، بيروت .

المرحلة الرابعة :

وها هو الآن وقد نشبت الحرب الأولى عام ١٩١٤م وأخذت السلطة البريطانية تفكر فى خلع الخديوى عباس الذى كان غائبا فى تركيا، وتنصيب عمه السلطان حسين، وإنهاء تبعية مصر لتركيا ، وإعلان الحماية البريطانية عليها.

ليس هذا فحسب ، بل إن السلطة البريطانية أخذت تحول بين حاشية عباس والقصر، الأمر الذى أغضب شوقيا وجعله يستقيل من منصبه. ومع هذا فقد توجس الإنجليز خيفة من وجود شوقى فى مصر، فأمروا بنفيه خارج البلاد عام ١٩١٥م وظل فى منفاه بالأندلس طوال مدة الحرب الأولى حتى آخر عام ١٩١٩م.

مما سبق يتبين أن وطنية شوقى كانت السبب المباشر فى نفيه خارج البلاد . ومن المحقق أنه كان ميالا إلى الدستور وإلى الشورى، ولأنه يعلم أنها دعامة للحكم الإسلامى لم يجد مندوحة من الميل إليها والدعوة لها والاستمساك بها.

وكان الإنجليز على ثقة من عداء شوقى لهم ، واشتراكه فى التأليب عليهم، لأنهم كانوا يحسون أن مصر كلها كانت تضيق من قيود الاحتلال . وليس من شك فى أن صلات شوقى بزعماء الشعب كانت مؤرثة لهذا الميل ، فازداد من ثم حماسة فى شعره، واشتعل هذا الشعر وطنية، وصار يشدو به الصغير والكبير، لما فيه من نصح للشعب، وتغذية للجهاد ، وإشادة بالمجاهدين .

وليس من شك فى أن نفى شوقى هو أخطر حادث فى تاريخ حياته، فلقد أثر فى مجرى أدبه وفنه وشخصيته جميعا وكان له فضل كبير فيما ناله شوقى من مكانة فى الأدب وامتلاك لناصية الشعر العربى.

وشوقى فى منفاه قد تفرغ لأدبه وتنمية ثروته، وعكف على قراءة كتب الأدب العربى ، فطالعها، واستوعب منها مالم يكن قد استوعب، وعكف كذاك على قراءة تاريخ العرب عامة، وتاريخهم فى الأندلس خاصة، فاتسعت من ثم تجاربه وآفاقه الأدبية، ومن هنا كان دافعه لكتابة أرجوزته الكبرى " دول العرب وعظماء الإسلام " التى قصرها على الحديث " عن تاريخ الإسلام وبطولات أعلامه الخالدين .

ولما كانت نزعة المعارضة هى النزعة الغالبة على إنتاج شوقي الشعرى فى فترة نفيه ، نحن نجده يكتب أندلسياته معارضا بها البحترى والشريف الرضى ، وموشحات شعراء الأندلس [١].

ولاريب فى أن ألم النفى قد برح بشوقى ، وألهب وطنيته، فزاد من حنينه إلى مصر، وجعله يحن إليها حنين الصب المستهام.

---

(١) انظر أندلسيات شوقى للدكتور صالح الأشتر ، وانظر كذلك المعارضة فى شعر شوقى للدكتور إبراهيم عوضين.

ولم لايكون كذلك وهو يعلم أن مصر تجزيه حبا بحب، وقد نفته وقلبها معلق به؟ إنه يقول [(١)]:

لكن مصر وإن أغضت على مقة ... عين من الخلد بالكافور تسقينا

وكلما استطال زمن الغربة كلما ازداد حنينه وشوقه [(٢)]:

وسلا مصر : هل سلا القلب عنها ... أو أسا جرحه الزمان المؤسى ؟

وشوقى الذى ذاق مرارة العدوان البريطانى ، يجد نفسه ينطلق من الاتصال الرسمى بالقصر ومن قيوده الملزمة، فزادته الحرية قوة وإنتاجا وتحليقا فى سماء الشعر والفن والخيال، وأخذ يحلق بجناح طليق ، وأصبحنا نسمع صوته يبيح بما فى أطواء نفسه ، ويمد آفاق شعره إلى حدود أبعد من ذلك خارج وطنه، ولهذا وجدنا شعره الوطنى يتسع ويشمل مصر والعرب والإسلام ، وهذا مالم يكن موجودا بنفس الدرجة قبل النفى.

المرحلة الخامسة :

وها هو يعود من منفاه، وقد فرح بعودته، كما فرح بروعة الاستقبال الذى أعد له [(٣)].

---

(١) الشوقيات : ١٠٥/٢ . طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٢) الشوقيات : ٤٦/٢.

(٣) انظر أبى شوقى للأستاذ حسين شوقى ص ٨٩ ومابعدها، مطبعة مصر ١٩٤٧م.

يصور هذا الفرح فيقول (١):

ويا وطنى ، لقيتك بعد يأس ... كأنى قد لقيت بك الشبابا

والحق أن الشاعر حين عاد من منفاه وجد نفسه فى حياة جديدة، وفى جو سياسى جديد، ووجد الشعب فى ثورته السياسية ، كما أنه وجد أبواب القصر مغلقة من دونه، فاتجه من ثم إلى الشعب، وأخذ يعيش معه، وانسلخ بعض الشئ عن الأسرة المالكة ، وأخذ يصور عواطفه وأهواءه السياسية تصويرا قويا باهرا . على أن أهم مااشتهر به فى هذه المرحلة هو شعره الوطنى والسياسى ، ويدخل فيه كثير من شعره فى الرثاء .

إنه يشيد بثورة ١٩١٩م التي لم يشهدها، مما يدل على أنه كان يتابع أنباءها (٢).

يوم البطولة لو شهدت نهاره .... لنظمت للأجيال مالم ينظم

وإذا كانت بوادر اليقظة القومية قد ظهرت فى البلاد العربية منذ مطلع القرن العشرين، فإن هذه اليقظة لم تعم الأركان إلا بعد الحرب الأولى، حين استقلت هذه البلاد عن السلطنة العثمانية.

فلما فرض على هذه البلاد الانتداب الأجنبى ، راح كل بلد منها يهتم بقضيته ، وينشد استقلاله .

---

(١) الشوقيات : ٦٦/١.

(٢) الشوقيات : ١٨٧/٢.

وقد عكس شعر شوقى كل هذه المواقف الوطنية والقومية، ومن يراجع شعره الذى قاله فى هذه الفترة يرى فيه نفثات وطنية خاصة، كما يرى نفثات قومية عامة، وفوق هذا وذاك يجد شوقيا يمتزج بوطنه مصر امتزاجا، وترتبط عواطفه بالقضايا العربية بروابط شتى، وهذا يعني أن صوته قد علا، ونفسه قد طال ، وعاطفته قد اشتدت ، ولاغرابة فى ذلك فهو الآن لاتلجمه وظيفة ، ولاتثنيه رهبة.

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على تغير الاتجاهات الفنية السياسية والاجتماعية فى شعره ، فلقد صار شاعر مصر والعرب، وارتفع صوته بهذا فوق أصوات جميع الشعراء ، وصار الجمهور يستقبل شعره بالتصفيق والإعجاب .

وليس من الطبيعى أن يكون هذا الإعجاب ناشئا عن جمال شعره الفنى، إن شيئا آخر حققه شوقى ، وتفنن فيه هو الذي جعل الجمهور يتفاعل معه، وهذا الشئ هو أنه صار يعبر بشعره عن آلام الأمة وآمالها ، وصار هذا الشعر مرآة صادقة لعصره ومجتمعه.

وهكذا كانت عودة شوقى من منفاه فاتحة حياة أدبية جديدة، تتسم بالنضج والكمال والخصب، والسمو إلى آفاق أدبية عالية بعيدة المدى، ولذلك وجدنا عبقريته تتجلى كاملة، ووجدناه يطلع على الناس بفكر ناضج ، وقريحة صافية، وشاعرية قوية، ومن ثم غزر إنتاجه، وانطلقت موهبته ترسل روائع الشعر .

وظل شوقى يعيش عالى الاسم، رفيع المنزلة، يحرس بشعره المشاعر الوطنية، ويرعى وحدة الوطن إلى أن توفاه الله فى جمادى الثانية عام ١٣٥١هـ أكتوبر ١٩٣٢م.

هذه هى مراحل حياة شوقى ، وهى سيرة موجزة له، نقف منها على ثلاث حقائق هامة :

الحقيقة الأولى :

أنه عاش قرابة أربعة وستين عاما (معظم الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والثلث الأول من القرن العشرين تقريبا) فأدرك بذلك فترة خطيرة فياضة بالأحداث من تاريخ مصر والأمة العربية والدولة العثمانية التى تتبعها بلاده ، والعالم أجمع.

وقد وصفت هذه الفترة بأنها كانت مليئة بالاضطرابات السياسية، والثورات على المحتل الأجنبى ، الذى امتدت آثاره وآثامه لكل شأن من شئون البلاد ، كما شهدت تلك الفترة تنازع الأحزاب السياسية المصرية ، والفتنة الطائفية .

ووقعت في هذه الفترة أحداث الحرب العالمية الأولى، التي احتملت البلاد كثيرا من ويلاتها وأهوالها، وما تبعها من ثورة عام ١٩١٩م ، ومن أحداث سياسية أخرى كتصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢م، وصدور الدستور، وقيام الحياة النيابية، وغير هذا وذاك من شئون خطيرة داخلية كانت أم خارجية، وما إليها مما يتصل بها أو ينشأ عنها من نصر وخذلان، وتأييد واستنكار، ونفى وتشريد، وفتن ومذابح، وغير ذلك مما كانت الفترة التى عاشها شوقى مسرحا له وميدانا.

الحقيقة الثانية :

أن أهم مايميز شعر شوقى حين عاد من منفاه بعد الحرب أنه تحول من القصر إلى الشعب، وأخذ يصوره فى عواطفه وأهوائه الوطنية وحركاته السياسية تصويرا قويا باهرا تفوق فيه على من عداه من الشعراء . وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على تأصل عبقرية الشعر فى نفس شوقى، فلم تضعفها المحن ، ولم ينل منها الزمن ، وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطا.

الحقيقة الثالثة :

خبر شوقى الحضارة الأوربية خبرة واسعة، وشاهد أثناء الفترة التى قضاها فى أوربا معالم هذه الحضارة ، ووسائل عيش الأوربيين، وكل مايتصل بهم من فنون وصناعات.

كذلك أتاحت له رحلاته العلمية وغير العلمية أن يطلع على حضارات ومدنيات مختلفة إن فى الدول الأوربية ، أو الإفريقية ، أو الآسيوية، فأخذ يتطلع لنهضة ألأمة فى جميع المجالات ، وصار كلفا بالدعوة إلى النهضة والأخذ بأسباب الحضارة، يرددها فى كثير من قصائده، حتى ليصح القول إنها صارت عقيدة من عقائده ، وفى سبيل هذا راح ينعى على الأمة تخلفها عن ركب المدنية، ويذكر مايليق بالشاعر ورسالته من وصف المجتمع بالقوة أو الضعف ، لتعلقه بالأخلاق والفضيلة، أو تحلله منها.

ثانيا: مفهوم شعر المناسبات :

" شعر المناسبات " كلمة تستثير فى النفس منذ الوهلة الأولي سؤالا مهما عن مفهوم هذا الشعر ، ومدى صلته بالخلق الفنى والأصالة.

ونود هنا أن نتقدم بالإجابة عن هذا السؤال ، لما نراه من أهمية فى جلاء بعض التصورات العامة من جهة ، وتحديد نوعية هذا الشعر الذى يسجل هذا الكتاب دراسة عنه عند شوقى من جهة أخرى .

وفى رأيى أن الإجابة على هذا السؤال يحددها مدى فهمنا لطبيعة التجربة الشعرية، التى هى انفعال بموضوع ما، هذا الموضوع إما أن يكون خاصا بالشاعر ، وبحالة من حالاته النفسية ، فتسمى التجربة " ذاتية " أو يكون هذا الموضوع موقفا إنسانيا عاما مشتركا بين الناس ، فتسمى التجربة عامة (١).

وفى تصورى أن الموضوع الخارجى بالنسبة للتجربة الشعرية لايمثل أكثر من المناسبة التى تفجر الشعر فى نفس الشاعر، سواء أكان موضوعا شخصيا أو جماعيا، وهذه المناسبة تتحول فى عملية التكوين الشعرى إلى رموز ، حيث تصبح مجرد عنصر من عناصر تكوين القصيدة .

---

(١) انظر النقد الأدبى الحديث ، للدكتور محمد غنيمى هلال ص ٣٨٤ ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، نشر دار النهضة العربية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.

ونحن إذا تتبعنا مضمون العمل الشعرى بما فيه من أفكار وقضايا ومواقف ، وبما يشتمل عليه من رؤية ، خاصة كانت أم عامة، فسوف نرى التناول يختلف تبعا لاختلاف مفهوم الشعر ووظيفته فى كل عصر من عصور الشعر العربي، بل وعند كل جماعة من الجماعات الأدبية .

والمعروف أنه فى ظل النظرة الكلاسيكية ، اهتم الشعر العربى فى العصر الحديث بالتعبير عن الحياة العامة الظاهرة، ولم يهتم بالحياة الخاصة الذاتية إلا فى نماذج قليلة ، وظلت هذه النظرة مسيطرة على الذوق الشعرى قبل أن ينحسر المد الكلاسيكى عن الحياة الفنية ، وصارت الصفة الرئيسية التى يلصقها النقاد بهذا الشعر آنذاك أنه " شعر مناسبات " لارتباطه بالأحداث والمناسبات.

لقد حاول الأستاذ العقاد تفهم معنى " شعر المناسبات" من حيث هو أساس لتقليد الشعراء ، فرأى أن جميع الشعراء الكلاسيكين وعلى رأسهم شوقى، شعراء مناسبات ، لسبب بسيط وهو أنهم يلتزمون بأغراض الشعر التقليدية ، من مدح ورثاء ، ويعتمدون على مايناسب التجربة العامة من مأثور حين يوغلون فى شعر السياسة، والأحداث ، والمناسبات، حتى ارتدوا بوضع الشاعر الحديث إلى ماكان عليه فى العصر العباسى .

أى شعر مناسبات هذا الذى يقصده العقاد ؟!.

هل هو الشعر التقليدى ؟ أم هو الشعر الذى يرتبط بالمناسبات والأحداث السياسية والاجتماعية والدينية المختلفة ؟

إن تصور العقاد لهذا المعني ليس تصورا كافيا لشعر المناسبات، فليس كل شعر المناسبات على هذا النحو بالضرورة، فالشاعر قد ينظم شعره وتجربته الجديدة، ومع ذلك نجده مشدودا إلى موضوعات الشعر التقليدية، ونضيف إلى ذلك أن الشعر قد يكون وجدانيا فى شكله ، ومع ذلك نراه يتغلغل فيه نبض الشعر القديم وروحه .

ويحق لنا هنا أن نسأل سؤالا يدلف بنا إلى جوهر موضوعنا وهو : هل يملك الشاعر إلا أن ينظم شعره فى المناسبات بوجه أو بآخر؟ وبعبارة أخرى أيمكن للشاعر أن يعيش بعيدا عن أحداث عصره ومناسباته الاجتماعية ، فلا يلقى بنفسه فى تيارها ، ولايستخدم حاسته الفنية فى أن يخلق منها فنا أو شعرا ؟

ليس شعر المناسبات بجديد على الشعر العربى، ولايمكن أن ينكر دارس ارتباط الشعر بمناسبة من المناسبات ، سواء أكانت خارجية أم داخلية.

لكنا نود أن يتقرر فى الأذهان أن المناسبة فى ذاتها لاتصنع شعرا كلاسيكيا أو رومانسيا ، وإنما يتحقق ذلك الانتماء بطبيعة موقف الشاعر من موضوعه ، وتصوره له ، وأسلوب تعبيره عنه، أى بالتصور في الموضوع والصورة فى الشكل .

وعليه فإن تحديد منطوق " شعر المناسبات " الذى أطلقه بعض النقاد من دعاة التجربة الوجدانية ينبغى أن يتناول فى حذر شديد(١).

وفى تصورى أن كل شاعر إنما ينظم شعره فى المناسبات، وأنه يمثل المناسبة أراد أم لم يرد ، ولكن إطلاق هذا التصور الشائع عليه يرتبط إلى حد بعيد بموقفه من المناسبة ، ومدى انهماكه فيها، وتفهمه لروحها.

ومن ثم يتفاوت الشعراء فى نقلهم عن المناسبة وتعبيرهم عنها، وفقا لمدى فهمهم لظروف المناسبة، وحسب موهبة كل منهم ، واتجاهه الفنى ، وطبيعة تجربته ، وموقفه العام من الحياة والناس ، وتأسيسا على هذا فما يراه شاعر مناسبة قد لايراه غيره مناسبة، وهكذا .

وفى إطار هذا العرض يحق لنا أن نلاحظ نمطين أو مستويين لشعر المناسبات ، كلاهما بعيد عن الآخر :

النمط الأول :

ويتمثل فى شعر المناسبات الذى كان بمثابة تسجيل لما يتناقله الناس من أحداث، ونحن نجد الشاعر فى مثل هذا اللون يخوض فى

---

(١) انظر الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ، للدكتور عبد القادر القط ص ٥٧. نشر مكتبة الشباب بالمنيرة ١٩٧٨م.

ألوان من السياسة والاجتماع لعلها لاتمثل اهتمامه الحق ، ونجده يمدح ويرثى ، ولو كان من يمدح لايستحق المديح، ومن يرثى لاصلة بينه وبين الشاعر تحفزه حفزا صادقا إلى الرثاء، ونجده كذلك ينظم الشعر استجابة لطلب الآخرين فى المواقف السياسية والاجتماعية، والوطنية، وفى مناسبات الزواج، والتهانى الخاصة، وكثيرا ماينظم الشعر فى مثل هذه المواقف لالشئ سوى أن يقال إن فلانا مدح ، أو هنأ ، أو رثى ، وما إلى ذلك من المناسبات التى لاتفجر المشاعر، والأحاسيس .

والشاعر فى مثل هذا اللون من الشعر ينظر للمواقف والأحداث نظرة سطحية، فهو لايتأمل الأحداث ، ولايستبطنها، ولايتفاعل معها كى يصير قطعة منها.

ولايفوتنا أن نقول إن مثل هذا اللون من الشعر إن صدر عن استجابة شعورية فهى فى الواقع استجابة خارجية سريعة، سرعان ماتزول وتنتهى . وعلى هذا فلا يعد هذا الشعر من التجارب الصادقة فى شئ " لأنهُ لايعتمد على صدق الشاعر، ولأنه يجعل من الشعر مهنة أو دعاية ، عمادها خلق مشاعر لمجاراة شعور الآخرين، وليس من شأن هذا الشعر أن ينهض بالفن ، أو يكشف عن أغوار القلب الإنسانى (١).

---

(١) . النقد الأدبى الحديث ، للدكتور محمد غنيمى هلال ص ٣٨٥.

النمط الثانى :

ويتمثل فى المناسبات التى كانت بمثابة المثير الحقيقى الذى يجعل الشاعر يتهيأ للنظم ، ويتجه نظمه وجهة يتحقق فيها معني الشعر الوجدانى .

والعبرة هنا ليست بالموضوعات الخارجية وأهميتها، وإنما بتعمق الشاعر داخل هذه الموضوعات.

والشعراء فى هذا اللون يتخذون من الموضوع فرصة تهيئهم للتعمق فيه ، واكتناه الحكمة منه، وقد نجحوا فى خلق التجربة الشعورية التى تحولت إلى تجربة شعرية لاتقل فى عظمتها عن التجارب التي نشأ موضوعها فطريا فى نفس الشاعر دون أن يولده فيه مولد خارجى بطلب أو التماس .

والجديد فى هذا الشعر أن المناسبة امتزجت بوجدان الشاعر امتزاجا يكاد يتحد فيه الوجود الخارجى بالوجود الداخلى ، فتحمل التجربة دلالات أرحبَ من الدلالات المألوفة فى تجارب النمط الأول.

ومعنى هذا أنه لاضير على الشاعر من أن يلقى بنفسه فى تيار الظواهر السياسية والاجتماعية المعاصرة، وأن يظهر من خلال شعره شعور بالأحداث والمواقف الطارئة ، أو أن يتتبع أثر هذه الأحداث، ويستخدمها فى أن يخلق منها فنا وشعرا.

ومن هنا نخلص إلى أمرين :

الأمر الأول : أن دعوى شعر المناسبات دعوى غير دقيقة وفيها نظر ، وإن شئت فقل إنها دعوى جدلية، وقد لقيت حياتنا الأدبية المعاصرة من ذلك الجدل عنتا غير يسير لأنه - أي الجدل - لم يكن مخلصا للقضية ذاتها بقدر ما كان وسيلة لتأكيد موقف شخصي أو آخر .

وأعتقد أنه قد آن الأوان لأن نعيد النظر في هذا التصور المفتعل، فمن الخطأ أن يظل النقاد حتى الآن يتجادلون في أمر شعر المناسبات . ينبغي لنا أن ندع هذا التصور ينمحي من عقولنا ويذوب، وأن نصرف جهودنا في دراسة الشعر - سواء منه شعر المناسبات أو غيره - إلى الشعر ذاته.

إن منهج الطعن في شعر المناسبات يستبد بكثير من النقاد والدارسين في معظم الحالات، فما يكاد الواحد منهم يدرس شيئا من الشعر الذى يسمونه جديدا، حتى يعكسه على شعر المناسبات، قاصدا بذلك بيان روعة هذا الشعر الجديد ، وتميزه على شعر المناسبات.

وهكذا يحدث اتهام مفتعل كما قلت، لم يدفع إليه إلا الأحكام الجائرة التى تسلطت على المعارك النقدية، وترسبت في نفوس الدارسين بطريقة تلقائية من خلال معايشتهم وتتبعهم لهذا النقد.

الأمر الثانى : أن إطلاق هذا المنطوق [١] على شاعر بعينه لاينسحب بالضرورة مع ما يستتبعه من طعن على تفوق هذا الشاعر، ولايؤثر بالسلب على شاعريته ، فهذه الحقيقة محاولة نقدية ساذجة.

ومن هنا تسقط دعوى أن شعر المناسبات هابط، لأن الشاعر قد يأخذ من المناسبة مزاياها، ولايلتزم بمجملها كما سبق القول، ومن ثم يخطئ كل من يتوقع الإخفاق لشاعر المناسبات، فالمهم هو صرف الجهد لتفهم " روح " المناسبة والتعبير عنها، وهذا هو الأساس الذى يضمن التجديد والتفوق لهذا الشعر .

ونود أن نحدد هنا خطوطا عامة مميزة لشعر المناسبات :

أولا : شعر المناسبات كأى شعر، فإن انبثق عن عاطفة صادقة ، وفكر حر ، جاء شعرا جيدا يقبله الذوق، ولاغبار على هذا الشعر من أنه فى المناسبة، فلئن كان الشعر رسالة للحياة فما الحياة إلا مجموعة مناسبات ، وكل الشعر العاطفى إنما تدعو إليه مناسبة من المناسبات العاطفية من حب وإعجاب ، وغير ذلك من العواطف التى هى البواعث الحقيقية لشعر القلب ، بل إن كل مافى القرآن الكريم من آيات إنما تنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم فى مناسبات بعينها.

---

(١) أى منطوق شعر المناسبات .

ثانيا: الشعر الصادق هو ما كان مرآة لعصره ، وديوانا لأيامه، وتعبيرا لأحاسيس قائليه.

وفلسفة شعرنا المعاصر تقوم على حاجات العصر، وترتبط بإطاره الحضارى العام فى مستوياته السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة . وهذا يسلمنا إلى حقيقة أن شعر المناسبات كان مناسبا للفترة الزمنية الخطيرة التى عاشها شوقى وزملاؤه من الشعراء المحافظين ؛ فطبيعة هذا العصر تجعل دور الشخص المنعزل سياسيا واجتماعيا غير ممكن تقريبا.

ثالثا: لاغبار فى أن تكون التجربة الشعرية نضالا مع مجموع الشعب ، ومصارعة معه للحياة، " فالذى لاشك فيه أن الأديب لايكتب أدبه لنفسه، وإنما يكتب لمجتمعه ، وكل مايقال عن فرديته المطلقة غير صحيح ... " (١)

رابعا : إن شعراء التجارب الشعرية الجديدة الماثلة فى حركة التجديد الأخيرة، يتأثرون كل التأثر بظروف العصر ، وحساسيته، وذوقه ، وتتأثر مواهبهم الشعرية بملابسات حياتهم، وتغير المؤثرات التى خضعت لها تلك الحياة، والشاعر الحى الوجدان هو الذى ينفعل بما شاهد من حوله، وهو الذى تتمثل فى تجربته الحياة وألوان الصراع التى تتمثل فى النفس إزاء الأحداث المحيطة.

---

(١) فى النقد الأدبى، للدكتور شوقى ضيف ص ١٩١ . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة (مكتبة الدراسات الأدبية).

ثالثا : شعر المناسبات قبل شوقى :

وإذا تحدثنا عن شعر المناسبات قبل شوقى فإننا نقول إن أدبنا العربى كان صورة للواقع بكل أبعاده [١] ، وكان يلتصق بحياة العرب التصاقا قويا [٢] لانحتاج فى تأييده لكبير عناء أو جهد .

والتصاق الأدب بالحياة فكرة معروفة لدى النقد قديما وحديثا ، وقد أحكم النظر النقدى الربط بين الأدب والحياة حين قرر أن الأدب نقد للحياة ، وأن قيمة الأدب وروعته إنما هى رهن بمدى مايتحقق فيه من نقد للحياة .

وحسبنا أن نقلب صفحات تاريخنا العربى قديما وحديثا ، لنرى أن الأدب يقصر مهمته غالبا على خدمة المجتمع ، وأن الشعر ليس تعبيرا عن مشاعر وإحساسات فحسب ، ولكنه قبل أو فوق كل شئ اندماج عميق فى الحياة، ثم تعبير رائع عن هذا الاندماج العميق .

لأن الأديب " ليس كائنا شاذا يعتزل مجتمعه ، ويعيش لنفسه معيشة حالمة، ينفصل فيها عن الناس ومشاكلهم، ومايخوضون فيه من شئونهم ، بل هو كائن اجتماعى ، يختلط بمجتمعه ، ويمتزج به، ويصدر عن وعيه الكامل به صدورا طبيعيا

---

(١) انظر الأديب والالتزام ، للدكتور نورى حمودى القيسى ص ١٣٢ ، ١٣٣. دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٤٠٠ هـ ١٩٧٩م.

(٢) ينبغى أن نذكر هنا بنسبية الحقائق واختلافها ، تبعا للمكان والزمان ، وظروف الحياة وملابساتها.

كما يصدر الضوء عن الشمس، ولولا ذلك ماحاول منذ القـــــدم أن يتصل بالناس، ويقدم إليهم ماقد يعجزون عن التعبير عنه مما ينفس عن عـواطفـهم ومـواقـفـهم ، ويجلب لهم شعـورا بالسعـادة أو بالطمأنينة ، أو بالراحة خلال كفاحهم فى معيشتهم، ومن أجل ذلك كانوا يقبلون عليه، لما يصور لهم من علاقتهم بالحياة " (١).

العصر الجاهلى :

والذى لاشك فيـه أن موضوعات الشعـر الجاهلى يتداخل بعضـها فى بعض، وإذا كنا لا نستطيع أن نرتب موضوعات هذا الشعر ترتيبا تاريخيا، ولا أن نقف على كيفية نشأتها، فإن لنا أن نتساءل فى هذا الصدد عن التطابق بين الشاعر الجاهلى وشعره .

حقيقة نحن لانغالى حين نقول إن الشعر الجاهلى ذاتى يصور نفسية الشاعر ، ومايختلجه من عواطف وأحاسيس، سواء كان هذا الشعر فخرا، أو مدحا، أو هجاء ، أو رثاء ، أو وصفا . غير أننانرى أن شعراء العصر الجاهلى قد استعانوا بموضوعات الشعر على حياتهم ، فالشاعر منهم جزء لايتجزأ من قبيلته التى تشكل كلا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا. وهذا يعنى أن القبيلتهى قدر الشاعر الذى لايستطيع أن يتفلت منه، وبمعنى آخر تحول الشعر عندهم إلى القبيلة ، ولم تعد عناية الشاعر موجهة إلى نفسه فحسب.

---

(١) فى النقد الأدبى ، للدكتور شوقى ضيف ص ٥١.

ونحن نجد فى أشعارهم قصائد ومقطوعات كثيرة تتصل بأحداث القبيلة وأحلافها، وكلها تشير إلى أن الشاعر غدا لسان قومه، ودرعهم، وسفيرهم عند الملوك، مما يعنى أن الشاعر قد ذاب فى قبيلته، وأصبح كيانه لبنة فى بناء القبيلة المترابط ، وأن شخصية القبيلة قد طغت فى كثير من الأحيان على شعره [١].

وطبيعى فى مثل هذه الظروف أن يعرف الشاعر الجاهلى التزاما قبليا [٢] وأن يضمن شعره قيم مجتمعه القبلى، ويكون الناطق باسم القبيلة والناصح لها ، والموجه لأبنائها، والمدافع عنها، والداعى إلى السلم والحرب والتحالف ، والمتغنى بانتصاراتها ، والمؤرخ لوقائعها ، والممثل لها فى الاجتماعات والاحتفالات والمواسم .

وفى ظل هذه الظروف نفسها التى جعلت الشاعر مسموع الكلمة، نحن نراه إذا مدح قوما رفعهم، وإذا هجاهم حط من شأنهم، وإذا طلب من الملوك باسم قبيلته أو أخلافها شيئا مهما أجيب إلى طلبه.

---

(١) انظر الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام ، للأستاذ عمر كحاله ص ٧٥. دمشق، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

(٢) انظر الالتزام فى الشعر العربى، للدكتور أحمد أبو حاقة ص ٦٢ - ٦٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

ومن هذا المنطلق عرفت الجاهلية للشاعر مكانته، وقدرت خطر شأنه، ونشأت مكانته الاجتماعية بين قومه، ولاعجب فهو المنافح عنهم ، وهو صحيفتهم الناطقة، ولسانهم الذرب [١].

يقول ابن رشيق [٢]:

" كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون فى الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لايهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج".

ويظل الشعراء حريصين على هذه العلاقة مع قبائلهم ، على الرغم مما قد يتعرضون له بسبب من ذلك .

ولعل فى أبيات المقنع الكندى [٣] :

---

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ : ٢٠٤/١ لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨م.

(٢) العمدة : ٦٥/١ تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد . دار الجيل للنشر والتوزيع والطبع ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

(٣) شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى : ١١٧٨/٣ ، ١١٧٩ . نشر الأستاذ أحمد أمين والأستاذ عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

يعاتبنى فى الدين قومى وإنما .... ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسد به ماقد أخلو وضيعوا ....ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفى جفنة مايغلق الباب دونها ....ملكة لحما مدفقة ثردا
وفى فرس نهد عتيق جعلته .... حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا
وإن الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لمختلف جدا
فإن يأكلوا لحمى وفرت لحومهم ....وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم ...وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيرى بنحس تمر بى ... زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

مايحدد موقف الشاعر ومنهجه الرائد حيال قومه ، وأنه إنما كان يعنى فى المقام الأول بتجاوز العلاقات الفردية ، وتخطيه لما تعكسه من مردودات .

وحين نستعرض موضوعات الشعر الجاهلى ، فإننا نجدها تارة تطلب النصرة للقبيلة ولأبطالها ، والاعتزاز بمجدها، وهذا هو شعر الفخر، وقد نتج عن شعر القوة والبطولة والفخر شعر الحماسة . وتارة يطلبون من موضوعهم القضاء على الأعداء والمناوئين، وهذا هو شعر الهجاء الذى هو ضد الفخر .

ويتصل الرثاء اتصالا وثيقا بالحماسة، فقد دأب الشعراء على أن يرثوا الأبطال بقصائد حماسية [١]تكشف عن رغبتهم فى إثارة قبائلهم حتى تنفر إلى حرب من يعادونهم .

---

(١) انظر الرثاء للدكتور شوقى ضيف (سلسلة فنون الأدب العربى) الطبعة الثالثة.

وبصرف النظر عن تطور الرثاء بمرور الزمن إلى تصوير الحزن العميق، والدعوة إلى الصبر على الشدائد ، وندب النفس ، فإنه يخضع فى كثير من الأحيان للمناسبات والحوادث ، وقد وقف الشعراء يؤبنون القتلى ، ويضمنون هذا التأبين فخرا بالعشيرة، ومناقبها ، وأعمالها ومآثرها ، فضلا عن الهجاء اللاذع لخصومهم ومناوئيهم .

وشعر المديح فى هذا العصر إن هو إلا سجل للأحداث التاريخية ، فقد تمدح الشعراء بمناقب قبائلهم وسادتها ، وكثيرا ماكانوا يمدحون القبائل التى يلتمسون عندها كرم الجوار والعزة، والإباء، ونحو ذلك . ومن يقرأ دواوين شعراء الجاهلية، وغيرها من مصادر الشعر الجاهلى، يجد المديح يدور على كل لسان، ويجد الشاعر أثناء مديحه يصب الهجاء على الخصوم والمناوئين من القبائل الأخرى .

ونحن لانصل إلى أواخر العصر الجاهلى حتى نجد الشعراء يتخذون من المديح وسيلة للتكسب، وأخذوا كذلك يتطلعون إلى الجوائز الرنانة، والعطايا الجزيلة . وحيال ذلك كله نجدهم يتبارون فى تجويد قصائدهم حتى يزداد تأثيرهم على ممدوحيهم .

على أن هذا الفن لم يلبث أن تحول إلى حرفة خالصة للنوال والكسب ، فالشاعر من الشعراء أصبح إذا سمع عن سيد أو أمير مشهور فى الجزيرة العربية نظم فيه القصائد الطوال يمدحه ، ويفخم من شأنه .

وإذا تركنا المديح إلى الوصف وجدنا الشاعر الجاهلى يصف رحلاته التى يقوم بها ، ويصف فى هذه الرحلة كل شئ وقعت عليه عيناه ، وفوق هذا فإن هذا الوصف قد استوعب الحياة العربية ومتطلباتها ، وشارك إلى حد كبير فى رسم الصورة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية للقبيلة.

.... وهكذا كل موضوعات الشعر الجاهلى ، مما يؤكد أن الشاعر الجاهلى قد عبر عن المواقف والأحداث التى تشكل الحياة الاجتماعية، وأنه كان يستضئ فى كل موضوعات شعره بما يقع حوله من مواقف وأحداث .

وفى تصورى أن هذا هو السبب الذى جعل كثيرا من الدارسين للشعر الجاهلى يقررون أن هذا الشعر هو الفن الذى يقود حركة المجتمع العربى في الجاهلية ، وأنه يعين على تأريخ الحياة العربية فى الجاهلية ، ومن الممكن أن تستخرج منه صورة جامعة لكل شئ فى الحياة.

ومما يقوى هذا الفهم لدينا أننا إذا نظرنا نظرة متأنية فى هذا الشعر ، وما كان له من وظيفة عند العرب ، لأدركنا أنه التحم بالعرب، وعبر عنهم ، ودخل فى كل عمل من أعمالهم، ورافق كل حركة من حركاتهم، ومن هنا كان ديوان العرب، ونبض حياتهم [(١)].

---

(١) انظر الحيوان للجاحظ، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون : ٧٢/١ . مكتبة ومطبعة مصطفى البابا الحلبى ، الطبعة الثانية (مكتبة الجاحظ) وانظر أيضا مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٧ . القاهرة ١٩٦٩م. وانظر أيضا تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جورجى زيدان ، تعليق الدكتور شوقى ضيف : ٧٧/١ . طبعة دار الهلال ، القاهرة.

عصر صدر الإسلام :

وفى عصور صدر الإسلام نظمت أشعار كثيرة مثلت أحداث العصر أدق تمثيل . فليس هناك من حدث كبير أو صغير إلا واكبه الشعر ورافقه .

ومن يراجع مصادر الشعر فى هذه الآونة يستقر فى نفسه أن أكبر الأحداث التى تلقانا فى الشعر هى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام (١)، وأن الشعر لم يقف أمام هذه الدعوة موقف المتفرج .

والذى لاشك فيه أن الظروف الجديد فرضت على الشعر وظيفة جديدة ، وفرضت على شعراء الدعوة أن يأخذوا مواقعهم ، وأن ينزلوا إلى الساحة موجهين ومقاتلين ، يستمدون العزم من سلامة الدعوة ومعنى هذا أن قصائدهم " قصائد ملتزمة ، يسلك بموجبها الشعراء المسلك الإنسانى الذى حملته الدعوة ، وحاولوا إثبات الغاية النبيلة التي دعا إليها الإسلام ، والسعادة التى يحصل عليها الإنسان فى الدنيا والآخرة ، وتحبيب الموت فى سبيل العقيدة (٢).

فالدعوة إلى الإسلام ، وانقسام العرب حيال ذلك إلى مؤمنين ومشركين ، وحروب الردة، والفتوح الإسلامية ، والخلافات السياسية، والفتن والدسائس ، وما إلى ذلك ، كل هذا يلقانا فى أصوات الشعراء .

---

(١) انظر تاريخ الشعر العربى ، للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى : ١٧/١ومابعدها . دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٢) الأديب والالتزام ، للدكتور نورى حمودى القيسى ص ٦١.

وبهذا الفهم العميق للشعر والغاية منه ، اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحا ماضيا ضد خصومه من مشركى قريش وأعداء رسالته [١].

إن نظرة واحدة فى شعر شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة (حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك) إلى جانب الأشعار الأخرى التى كانت تتردد على ألسنة الشعراء الآخرين، تكشف من جانب عن الجهود الكبيرة التى بذلها الشعراء الإسلاميون فى استخدام الشعر فى سبيل الدعوة، كما تكشف من جانب آخر عن تسجيل شعرهم وشعر من عداهم لأحداث الفترة بواقعية وإخلاص ، تسجيلا يستوعب الأحداث استيعابا متكاملا إلى حد ما.

ومن ينظر تاريخ الخلفاء الراشدين إبان الفتوح الإسلامية يرى أن الشعراء لم يكفوا لحظة واحدة عن نظم الأشعار الحماسية المدوية، والابتهاج بالانتصارات، ومدح الأبطال والشجعان، كما يجدهم ينظمون القصائد العديدة فى رثاء من كانوايفقدونهم فى الفتوحات.

وإلى جانب شعر الدعوة والفتوح الإسلامية، تلقانا فى الحروب الأهلية منذ الثورة على الخليفة عثمان بن عفان أشعار كثيرة.

---

(١) انظر الأغانى للأصبهانى : ١٣٧٥/٤ . إشراف وتحقيق الأستاذ إبراهيم الإبيارى ، طبعة دار الشعب ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م.

والحق أن صور الثورة والسخط ، والصراع والبكاء ، والتهديد والوعيد فى شعر الشعراء آنذاك كثيرة ومتعددة (١)، وتفيض كتب التاريخ بأشعار كثيرة اندلعت تجارى تلك الثورات والفتن (٢).

والشئ المهم الذي لابد أن نلاحظه فى هذه الأشعار الكثيرة التى رويت فى مغازيهم وفتوحاتهم ، والفتن التى اندلعت فى عهد الخلفاء الراشدين، أن هذا الشعر قد ارتبط ارتباطا كبيرا بالأحداث والمناسبات ، وأن هذه الأحداث قد أذكت دون شك جذوة هذا الشعر إذكاء ، وأشعلتها إشعالا.

عصر بنى أمية :

على أننا لانصل إلى عصر بنى أمية حتى نجد " تفكير الشاعر الأموى لايتعدى حدود قبيلته ، وكان يعالج مشكلاتها بالطريقة التى تناسب عقليته وعصره كالفخر بها مثلا ، أو هجاء أعدائها، أو التوسل إلى الخليفة أن يخفف عنها عبء الصدقات ونحوها " (٣).

---

(١) انظر على سبيل المثال الأغانى للأصبهانى : ١٧٩٣/٥ . طبعة دار الشعب.

(٢) راجع تاريخ الطبرى (الجزء الخامس) ، وتاريخ اليعقوبى (الجزء الثانى)، والكامل لابن الأثير (الجزء الثالث).

(٣) تاريخ الشعر العربى، للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى : ٢٩٨/١.

وفى هذا العصر نشأت الأحزاب السياسية ، وأخذت تستكمل أسباب قوتها ومعالم شخصيتها، واتخذ الأمويون وخصومهم الشعر أداة للتعبير عن آرائهم السياسية المختلفة ، ونشطت الحياة الاجتماعية، وقامت مظاهر الملك بالدولة، وأحاط الخلفاء والأمراء أنفسهم بحياة مترفة ناعمة [١].

والحق أن هذا العصر قد امتلأ بسبب من هذه الأحزاب بكبريات الخطوب، فقد أحيا الأمويون العصبية ،واعتصموا بها لتعينهم على مآربهم فى تدعيم السياسة الأموية والملك الأموى، وحرصواعلى اجتذاب الشعراء واتخاذهم ألسنة تنافح عن حكمهم[٢].

وعلى هذا مثل الشعر الحياة من جميع أطرافها، ومن يرجع إلى كتب الأدب والتاريخ يرى ارتباط الشعر بالأحداث والمواقف، وكأنه لم يعد للشعراء من شاغل يشغلهم سوى المديح والهجاء والأنغام السياسية، وعلى هذا النحو عاش شعراء العصر ينظمون القصائد، ويصدرون فيها عن روح العصر بأحداثه وخطوبه [٣].

---

(١) انظر التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، للدكتور شوقى ضيف ص ١٠١. دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٧م (مكتبة الدراسات الأدبية).

(٢) انظر أدب السياسة فى العصر الأموى ، للدكتور أحمد الحوفى ص ٢٥٧ ، ٤٣٣ - ٤٦٢ . دار نهضة مصر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

(٣) انظر تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) للدكتور شوقى ضيف ص ٢١٥ - ٢٤٦ . دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة.

العصر العباسي :

ومع أن موضوعات الشعر القديمة قد دخل عليها تجديد واسع في عصر بني العباس [(١)] ، فإننا لانغالى إذا قلنا إن الشعر فى هذا العصر يتصل اتصالا وثيقا بحياة الشعب ، وأنه قد تأثر بفعل الأحداث والظروف، والتحولات الفكرية والحضارية، وبدأ يشارك فى الصراع العنصرى بين العرب والعجم .

وأخذت القصائد الشعرية فى كثير من الأحيان - وعلى وجه الخصوص قصائد المديح - تقوم مقام الصحافة ، فتسجل الأحداث التى يعاصرها الشاعر، وتطيل الوقوف عند الأعمال الكبرى التى ينهض بها الخلفاء .

ومن ثم فلا نعجب إذا رأينا المؤرخين يتوقفون فى كتبهم من حين إلى حين عند القصائد التى صورت الفتن والثورات الداخلية، وحروب المسلمين مع أعدائهم من الروم والترك، ويعدونها وثائق تاريخية ذات قيمة بعيدة.

وفضلا عن ذلك كله كان كثير من شعراء العصر العباسى ينتهزون الفرص فى الأعياد والمناسبات، ليمدحوا الخلفاء والوزراء والولاة والقواد ، لقاء مايجودون به عليهم من دراهم ودنانير، ولاتزال الذاكرة تعى تراثا ثمينا قاله شعراء العصر ، أمثال المتنبى،

---

(١) انظر المصدر السابق (العصر العباسى الأول) ص ١٥٩ ومابعدها . دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة . و (العصر العباسى الثانى) ص ٢٠٣ ومابعدها. دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.

والبحترى ، وأبى تمام، والشريف الرضى - فى المناسبات العارضة ، فى المدح، والرثاء ، والتهنئة، والهجاء ونحو ذلك .

يوضح ذلك الدكتور شوقى ضيف فيقول (١):

" لا نبالغ إذا قلنا إن جميع وزراء العصر ، وأكثر ولاته وقواده، داروا على ألسنة الشعراء ، يمدحونهم طلبا للنوال ، إذ كانت بأيديهم أموال الدولة، وكانوا ينثرونها نثرا على الدعاية لهم، ولم يكن للدعاية حينئذ لسان سوى الشعر ، فالوزير وكذلك الوالى والقائد حين يطربه شاعر ، ويثنى عليه يطير اسمه فى الناس ، ولذلك كان كثيرون يجمعون الشعراء من حولهم ، لكى يعددوا مناقبهم، ويصوروا كفاءتهم وأنهم من الصفوة المختارة للأمة ".

العصر الحديث :

ويختلف الحال فى العصر الحديث عنه فى سائر العصور السابقة، ذلك لأن بلادنا العربية شهدت فى هذا العصر أحداثا وتطورات على جانب كبير من الأهمية ، سواء على الصعيد السياسى، أو الاجتماعى أو القومى، أو الاقتصادى، أو على الصعيد الفكرى والحضارى.

فقد أرهقت البلاد العربية بالمحتل الأجنبى، كما أرهقت بالانحطاط وعوامل التخلف، ومايرافقهما من جهل وأمية وسذاجة وغير ذلك .

---

(١) تاريخ الأدب العربى (العصر العباسى الثانى) ص ٤١١.

وقد رافقت هذه الظروف عوامل متعددة كان من شأنها أن أخذت العيون تتفتح على صور من الحضارة الأوربية، ومن تطور أساليب العيش فى أوربا ، وأخذ الأدباء يتطلعون إلي كل هذا ، ويودون لو يتحقق لبلادهم شئ منه .

ومع أن الجدل قد دار على ألسنة الزعماء والمثقفين حول هذه الأفكار، فإنه لم يتسن لها أن تبرز وتعلن عن نفسها فى الإنتاج الأدبى ، ولم تدخل فى صميم مضمونه - وبخاصة الشعر - إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ففى هذا الوقت تبلورت فى المجتمع العربى مواقف واتجاهات متعددة، رافقتها بوادر نهضة أدبية نثرية وشعرية ، أخذت تستوعب تلك الحركات الواسعة التى أحدثها المفكرون ، والنشاطات السياسية والاجتماعية، والفكرية ، والدينية التي يعبرون عنها وينادون بها.

والحقيقة أنه لئن كان الشعر العربى فى مستهل العصر الحديث، قد تناهى وصار نظما لا حياة فيه ولا عاطفة ولاقوة ، فإن الله سبحانه وتعالى قد قيض له البارودى ، فانتشله من وهدته ، وأقاله من عثرته، وأخذ يتطلع إلى بعثه بعثا جديدا [1]، وقد استطاع أن يعيد إليه فيما أعاد أغراضه السامية، وأخذ يخوض فى أغراض هي من وحى عصره وتجاربه الخاصة.

---

(١) انظر شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى، للعقاد ص ١٢١، ١٢٢. دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٣م.

وقد تابعه فى هذا عدد من الشعراء وعلى رأسهم شوقى ، وحافظ، والجارم، وصبرى، وغيرهم.

وأصبحت عناية كل هؤلاء الشعراء توجه إلى الشعب الذى يخاطبونه، وعواطفه ، وأنحاء حياته المختلفة، وأخذوا دون استثناء يتناولون الموضوعات بطريقة جديدة تلائم روح العصر ومتطلباته، وإن شئت فقل ينهضون برسالة الشعر ، ويضربون به فى كل ميدان من ميادين الحياة ، وأخذت تتعدد الاتجاهات الأدبية فى شعر الشعراء تعددا كبيرا ، وأخذ الشعر يكتسب قيمته الكبرى بماله من صلة مع الحياة واندماج بها، ثم بما أصبح له من رسالة نحوها .

وربما كان أوضح الشعراء خطا فى هذا النحو هو الشاعر أحمد شوقى ، فهو لايعيش لنفسه وحدها، بل يعيش أيضا للجماعة ، ويحيا فيها، وفى كل ماتستشعره ، وما كان له من شعر فى الأحاسيس والعواطف الشخصية نحس فيه أثر الجماعة ، وكأن هذه الوجهة. قد وجدت متنفسا لها عنده ، فتفجرت على لسانه فى المناسبات أشعار خاصة بالجماعة ، وظلت هذه الأشعار تتدفق لاتستطيع لها دفعا ، ولا تكاد تمر به مناسبة من المناسبات دون أن ينظم فيها شعرا ، حتى صار شعره مرآه للجماعة وأهوائها ، وكل ما كانت تحلم به من آمال فى جميع شئون الحياة ، من سياسية ، ووطنية . ودينية.

ومن يقرأ ديوانه يجده يصور فى شعره الشعب المصرى ، والأمة العربية و الإسلامية، ويجلى ما كانت تستشعره من عواطف وطنية، وقومية ، وإسلامية .

على هذا النحو كان شوقى، وكان شعره يصور كل دقيق وكل جليل يتصل بحياة الأمة العربية والإسلامية من حوله، حتى إذا نفى وعاد من منفاه ، وجدناه يندفع فى نفس الاتجاه ويوغل فيه ويتفوق على أقرانه، تعينه فى ذلك مواهبه الفنية النادرة كما سنوضح فى ثنايا الدراسة.

رابعا : بواعث شعر المناسبات :

عاش شوقى فى مصر، وامتزج بالحياة المصرية كل الامتزاج، وكانت له مواقفه الواضحة من أحداث الأمة العربية، وقد تغنى غناء خالدا فى هذه الأحداث، ولم يترك مناسبة وطنية أو سياسية، أو اجتماعية ، أو غيرها إلا دون فيها شعره، بل إنه كان يستهدف المناسبات، ويصوغ فيها أشعاره، وقد أظهر فى ذلك تفوقا وامتيازا نادرين .

واتجاه شوقى للنظم فى المناسبات قد تأثر إلى حد كبير بمؤثرات كثيرة لازمت حياته، ومع تعدد هذه المؤثرات وتغيرها ، فإن أحدا لاينكر أنها أثرت فى شعره ، ودفعته دفعا إلى شعر المناسبات والحوادث اليومية .

وحين نود الحديث عن هذه البواعث فليس من قصدنا أن نتحدث عن حياة شوقى مرة ثانية، ولكننا سنشير إلى بعض الملاحظات العامة التى تعرفنا بدورها على هذه البواعث وتلك الملابسات :

أولا : شوقى شاعر مصرى المولد والمنشأ والإقامة، وهو مصرى الأب والأم مولدا ومنشأ وإقامة [١].

---

(١) انظر وطنية شوقى ، للدكتور أحمد الحوفى ص ١٢٧. وانظر كذلك أعلام الجيل الأول من شعراء العربية فى القرن العشرين للأستاذ أنيس المقدسى ص ١٧. مطابع التجارة والصناعة ، بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٢م.

ومهما قيل فى تنوع مصادر دمه ، فهو شاعر مصرى الوطنية، لاشك فى حبه لمصر، وفى اعتزازه بالنسب إليها، وكان لهذا أثره الكبير فى ارتباطه عاطفيا بمصر، والافتتان بها، والعمل لها. ونتج عن ذلك الحب أن تولدت لديه حساسية شديدة لصراع وطنه مع المحتل، فلم تمر حادثة تتصل بهذا الأمر إلا انفعل لها ، وفاض بها قلبه ، واضطربت لها جوانحه، وتجلت على لسانه شعرا مبينا.

وقد شهد شوقى حقبة طويلة من تاريخ مصر ، وعاصر كثيرا من أحداثها بصورة لم تتيسر لغيره من أدباء عصره ، وقد تبلورت فى نفسه أحداث هذا العهد الطويل، واختلطت بأحاسيسه وامتزجت بمشاعره، وتأثر بها تأثرا مباشرا أو غير مباشر .

كما أنه أجبر - بسبب من وطنيته - على النفى عن مصر عام ١٩١٥م ، وظل فى منفاه بالأندلس إلى أواخر عام ١٩١٩م ، وقد ألمت بمصر فى هذه الفترة أحداث كبرى، فأخذ يحن إليها حنين الصب المستهام، وكثيرا ما كان يتعجل العودة إلى أرضها ، وما أن سمح له بذلك حتى انصرف عن مدح الملوك والأمراء إلى مديح مصر، والزهو بمجدها، والكلف بتاريخها، والإشادة بثوراتها.

والذى لاشك فيه أن وطنيته قد دفعته إلى أن يهتبل المناسبات، ليفخر بماضى مصر ، وينوه بمجدها الغابر ، ويعلى من شأنها ، ويشيد بأبطالها من الزعماء والوطنيين ، ويعبر عن بغضه للاحتلال، ويندد بمظالمه ، ويدعو إلى النهضة والتحرير والاستقلال،

وكان يذكر بذلك ويكرره فى المناسبات المختلفة، ولذا فإن من يقرأ ديوانه يجده مليئا بموضوعات الأحداث السياسية وغير السياسية فى بلاده، وكبار الحوادث الداخلية ، وغير هذا وذاك من الموضوعات التى استهوت أفئدة المصريين ، وشغف بها الجمهور شغفا شديدا، ووجدت فيها الطوائف على اختلافها غذاء لعقولهم وأفكارهم، وشغفوا بترديد بعضها ألحانا وطنية يشحذون بها العزائم كلما انغمروا فى الحركات الوطنية.

والأمر الغريب أن الشاعر قد استطاع بمهارته الفائقة أن يجعل هذه الموضوعات إنسانية تثير وجدان كل مصرى، وكل عربى، وتهز جوانبه ، ومن ثم شغل الناس وملأ الدنيا فى زمانه، وصار شعره تمثيلا حقيقيا للروح السائدة فى عصره.

ومن ثم فلم يكن شوقى كما يقول العقاد [١]: " بمعزل عن الأمة فى شعوره ، لا يخامرها بعطفه، ولاتخامره بعطفها، ولايناضل فى ميدانها نضال من يهمه النصر والهزيمة .

ثانيا :

وشوقى إلى جانب ذلك صنيعة الخديوى توفيق ، وشاعره الرسمى، وشاعر ابنه الخديوى عباس ومستشاره بعده ، وقد قدمه عباس على جميع رجال حاشيته فى القصر ، ولم تقف المسألة عند هذا الحد ، بل تجاوزته كثيرا.

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم ص ١٨٥.

فالخديوى نفسه كان كلفا بشوقى، وكان يستدعيه فى كل وقت، وقد تمكن بشخصيته القوية أن يستأثر به، ويفنيه فى السياسة وتدبير أمور القصر ، فلا عجب أن يدور فى خلد شوقى إرضاء أميره، ولامناص له من مدحه ، والإشادة بأسرته فى كل مناسبة : فى ذكرى ميلاده، وفى ذكرى اعتلائه عرش مصر، وفى العيد، وفى طلوع الهلال، وفى حجه ، وفى أسفاره وزياراته،وما إلى ذلك، سواء واتته طبيعته أو خالفته ، رضيت نفسه أم سخطت .[1]

عن أن لزوم شوقى لبطانة الحكام والأمراء قد يسر له الوقوف على الكثير من أسرار السياسة المصرية وتياراتها المتباينة، ومايجرى على مسرحها خلف الستار، وقد استطاع من خلال هذه المعايشة أن يفهم سيده أنه الشاعر الذى لايشق له غبار ، وأنه لايوجد فى الأقطار العربية من هو أشعر منه.

يضاف إلى ذلك أن طموحه إلى أن يصبح شاعر الأمير وأمير الشعراء فى نفس الوقت ، قد ساقه من حيث يدرى أولا يدرى إلى أن يصبح شاعر المناسبات، الذى يتحدث باسم الخديوى حينا، وباسم الشعب والأمة كلهاحينا آخر، وإن كان الإنصاف يقتضينا أن نقول إن شعور شوقى الشعبى كمواطن مصري كان يدفعه إلى أن يتأثر بروح الأمة ومطالب الوطن ، وإن ظلت عاطفته الوطنية قبل نفيه ترتبط بالقصر ، وتوافق مافى نفس الأمير .

---

(١) انظر شوقى شاعر العصر الحديث، للدكتور شوقى ضيف ص ١٦ ومابعدها.

ثالثا : وشوقى من أغزر شعراء العربية نتاجا، وأكثرهم أغراضا، وقد نظم فى الأغراض الشعرية المأثورة التى سبق إليها الجاهليون ومن تبعوهم إلى آخر الدولة الأموية، وكان جميل التفنن فى تلك الأغراض، إذ ساقها سوقا ينم عن موهبة أدبية ، وفن رفيع، ومسها بفنه السامى ، وأظهر كما يقولون القديم فى ثوب الجديد، وتناولها بالابتكار والتجديد، وبرع فى تصوير الحوادث العامة براعة حملت كثيرا من الباحثين على أن يشهدوا له ، ويدافعوا عن رسالته الشعرية.

ولئن تفاوتت حظوظ الشعراء من الموهبة والشهرة، فإن الإنصاف يقتضينا أن نقول إن شوقيا قد توفرت له من ظروف المركز الاجتماعى ماساعد على اشتعال شهرته، وأنه كان على درجة من العبقرية والمهارة جعلته يستخدم عددا من الوسائل التى زادت من شهرته، وجعلتها تعلو حتى غمرت بظلالها معاصريه، وانتهت به إلى اللقب الذى عرف به وهو" أمير الشعراء ".

وفى رأيى أن شهرة شوقى كانت على رأس الأسباب التى عرضته للحملة النقدية العنيفة [١]، وفى رأيى أيضا أن إنتاج شوقى النثرى لم يحظ بعناية كبيرة من النقاد والدارسين ، لالشئ إلا لأن شعره غطى عليه واحتكر دونه الأنظار.

---

(١) انظر الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر، للدكتور عبد القادر القط ص٥٦.

ونتيجة لهذا كله صار شوقى شاعرا مرموقا على مستوى الوطن العربى كله، وأكبره الناطقون بالضاد ، وأحلوه من نفوسهم المكانة الأثيرة، وبايعه بإمارة الشعر شعراء العربية .

وكان من الطبيعى لشاعر هذا شأنه من الموهبة والشهرة، أن يجد لنفسه إطارا من التجارب يفرض بطبيعته الالتفات إليه ، فانخرط فى الأحداث السياسية، ومناسبات المجتمع، كما كان يفعل الشاعر الكبير قديما، وأخذ يتابع أحداث الوطن العربى ، ويتجاوز ذلك إلى مايترامى إليه من أحداث العالم، وكأنما يريد أن يؤدى حق تلك الشهرة والإمارة الشعرية التى بويع بها، وبمعنى آخر فهو يريد أن يظل شعره فى أسماع الناس ونفوسهم ، شأنه فى ذلك شأن الشاعر الكبير القديم كما سبق أن قلنا.

رابعا : ينتمى شوقى لأصول تركية، فجده لأبيه تركى يمتد نسبه إلى الأكراد فالعرب [١] ، وقد عاشر الترك فى حياته اليومية، واتصل بهم أشد اتصال ، وأجاد لغتهم إجادته للعربية ، فعظم من ثم العنصر التركى فيه [٢].

---

(١) انظر مقدمة الطبعة الأولى لديوان شوقى .

(٢) حافظ وشوقى ، للدكتور طه حسين ص ١٧٣ . الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م.

ولأن الأتراك هم ممثلو العالم الإسلامى فى ذلك الحين، نجد شاعرنا يتعلق بهم ولايقتصر على مناسبات وطنه فحسب، بل يمد مجال القول إلى المناسبات التركية، والخلافة العثمانية، وينظم المطولات يتغنى فيها بالترك، ويشيد بالخليفة والخلافة، ويطرب لانتصاراتهم فى الحروب ، ويظهر الأسى والحسرة لما يلحق بهم من مكروه.

ومن يقرأ الشوقيات يجد فيها كل هام من الموضوعات التى تتصل بالترك أمثال العناوين : " صدى الحرب " ، "انتصار الأتراك"، " خلافة الإسلام " ، " الانقلاب العثمانى " ، " تكليل أنقرة "، تحية للترك" ، " الأسطول العثمانى " ، " الدستور العثمانى"...

وفى اعتقادى أن شوقيا لم يكن ليستطيع أن يتخلى عن الخلافة العثمانية، وعن تركيا، وهو يعلم أنها الجامعة الإسلامية، ويعلم هو وغيره من الساسة ورجال الأدب أن للدول الأوربية تطلعات غير محدودة فى العالم الإسلامى، وهذه التطلعات تدفعهم إلى تمزيق هذا العالم ، ومحاولة احتلال ولاياته[١].

---

(١) انظر وطنية شوقى، للدكتور أحمد الحوفى ص ٤٣٤ ومابعدها.

خامسا : رأى شوقى العالم العربى وهو يجتاز مرحلة مهمة من مراحل جهاده الدائب ونضاله الصابر ضد الاحتلال الأجنبى الدخيل ، فتأثر بهذه الأحداث وأثر فيها ، وتجاوب مع أحاسيس الأمة، وعبر فى قوة وفى صياغة ساحرة عن كل مايختلج فى ضمائرها ، ويعتلج فى صدورها من آمال وآلام، ومن ثم فهو ليس شاعر مصر وحدها، وإنما هو شاعر العربية الأكبر فى العصر الحديث(١).

فشوقى لم يكن يحبس عواطفه فى نطاق الوطنية المصرية، وإنما كان يشارك الدول العربية أفراحها وأحزانها، فيفرح لفرح العرب، ويأسى لأساهم ، وقد ساقه ذلك الشعور إلى أن يناهض المحتلين فى كل دولة عربية وقعت تحت الاحتلال، ويدعو إلى مجاهدتهم والحملة عليهم، والتنديد بأفعالهم وجرائمهم ، وكثيرا مانوه بالمجاهدين العرب الذين أبلوا فى الثورات، وكان يتوق إلى أن يظفروا بحقوقهم المسلوبة، ولم يفته أن يرثى من استشهد منهم بقصائد ملتهبة مجد فيها الاستقلال ، ونصح فيها بالجهاد.

سادسا : وفى اعتقادى أن الشاعر إنما ينظم شعره فى الدرجة الأولى لأولئك الذين يتجاوب معهم فى الإحساس والشعور، وبقدر مايتفق هؤلاء مع الشاعرفى النزوع بقدر مايكون حرصه على أن يقرأوا أدبه ويستوعبوا فنه، ويتصلوا بنتاجه.

---

(١) دراسات أدبية ، للأستاذ عمر الدسوقى ص ١٥٦ مطبعة الرسالة ، نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية.

وإذا كانت للشاعر رسالة، وكان واقعيا هادفا، فإنه يطيب له أن يستقبل شعره هذا الجمهور الذى يتفق معه فى الإحساس بالحياة، إنه حينئذ سيجد نفسه تنداح فى نفوس الشعب، وسيجد كذلك أفكاره وعواطفه تتغلغل فى أفكار الشعب وعواطفه.

وكلما اتسم الجمهور بسمة الأدب، وكلما تشبع بالروح الفنية، ازداد حرص الشاعر على مخاطبته وتجلية شعوره، لأنه - أى الجمهور - يكون أقدر على إدراك براعته فى رسم تلك الحياة وفى تصوير أحداثها وملابساتها، فلا شئ يذكى قريحة الشاعر كالشعور بالتجاوب بينه وبين من ينظم فيهم ويصور حياتهم، والباعث الأساسى الذى يدفع الشاعر للإنتاج هو هذه المشاركة العاطفية والوجدانية، هو ذلك الإحساس المشترك.

وتأسيسا على هذا نقول إن هناك مؤثرا مهما أثر فى شعر شوقى، ودفعه دفعا إلى النظم فى المناسبات والمواقف المختلفة، ذلك أنه أدرك أهمية الجمهور [1] الذى يتلقى الأعمال الأدبية فى وقت كان الوعى الإنسانى فى مصر ينهض ويتطلع لنيل حقوقه، وهذا الأمر جعله فى الكثرة الكثيرة من شعره لايترك مناسبة مهمة أو حادثة من الحوادث الكبرى تمر دون أن يسجلها ويصدح فيها بشعره.

---

(١) هناك عوامل كثيرة صنعت صنعها فى الحياة المصرية - مثل المطبعة، وانتشار التعليم، وغير ذلك - وجعلت شوقيا وزملاءه من الشعراء المحافظين أمثال حافظ إبراهيم يتأثرون بالجمهور (انظر شوقى شاعر العصر الحديث، للدكتور شوقى ضيف ص ١٢٢ ، ١٢٣).

فشوقى إذن يغترف من واقع الجماهير ليرد إليهم ، وربما كان حرصه على استنهاض عزائمهم لايقل عن حرصه على رفع مستواهم، وتحريكهم لنيل حقوقهم، والوقوف على طريق النهضة والتقدم ، ولايكون ذلك إلا بمخاطبتهم والنظم لهم.

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على حرص شوقى على اختيار الموضوعات التى تهم الجمهور ، ومداومة بث دعواته الإصلاحية، وتطلعاته الوطنية والقومية، وما إلى ذلك فى هذه الموضوعات .

وقد استمر شوقى فى الصورة العامة لشعره يفكر فى الجماعات الكبيرة، ولم تلبث شاعريته الفذة أن وسعت له الرقعة التي يخاطبها، وحينئذ نجده يدفع دفعا إلى الالتحام بالجماهير فى كل مكان ، فى قصائد تنبض بالحيوية الدافقة.

ولاريب فى أن اهتمام شوقى بالجمهور هو الذى نبهه إلى أن يستشعر عاطفة الإسلام، وأن يتغنى بالعروبة والعربية، وغير هذا وذاك من العواطف العامة التى طالما خفقت لها قلوب العرب والمسلمين على السواء .

ومما يؤكد لنا اهتمام شوقى بالجمهور، ورغبته فى لقائه، واستمالته عن طريق الشعر الدينى ، ماذكره الدكتور شوقى ضيف تحت عنوان (الجمهور والصحف) .

حيث يقول [١]:

" ولعل أكبر دليل نسوقه على أن هذا الشعر الديني عنده أراد به الجمهور قبل أن يريد به نفسه أننا نجده يعنى فى شعره بالمسيحية لسبب بسيط وهو أن قراءه فى العربية لم يكونوا جميعا مسلمين، بل كان منهم المسلم ومنهم المسيحى ، لذلك كان يقف من المسيحية موقف المعتد بها المؤمن بتعاليمها ، وكان لايزال يشيد بالمسيح حتى فى تركياته، وحين ينهزم الترك أمام الدول البلقانية المسيحية، فإنه يستل المسيح من هذه الدول، ويبرئه هو وتعاليمه منهم... " .

هذه صورة مهمة من واقع شوقى النفسى حين يكتب شعره ويذيعه على الناس، إنه يشعر بآلام أمته وآمالها ، وبوصفه فنانا استطاع أن يصهر فى بوتقته الفنية تلك الآلام وهذه الآمال ، ثم يصوغها قصائد شعرية تصور إحساس الجماهير، وتوقظ شعورهم، وتعبر عن ذاته المشرفة على أمته.

وبهذا الفهم لعلاقة شوقى بالجمهور نحن نعجب من تلك الدعاوى [٢] التى رددت أن شوقيا كان ترجمانا للجمهور، يطرب لما يطرب له، ويكره مايكرهه .

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ص ١٢٩.

(٢) انظر توضيح ذلك ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ من كتاب وطنية شوقى ، للدكتور أحمد الحوفى .

فشوقى لو كان كذلك فى حقيقة لأمر لمانصب نفسه رائد للجمهور ، يشاركه بفكره وشعوره وفنه فى قضايا وطنية وقومية وإنسانية، وغير هذا وذاك ممايعانيه من آلام، ومايتطلع إليه من آمال، ومن الحق أن نقول إن الظروف قد أتاحت لشوقى من أسباب القدرة والبراعة ماجعله يستولى على جمهور قرائه ومتلقى شعره، وأن يبلغ من نفوسهم مالايبلغه غيره من الشعراء المعاصرين له . وحسبنا فى هذا المقام أن ننظر إلى طبيعة شوقى تلك التى كانت تأبى عليه أن يستغرق فى التأمل فى الجمال الخالد ، والخير المحض، وأن يسترسل فى خيالاته ومشاعره الفردية، على حين يعانى وطنه ذل الاحتلال، أو عناء الطغيان .

والذى يبدو من دراسة شعر شوقى أن الشاعر لايعفى نفسه من قيادة الجمهور إذا تيسر له ذلك. وليس أدل على هذا من قصائده الكثيرة المليئة بالدعوات الإصلاحية، وماتضمنته هذه الدعوات من نصح وإرشاد ، ونقد ولوم، وتأنيب للجمهور أحيانا. هذا فضلا عن دعوته الجمهور إلى أمور مهمة لم يكن يفطن إليها لولا توجيهه، وغير هذا وذاك من الأمور التى تعين على الثبات فى تيار الأحداث الصاخب، والجمهور مع كل هذا غير متنكر لشوقى أو متبرم منه ، ولكنه معجب به، راض عنه كل الرضا، ومتحبب إليه كل الحب .

سابعا:

ومن العوامل التى كان لها أثر واضح فى توجيه شاعرية شوقى تجاه الحوادث والمناسبات أن الناس جميعا كانوا أصدقاءه وخلصاءه، وقد أتيح له أن يكون صديقا وفيا لشخصيات يصعب حصرها ، ويطول بالباحث المقام إذا ماعرض بالتفصيل لها.

وكان شوقى " يعرف شخصيات لاحصر لها، منهم مشهورون، ومنهم مغمورون ، وكانت حياته العامة والخاصة تحفل بالناس من أهل السياسة والصحافة، والشعراء والفنانين والأدباء وغيرهم ... وكان مؤثرا فى هؤلاء الناس ، ومتأثرا بهم " [١].

كما كان صديقا وفيا لكثير من الساسة، والزعماء ، والقادة ، والعلماء ، والأدباء، وغيرهم [٢] ممن سعدت مصر والعرب بحياتهم، وتحسرت القلوب على فراقهم ، لما قدموه من أياد بارة، ومنن جسام، وكم تجاوب شوقى مع هؤلاء بالضيق من المحتل الأجنبى، والدعوة إلى الاستقلال والحرية، وقد سلك فى رثائه لهم مسلكا أثار به كل وجدان، ولم يفته أن يسجل لهم أفضالهم، وأن يخلد بها صحائفهم.

---

(١) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٨٧.

(٢) انظر مقالا بعنوان " شوقى ورجال صنعوا التاريخ " بقلم الأستاذ أحمد زكى عبد الحليم ص ٦٤ ومابعدها (مجلة الهلال اكتوبر ١٩٨٢م).

وكل من عرف شوقيا واتصل به عن كثب، وعرف فيه الرقة، وصفاء النفس، والشعور المرهف، والوفاء النادر، وميل متأصل فى نفسه إلى مجاملة الناس من حوله. ولذلك " كانت داره (كرمة ابن هانئ) مثابة طلاب الحاجات، ومورد المستشفعين من كل ناحية، صغار الناس وكبارهم فى هذا بمنزلة سواء "(١).

ولذلك لانعجب إذا وجدناه ينشئ القصائد ، يستجيب فيها لعواطفه ، إن مدحا أو رثاء ، ولانعجب كذلك إذا وجدنا الجزء الثالث من ديوانه خاصا بالرثاء .

ومن الحق أن نقرر هنا أن هذه الطبيعة الإنسانية ربما ساعدته على أن يكون للمراثى هذا النصيب الكبير فى ديوانه، يؤكد ذلك مانراه فى هذا الرثاء من دموع الإكبار والوفاء، والعرفان بالجميل لكل من كان له فضل من القادة والزعماء، والساسة والعلماء ، وأهل الفضل ، وغيرهم .

ثامنا :

وإذا جاز لنا أن نقول إن لكل شاعر مايهيج وجدانه، فإننا نقول إن وجدان شوقى سرعان مايهيج حين يتحدث فى الموضوعات التى تشغل خاطره وتشغل خواطر الناس من حوله.

فهو شاعر تهزه الحوادث الجارية، السياسية وغير السياسية، العامة والخاصة، وتثير وجدانه المناسبة الطارئة، وهو حريص كل

---

(١) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٨٧.

الحرص على التحدث فيما يحسه ويشعر به إزاء تلك الحوادث العامة والخاصة ، أو المناسبات الطارئة المفاجئة.

يقول الأستاذ عباس حسن :

" شوقى حريص على تسجيل مايحسه إزاء المناسبات الطارئة، والحوادث العامة أو الخاصة المفاجئة ، ولو لم يدركها الناس، ولم تكن وثيقة الصلة بالموضوع الذى يطرقه " (١).

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن شوقيا شاعر إنسانى، لم يترك أمرا خطيرا فى بلاده، أو فى أرجاء العالم إلا وينظم فيه شعرا وجدانيا ، يترجم عن عواطفه وأحاسيسه.

هذه هى المؤثرات القوية التى انفعلت بها نفس شوقي واستجابت لها، فسجلها فى شعره صورا بيانية ناطقة ، وترجمها شعرا بارعا، وفى سبيل هذه المؤثرات القوية راح يسجل الحوادث ، ويتقن تصويرها إتقانا تسايره دواعى الفن ، وإمارات التفنن ، ويتأملها شعوريا تأملا يجعله يستنطق المشاهد والحوادث، ويستخلص منها العبر والعظات، ويثير بها مكامن الشعور والوجدان.

---

(١) المتنبى وشوقى ص ٢٠٣ . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

الباب الأول

موضوعات شعر المناسبات
وموقف النقاد

الفصل الأول

موضوعات شعر المناسبات

أولا : المناسبات الذاتية

الذي يبدو عند التحقيق أن شوقيا شاعر مميز فى الحوادث والمواقف العامة أكثر منه فى شعر التأملات الفكرية والخوالج العاطفية.

ونحن نرى من خلال شعره أن شاعريته لاتتألق فى جو تألقها فى خضم الحوادث السياسية والوطنية، وقد استطاع أن ينظم فى هذه الحوادث قصائد عظيمة، تنم عن طول النفس، وفخامة الأسلوب، وجهارة الرنين الموسيقى، على النحو الذى يلائم هذا النوع من الشعر.

وشوقى ككل شاعر ، بل ككل إنسان له تجاربه الخاصة ووجدانه الفردى ، بصرف النظر عن نوعية هذه التجارب وذلك الوجدان؛ إذ ليس يعقل أن تقنع موهبة عظيمة كموهبة شوقى بما فرضته عليها الظروف من اتجاه موضوعى يعبر عن الأحداث السياسية والاجتماعية العامة.

وربما أن شوقيا كان يرى بعينى رأسه رائد البعث الشعرى الحديث فى مصر (البارودى) يتغنى فى شعر ذاتى رائع بتجارب حياته، فكان من المؤكد أن ينفعل وجدانه هو الآخر بتجارب حياته ومافيها من مشاهدات ، على الرغم من تباين الشاعرين فى التجربة.

ولشوقى قصائد ومقطوعات وأبيات رائعة تعد فى باب الوجدانيات من الطبقة الأولى، وله شعر ذاتى يسبر أغوار النفس، ويتسم بوضوح الشخصية ، لما فيه من عمق الشعور، وصدق الإحساس، وحرارة العاطفة، هذا فضلا عن تمثيلة للبيئة والحضارة والعصر.

والحق أن هذا الشعر قد صدر تحت تأثير حالات نفسية تحول نظر الشاعر فيها إلى داخله ومشاعره، وتأثراته الخاصة، من وجد أو حزن ، أو شعور إنسانى ، أو شكوى، أو حكايات غرامية أو حماسية تقتصر على مواقف الشاعر نفسه، وما إلى ذلك، وإن لم يخرج هذا الشعر فى الغالب عما تعوده الشعراء السابقون .

وقد صور شوقى فى هذا الشعر آلامه وأحزانه، وشكواه مما أصاب وطنه، كما صور آماله وأفراحه، ومرحه وبؤسه، وإن كان الملاحظ أنه لم يجر شوطا بعيدا فى هذا الشعر ، وإنما اكتفى بالقليل منه ، والناظر في ديوانه لايجد فيه من هذا اللون مايقاس بما عند أكثر أقرانه منه .

وأهم ماتشمل وجدانيات شوقى العاطفية :

* ذكريات الصبا و الشباب .
* النزعة الإنسانية .
* مراثى بعض الأصدقاء .
* النزعة التأملية .

* الشكوى .
* غزله فى أغانيه .
* الأناشيد القومية والحماسية.
* وصف الطبيعة.
* الهجاء الذاتى .
* شعر الحكمة.

(١) ذكريات الصبا والشباب :

ومن أهم ماتشمل وجدانيات شوقى شعره الذى قاله فى ذكريات الصبا والشباب وأيام المرح مع الأحباب .

وقد تحدث فى شعره بين الحين والحين عن بعض التجارب .

يتغنى فى بعض قصائده بالخمر والمرح فيقول [١]:

حف كأسها الحبب .... فهى فضة ذهب

أو دوائر درر .... مائج بها لبب

أو فم الحبيب ، جلا .... عن جمانه الشنب

أو يد ، وباطنُها .... عاطل ومختضب

أو شقيق وجنته .... حين لى به لعب

راحة النفوس وهل ... عند راحة تعب

---

(١) الشوقيات : ٩/٢ .

ويقول (١):

رمضان ولى ، هاتهـا ياساقـى... مشتاقة تسعى إلى مشتـــاق
ما كان أكثره على ألافهـــــا ... وأقله فى طاعة الخـــلاق !!
الله غفار الذنوب جميعهـــــا ... إن كان ثم من الذنوب بواقـى
بالأمس قد كنا سجينى طاعـة ... واليوم من العيد بالإطـــلاق
ضحكت إلى من السرور ولم تزل ... بنت الكروم كريمة الأعــــراق
هات اسقنيها غير ذات عواقــب ... حتى نراع لصيحة الصفـــاق.

ومن تصويره الجيد لأيام الصبا وحنينه إليها قوله من قصيدة " تهانى العيد " (٢) :

أبكى الصبا رخيا من أعنتـه .... جرى بنا لمدى اللذات يقطعـــــه
صحا الفؤاد على آثار كبوته .... إلا أمانى لاتنفك تخدعـــــــه
إذا تمثلته فى اللب طار لـــه .... ورفرف القلب حتى خفت يتبعـه
أقول للنفس عنها لا أغالطها .... مضى به زمن هيهات يرجعــــه
إذا صبا المرء ولى غير مرتجع .... فماله بالتصابى لايودعـــــــه

ولشوقى قصيدة فى (غاب بولينيا) المنتزه المشهور فى باريس، وقد تغنى فيها بنسمات من ذكريات شبابه فى تلك الغابة الشهيرة، يقول (٣).

---

(١) الشوقيات : ٧٧/٢، ٧٨.

(٢) الشوقيات المجهولة : ٣٢/٢ دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

(٣) الشوقيات : ٢٧/٢.

ياغاب بولون ، ولــى .... ذمم عليك ، ولى عهــود
زمن تقضى للهــوى .... ولنا بظلك هل يعــود ؟
حلم أريد رجوعــه ... ورجوع أحلامى بعيــد
وهب الزمان أعادهــا ... هل للشبيبة من يعيــد ؟
ياغاب بولون ، وبــى ... وجد مع الذكرى يزيــد

(٢) النزعة الإنسانية :

ولشوقى شعر إنسانى فياض يعكس عاطفة ذاتية نراها مكينة القرار فى أعماق نفسه، وهى برهان على صفاء النفس ، وعطف الأبوة، والوداعة الحبيبة ، والإنسانية الرفيعة.

وقد تجلت هذه النزعة فى أبياته التى خاطب بها ولديه (على وأمينة) . يصف ابنته حين اكتملت حولا فيقول [١] :

أمينتــى فى عامهــا الأول مثــل المــلك
صالحة للحــب من ... كــل ، وللتبــرك
كم خفق القلب لهــا ... عند البكا والضحـك
وكم رعتها العُين فى ... السكون والتحــرك
فإن مشت فخاطرى ... يسبقها كالممســك
ألحظها كأنهــا ... من بصرى فى شـرك
فياجبين السعد لــى ... وياعيون الفــلك
ويا بياض العيش فى الأيام ذات الحــلك
إن الليالى وهــى لا ... تنفك حرب أهلـك
لو أنصفتك طفلــة .... لكنت بنت المــلك !

---

(١) الشوقيات : ٤/٩٨ .

ويذكر دخول ولده على فى السنة الثانية من عمره فيقول [١] :

هذه أول خطـــوة ... هذه أول كبـــوة
فى طريقى لعلـــى ... عنه لايعقل غنـوه
يأخذ العيشة فيــه ...مرة آنا وحلـــوه
يا على إن أنت أوفيــت على سن الفتــوه
دافع الناس ، وزاحم ... وخذ العيش بقـوه
لاتقل : كان أبى! إياك أن تخذو حـــذوه !
أنا لم أغنم من الـنا ...س سوى فنجان قهوه
أنا لم أجز عن المـد ...ح من الأملاك فروه !
أنا لم أجز عن الكتــب من القراء خطـــوه!
ضيع الكل حياتــى ... وعفافى ، والمـروه !

ونحن إذا نظرنا إلى شعر شوقى فى المراثى أو إلى شعره الذي قاله فى شيخوخته يتذكر أيام لهوه وصباه، مثل قصيدته (غاب بولونيـا) التى تغنى فيـهـا بذكريات شبابه التى كانت لـه فى تلك الغابة الشهيرة [٢]، أو إلى شعره فى المحجوبيات [٣]لوجدنا أن مافى هذه الأشعار من شجن يكسبـهـا دون شك نزعة إنسانيـة فياضة.

---

(١) الشوقيات : ١٠٦/٤.
(٢) الشوقيات : ٢٧/٢.
(٣) انظر الشوقيات : ٢١٣/٤ ومابعدها.

(٣) مراثى بعض الأصدقاء :

ليس من شك فى أن حركة الشعر فى مصر قد سارت جنبا إلى جنب مع الحركة الوطنية التى لم يكن لها من هدف سوى مقاومة المحتل الأجنبى ، ولعل هذا هو السبب المباشر فى قيام صلة وصداقة قوية ومتينة بين الزعيم مصطفى كامل وشعراء مصر بصفة عامة، وبينه وبين الشاعر أحمد شوقى بصفة خاصة [(١)]؛ وكانت صيحات مصطفى كامل الوطنية تلقى صدي وتأييدا كبيرا فى قصائد الشعراء عامة وفى قصائد شوقى بصفة خاصة، وقد بدا انسجام كامل بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقى فى كثير من المواقف .

والحق أنه لم يتألق شعر فى رثاء الزعماء الوطنيين مثلما تألق شعر شوقى فى رثاء مصطفى كامل، وليس لهذا الأمر من تعليل سوى أن نقول إن صداقة حميمة كانت تربط بين الشاعر والزعيم، لقد كان مصطفى زعيما فى ميدان الجهاد والوطنية، وكان شوقى زعيما فى مجال الشعر والبيان، هذا فضلا عن أن كلا منهما كان يعتز بصداقته لصحبه، وكان مصطفى من جهته يخصص لقصائد شوقى المكان الذ ى يليق بها فى جريدة (اللواء).

---

(١) انظرا الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، للدكتور محمد محمد حسين (الجزء الأول) هامش ص ١٦٣. المطبعة النموذجية ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

وفى ذلك يقول شوقى [١]:

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى .... وتجل فوق النيرات مكانى

ولم يفت الشاعرأن يشارك الزعيم فى تعهد الروح الوطنية ، وفي غرسها فى نفوس الأجيال . يخاطبه فى قصيدته التي أنشدها فى الذكرى السابعة عشرة لوفاته فيقول [٢] :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلا ... سهرنا عن معلمهم وناما ؟
مهار الحق بغضنا إليهم ... شكيم القيصرية واللجاما
لواؤك كان يسقيهم بجام ...وكان الشعر بين يدى جاما
من الوطنية استبقوا رحيقا ...فضضنا عن معتقها الختاما

وقد رثى الشاعر الزعيم بعد وفاته بقصيدة خالدة تعد من أكبر المراثى ، وقد ترجمت هذه القصيدة عن شعور الحزن والألم فى نفس شوقى، وقد تجلت فى أبياتها حكمة الشعر ، وقوة الوطنية ، وروعة البيان ، ولذلك أثرت فى النفوس تأثيرا عميقا.

يقول شوقى فى مطلع القصيدة [٣]:

المشرقان عليك ينتحبان ...قاصيهما فى مأتم والدانى
ياخادم الإسلام ، أجر مجاهد ... فى الله من خلد ومن رضوان
لما نعيت إلى الحجاز مشى الأسى ... فى الزائرين وروع الحرمان
السكة الكبرى حيال رباهما ... منكوسة الأعلام والقضبان

---

(١) الشوقيات : ١٥٩/٣ . مطابع دار الكتاب العربى ، بيروت .
(٢) الشوقيات : ٢٢٣/١ ، ٢٢٤.
(٣) الشوقيات : ١٥٧/٣ .

لم تألها عند الشدائد خدمــــة ... فى الله والمختار والسلطـان
ياليت مكة والمدينة فازتـــــا ... فى المحفلين بصوتك الرنان
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا ... ماغاب من قس ومن سحبان
جار التراب وأنت أكرم راحـــل ... ماذا لقيت من الوجود الفانى

وبعد أن يذكر مرضه الذى كان سببا فى وفاته، ويشيد بأخلاقه، نراه يخاطب الزعيم فيقول :

ياطاهر الغدوات، والروحات، والـ ... خطرات ، والإسرار ، والإعلان
هل قام قبلك فى المدائن فاتـــح ... غاز بعيد مهند وسنــــان ؟
يدعو إلى العلم الشريف ، وعنده ... أن العلوم دعائم العمــران ؟
لفوك فى علم البـــلاد منــك ... جزع الهلال على فتى الفتيـان

ثم يقول فى ختام القصيدة :

ياصب مصر ، وياشهيد غرامها ... هذا ثرى مصر، فنم بأمـــان
اخلع على مصر شبابك عاليـا ... والبس شباب الحور والولـدان
فلعل مصر من شبابك ترتـدى ... مجداتتيه به على البلـــدان
فلو أن بالهرمين من عزماتـه .... بعض المضاء تحرك الهرمـان
علمت شبان المدائن والقـــرى ... كيف الحياة تكون فى الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها... قبر أبر على عظامك حانـــى
أقسمت أنك فى التراب طهارة ... ملك يهاب سؤاله المكـــان

(٤) النزعة التأملية :

ويراد بها امتداد نظر الشاعر إلى الحياة الإنسانية، وماينبثق عنها، وماتقتضيه من تأمل فى مشاهدها وأحداثها، وماوراء هذه المشاهد وتلك الأحداث.

وكان شوقى رجلا هادئ الطبع، وديع النفس ، وقد عاش فى ظروف حياتية مليئة بالتأملات، وذكريات الماضى البعيد، المليء بتاريخه وأحداثه وعبره . هذا فضلا عن أنه كان يعيش حياة مترفة ناعمة، وقد توافرت له كل عناصر العيش الرخى .

يقول الشاعر حافظ إبراهيم فى المهرجان الذى أقيم لتكريم شوقى بالأوبرا فى أبريل ١٩٢٧م : (١).

تملك ظلال وارفات وأنعم .... ولين عيش فى مصيف ومربع

ومن كان فى بيت الملوك ثواؤه ... ينشأ على النعمى ويمرح ويرتع

فصفا من ثم ذهنه ، وانشحذت قريحته، وأخذ ينظر إلى الدنيا بمنظار الفيلسوف الذى يتأمل أحوالها، ويستمد خواطره من عوالم فسيحة الأرجاء، ويستخلص من ذلك كله مايستخلصه المعلم الناقد، ويزجيه إلى الناس شعرا يحمل طابع المعلم الفيلسوف الحكيم الذي يرسم للناس المثل الأعلى .

والحق إن نظرات شوقى إلى الحياة الانسانية ليست كنظرات الفيلسوف الذي يعتمد التفكير المنطقى، بل هى نفثات عاطفية صدرت عن علاقة الشاعر بالمجتمع من حوله، وقد أرسلها معبرة عما يختلج فى نفسه.

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب الأساتذة : أحمد أمين، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبيارى : ١٢١/١. دار العودة للصحافة والطباعة والنشر ، بيروت ١٩٣٧م.

ومن أمثلتها فى شعره ماقاله فى حقيقة الحياة البشرية :

إنه يقول فى انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة (١):

لا الصعب عندهم بالصعب مركبه ... ولا المحال بمستعصٍ على الطلب

ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها ... بقاتلات إذا الأخلاق لم تصب

وهو نزاع إلى الحرية، وإلى مناهضة الظلم والتعدى على حقوق الآخرين ، يقول عن الحق والقوة (٢) :

ولايبنى الممالك كالضحايا ... ولايدنى الحقوق ولايحق

ففى القتلى لأجيال حياة ... وفى الأسرى فدى لهمو وعتق

وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

وفى ذكرى المولد يقول (٣):

أخا الدنيا، أرى دنياك أفعى ....تبدل كل آونة إهابا

وأن الرقط أيقظ هاجعات ... وأترع فى ظلام السلم نابا

ومن عجب تشيب عاشقيها ... وتفنيهم مابرحت كعابا

فمن يغتر بالدنيا فإنى ... لبست بها فأبليت الثيابا

ويقول عن حقيقة الحياة الدنيا (٤):

ومن يتجرع الآلام حيا ... تسغ عند الممات له اجتراعا

---

(١) الشوقيات : ٦٣/١.

(٢) الشوقيات : ٧٧/٢.

(٣) الشوقيات : ٦٩/١.

(٤) الشوقيات : ٩٩/٣.

ومما قاله فى فلسفة الحياة أبياته التى ذكرها فى رثائه لمصطفى كامل (١) :

الناس جار فى الحياة لغايـــة ... ومضلل يجرى بغير عِنــان
والخلد فى الدنيا - وليس بهين ... عليا المراتب لم تتح لجبـان
فلو أن رسل الله قد جبنوا لمـا ... ماتوا على دين من الأديـان
المجد والشرف الرفيع صحيفـة .... جعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحب من طول الحياة بذلـــة ... قصر يريك تقاصر الأقــران
دقات قلب المرء قائلة لـــه ... إن الحياة دقائق وثوانـــى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها .... فالذكر للإنسان عمر ثانـــى
للمرء فى الدنيا وجم شئونهـــا ... ماشاء من ربح ومن خســران
فهى الفضاء لراغب متطلـــع .... وهى المضيق لمؤثر السلـوان
الناس غاد فى الشقاء ورائـــح .... يشقى له الرحماء وهو الهانى
ومنعم لم يلق إلا لـــــذة ... فى طيها شجن من الأشجـان
فاصبر على نعمى الحياة وبؤسها .... نعمى الحياة وبؤسها سيـان

وفى رثائه للفيلسوف والكاتب الروسى الشهير نجده يقول عن حال الدنيا (٢) :

تساءلنى : هل غير الناس مابهم ؟ ... وهل حدثت غير الأمور أمور ؟
وهل آثر الإحسان والرفق عالـــم .... دواعى الأذى والشرفيه كثير ؟
وهل سلكوا سبل المحبة بينهـــم .... كما يتصافى أسرة وعشـيـر ؟
وهل آن من أهل الكتاب تسامح ... خليق بآداب الكتاب جديـــر ؟

---

(١) الشوقيات : ٣/ ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٢) الشوقيات : ٣/٨٢.

وهل عالج الأحياء بؤسا وشقـوة ... وقل فساد بينهم وشـرور ؟
قم انظر وأنت المالئ الأرض حكمـة.... أأجدى نظيم ، أم أفاد نثير ؟
أناس كما تدرى ، ودنيا بحالهـا .... ودهر رخى تارة وعسيـر
وأحوال خلق غابد متجـدد ... تشابه فيها أول وأخيـر

ونجد مثل هذه التأملات فى قصيدته التى خاطب بها (شكسبير)، يقول (١) :

أما الحياة فأمر قد وصفت لنـا ... فهل لما بعد تمثيل وإدنـاء ؟
بن أماتك قل لى : كيف جمجمة ... غبراء فى ظلمات الأرض جوفاء ؟
كانت سماء بيان غير مقلعـة ... شؤبوبها عسل صافى وصهبـاء
فأصبحت كأصيص غير مفتقـد ... جفته ريحانة للشعر فيحـاء

ومن تأملاته ما قاله فى رثائه ليعقوب صروف (٢):

نعيش ونمضى فى عذاب كلـذة ... من العيش ، أو فى لذة كعذاب
ذهبنا من الأحلام فى كل مذهب .... فلما انتهينا فسرت بذهـاب
وكل أخى عيش وإن طال عيشه ... تراب لعمر الموت وابن تـراب

ومن ذلك ما قاله فى رثائه لرياض باشا (٣).

وهل تقع النفوس على أمان .... كما وقعت على (الحرم) القطاة ؟
وتخلد أم كزعم القول تبلى ... كما تبلى العظام أو الرفـات ؟

---

(١) الشوقيات : ٢/٧.
(٢) الشوقيات : ٣/٣٢.
(٣) الشوقيات : ٣/٤٥ ، ٤٦ .

تعالى الله قابضها إليـــــه ... وناعشها كما انتعش النبـــات

وقد يمتد نظر شوقى إلى ماوراء الطبيعة ومشاهدها . ففى قصيدته (النيل) نراه يتأمل الماضى وأحداثه ومامر عليه من أحداث، ثم يقول [١]:

ماالعالم السفلى إلا طينـــــة ... أزلية فيه تضئ وتغســـــق
هى فيه للخصب العميم خميرة ... يندى بما حملت إليه ويبشـــق
منها الحياة لنا، ومنها ضدهـــا ... أبدا نعود لها ، ومنها نخلـــق
هى كلمة الله القدير ، وروحـه ... فى الكائنات ، وسره المستغلق

(٥) الشكوى :

ومن وجدانيات شوقى العاطفية أبياته الكثيرة التى قالها فى الشكوى ، والتى نشأت عن خيبة أمله فى الحياة، وعن النظر فى حال قومه، وما أصاب وطنه مما يدعو إلى الأسى والخيبة.

ومن هذا القبيل أبياته التى ذكرها فى البائية ، التى نظمها فى ذكرى المولد النبوى ، والتى مطلعها [٢] :

سلوا قلبى غداة سلا وثابا ..... لعل على الجمال له عتابا

وقد كشف الشاعر عن تحسره على شبابه الذى توارى ، وذرف دموعه على ماتمتع به فى هذا الشباب من لذات وطيبات ، ثم انتقل إلى خواطر من الحكمة التى تلفها غلالة مـن الوجـــدان ، وعـــرض

---

(١) الشوقيات : ٧٠/٢.
(٢) الشوقيات : ٦٨/١.

تأملاته فى الحياة وخواطر الناس وأخلاقهم ، وبعد ذلك يدعو إلى الأخذ بحكم الله فيقول :

فلم أر غير حكم الله حكما ... ولم أر دون بابا الله بابا

(٦) غزله فى أغانيه :

إن قصيدة شوقى تبنى على غرض واحد أساسى، ولكنه لايقتصر عليه إلا فى شعر الأغانى والأناشيد ، وبعض قصائد الرثاء، وماعدا ذلك من قصائده فإنها تشمل إلى جانب الغرض الأساسى - فى الأكثر - أغراضا أخرى فرعية كما كان يفعل القدماء .

وقد يبدأ شوقى قصائده بالغزل والنسيب ، أو ببكاء الديار والوقوف على الرسوم والأطلال - تشويقا للسامع ، وجلبا لانتباهه- ثم ينتقل إلى الغرض الذى أنشئت من أجله القصيدة .

مثال الأول قصيدته التى أنشأها فى مشروع ملنر، إنه يقول فى مطلعها [١]:

اثن عنان القلب ، واسلم بـه ... من ربرب الرمل ، ومن سربـه

ومن تثنى الغيد عن بانـه ....مرتجة الأرداف عن كثبـه

ظباؤه المنكسرات الظبا ... يغلبن ذا اللب على لبـه

بيض رقاق الحسن فى لمحة .... من ناعم الدر، ومن رطبـه

ذوابل النرجس فى أصلـه ... يوانع الورد على قضبـه

زن على الأرض سماء الدجى ... وزدن فى الحسن على شهبه

يمشين أسرابا على هينـة .... مشى القطا الآمن فى سربـه

---

(١) الشوقيات : ١/٧٢ ، ٧٣ .

ومثال الثانى قصيدته التى أنشأها بعد عودته من منفاه يستقبل بها بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة .

إنه يقول فى مستهلها [١]:

أنادى الرسم لو ملك الجوابـــا .... وأجزيه بدمعى لو أثابـــا

وقل لحقه العبرات تجـــرى .... وإن كانت سواد القلب ذابـا

سبقن مقبلات الترب عنـــى .... وأدين التحية والخطابـــا

فنثرى الدمع فى الدمن البوالى ... كنظمى فى كواعبها الشبابـا

وقفت بها كما شاءت وشاءوا ... وقوفا علم الصبر الذهابـــا

لها حق ، وللأحباب حـــق ... رشفت وصالهم فيها حبابـــا

وشوقى فى تصديره لقصائده بالغزل والوقوف على الأطلال ليس إلا محاكيا للأقدمين ومقلدا لهم، وكثير من هذا الغزل مصنوع فاتر الحرارة، وليس استجابة لعاطفة مشبوبة، ولا تلبية لوجدان ملتهب، هذا فضلا عن مجاراته للشعراء فى الطريقة وفي الأوصاف التى تشابهوا فيها، وتناقلوها جيلا بعد جيل .

وهنا لابد من أن نقف عند نوع آخر من الغزل لم يتخذه شوقى وسيلة إلى غرضه الأصلى فى القصيدة ، ذلك هو غزله الذى يقصده قصدا في منظومة كاملة يترجم فيها عن شعوره ووجدانه ، ويصور فيها مايعتمل فى نفسه من عواطف مشبوبة وأحاسيس متقدة .

---

(١) الشوقيات : ٦٤/١.

وفى هذا النوع نحس النفثات الغرامية ، وقوة العاطفة ، وحرارة الوجدان، وتخفيفا من الأوصاف والتشبيهات القديمة.
ذلك هو غزل شوقى فى أغانيه .

وشوقى فى هذا اللون يخطو خطوة كانت أقوى من خطوته الأولى فى غزله فى مستهل القصائد ، إنه يصف فيه الحب وعذابه، أو نعيمه، كما يصف دلال المحب ، وكل مايتصل به من لقاء وهجر، ومناجاة وعتاب، هذا فضلا عما أحدثه شوقى من تجديد فى المعانى وخروج بها عن حد الترديد والابتذال.

وقد جاء أكثر هذا الغزل مثالا صادقا للشعور المتدفق،والحس المتوقد، ولهذا أثر بموسيقاه فى كيان قارئه العاطفى تأثيرا قويا، ويحسب الشاعر أنه استطاع أن ينقذ الأغانى من ابتذالها ، وأن يجعلها شعرا حيا يمس شغاف القلوب ، ويحرك المشاعر، ويبعث الهمم . وفى رأيى أنه لو قدر لشوقى أن يسلط أضواء هذا الغزل على الناحية الروحية لكان قد بلغ فيه الغاية .
يقول فى أغنية له [1]:

مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه ... مقروح الجفن مسهده
أودى حرفا إلا رمقا ... يبقيه عليك وتنفذه
يستهوى الورق تأوهه ... ويذيب الصخر تنهده
ويناجى النجم ويتعبه .... ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة .... شجنا فى الدوح تردده

---

(١) الشوقيات : ٢/١٢٢.

وشوقى شاعر حى الوجدان ، ينفعل بما شاهد من آيات الطبيعة، ويخلع على الأشياء أحاسيسه، ويبادلها عواطفه، وقد حاول أن يتخذ من مشاهد الطبيعة إطارا لتجارب عاطفية .

فهو فى قصيدته " زحلة " التى يترنم الشادون ببعض أبياتها يمزج الوصف بأحاسيسه الخاصة ، ويصور فيها انطواء صفحة شبابه، ويطلق نغمات ذاتية مشجية فى الشباب الذى ولى ولم يعد قادرا على الاستجابة لنداء الحب .

لنستمع إليه يقول (١):

شيعت أحلامى بقلب بـــاك .... ولمحت من طرق الملاح شباكى
ورجعت أدراج الشباب ووردِه ....أمشى مكانهما على الأشواك
وبجانبى واهٍ ، كأن خفوقــه .... لما تلفت جهشة المتباكـــى
.....
ياجارة الوادى، طربت وعادنـــى ... مايشبه الأحلام من ذكـــراك
مثلت فى الذكرى هواك وفى الكرى ... والذكريات صدى السنين الحاكى
ولقد مررت على الرياض بربـــوة .... غناء كنت حيالها ألقـــاك
ضحكت إلى وجوهها وعيونهـــا .... ووجدت فى أنفاسها ريـــاك
لم أدر ماطيب العناق على الهـوى ... حتى ترفق ساعدى فطـــواك
وتأودت أعطاف بانك فى يـــدى .... واحمر من خفريهما خـــداك
ودخلت فى ليلين : فرعك والدجى ... ولثمت كالصبح المنور فـــاك
ووجدت فى كنه الجوانح نشـــوة .... من طيب فيك، ومن سلاف لماك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبـــت .... عينى فى لغة الهوى عينـــاك

---

(١) الشوقيات : ١٧٨/٢ ، ١٧٩.

ومحوت كل لبانة من خاطــري .... ونسيت كل تعاتب وتشاكــي
لا أمس من عمر الزمان ولا غـد.... جمع الزمان فكان يوم رضــاك

ومع مافى القصيدة من عبارات مكشوفة، وخدش للحياء ، فإن الشاعر قد فاز فيها بأصفى الألفاظ وأرقها ، وأحلى المعانى وأعذبها ، وبراعة الخيال ، كما أن فيها من حسن اختيار الوزن والقافية مالايحتاج إلى إبانة .

وشوقى وإن حاول أن يغلب فى تصويره العاطفى جانب التضمين على جانب التصريح ، فإننا نجده فى قصيدته " لبنان " يدفع إلى التصريح دفعا، لدرجة تجعلنا نقول إن أبرز مافيها أن الشاعر قد تحرر تحررا غير معهود ، وتخفف إلى حد ما من وقاره.

يقول [١] :

وأغن أكحل من مها " بكفيـه " ....علقت محاجره دمى وعلقتـه
لبنان دارته وفيه كناســـه .....بين القنا الخطار خط نحيتـه
السلسبيل من الجـداول ورده ... والآس من خضر الخمائل قوتـه
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ....فأتيت دون طريقه فزحمتـه
فازور غضبانا وأعرض نافــرا ....حال من الغيد الملاح عرفتـه
فصرفت تلعابى إلى أترابــه ... وزعمتهن لبانتى فأغرتــه
فمشى إلى وليس أول جــؤذر .... وقعت عليه حبائلى فقنصتـه
قد جاء من سحر الجفون فصادنى ... .وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهــدى .. لابن البتول وللصلاة وهبتـه

---

(١) الشوقيات : ٢/١٥١.

ومن غزليات شوقى العاطفية التى نرى فيها مزايا لفظية ومعنوية جليلة ، ونرى أيضا خياله البارع، أغنيته (١):

ردت الروح على المضنى معك ... أحسن الأيام يوم أرجعــــك
مر من بعدك ما روعنـــــى ....أترى يا حلو بعدى روعــك ؟
كم شكوت البين بالليل إلـــى ....مطلع الفجر عسى أن يطلعك
وبعثت الشوق فى ريح الصبا ... .فشكا الحرقة مما استودعـــك

ومن غزلياته العاطفية التى لاتخلو من التجديد وحسن التصرف أغنيته التى مطلعها (٢) :

ياناعما رقدت جفونـــــه ... مضناك لاتهدأ شجونـــــه

وعن أغانى شوقى يقول الدكتور طه حسين (٣):

" ولشوقى فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها، وشوقى شاعر الغناء غير مدافع " .

وعن أغانيه العاطفية يقول الأستاذ عباس حسن (٤):

" ألم يتخذ من أصفى الشعر، وأعف الغزل ، وأكرم المعانى الوجدانية أغانى سيارة ؟ يترنم بها الشيخ المتوقر الجاد، والغلام المرح، فترهف وجدانهم، وتوقظ أنبل العواطف فيهم ، وتخفف عنهم

---

(١) الشوقيات : ١٣١/٢.
(٢) الشوقيات : ١٤١/٢.
(٣) حافظ وشوقى ص ١٩٢.
(٤) المتنبى وشوقى ص ٣٧٤.

حدة الجد ، وعناء الكد ، وتضبط عنان المرح، من غير أن تذهب بوقار، أو تبقى على وحشة، أو تزيد فى جمود، أو عبث . بل تتغنى بها الحرة المحصنة، والكاعب المعصر، فتجد متعة النفس ، ولذة الروح، والترجمة الطاهرة لأعمق المشاعر ، واللحن السماوى البرئ مما يخدش الحياء ، أو يجرح الفضيلة، أو يومئ من قرب أو بعد إلى دنس . هذا إلى صوغ عجب ، ومعنى رفيع ، ووزن موسيقى مطرب ".

ولعل ظاهرة تألق شوقى فى أغانيه ، وبلوغه فيها درجة من الإبداع فى وصف الحب ، تستوقفنا قليلا لنبحث عن تفسير لها، وندرك سرها.

وأظن أن ذلك لايعيينا حينما نرجع قليلا إلى نشأة شوقى ، وكيف تربى فى ظلال النعومة والترف تربية نرى أنها لابد وأن تبقى فى قلبه مواضع خالية لأحاديث الحب، وهتاف الوجدان .

وهنا نجد أنفسنا أمام سؤال لامحيد من الإجابة عليه وهو: هل ذاق شوقى الحب ؟ وهل عرف لوعته ، حتى يقول هذا الشعر الغرامى الرائع ؟

نحن نستبعد أن يكون تصوير شوقى للحب من قبيل الألوان التقليدية التي لا صلة لها بحياته، فمثل هذه الألوان لاتستطيع أن تحيى ثورة الحب على هذه الصورة الرائعة التى جاء بها .

ومن التفسير الحسن لهذه الظاهرة ماذكره الأستاذ أنور الجندى من أن شوقيا " عرف الحب فى صور مختلفة ، وأتيح له أن يشرب

من هذه الكأس ، وأنه حرم كثيرا وأمده هذا الحرمان بهذه الصور من اللوعة والشوق التى تبدو فى ثنايا شعره الوجدانى . ولعلى لا أبعد عن الحقيقة إذا قلت إن شوقيا قد عرف فى الأندلس وجوها تقبض بالجمال ، ونفوسا تفيض بالحنين إلى أصلها العربى .

وهنا فى القاهرة فى هذه المغانى التي كان شوقي يغدو إليها ويروح . كم من وجه وسيم ، وروح نبيل هفا نحو الشاعر الذي كان موضع الإعجاب والتقدير فى كل ندوة أوناد ، وهناك فى باريس حيث قضى الشاعر شطرا من شبابه ، وعاد إليها مرات، هل تركته مدينة النور دون أن تأخذ منه خفق القلب ووجيب الضلوع [١].

يؤكد هذا ويقويه ماذكره الأستاذ عبد المنعم شميس من قصص عشق كثيرة لشوقى [٢]، ومن معرفته لكثيرات من النساء فى حياته [٣] . وغير هذا وذاك مما يؤكد أنه كان من عشاق الجمال.

هذه وقفة لابد منها كى نقف على هذه الظاهرة فى حياة شوقى، ولعلنا بهذا العرض نكون قد جلونا صفحة كان لها أثر خالد فى شعر شوقى وإنتاجه .

(٧) الأناشيد القومية والحماسية :

ومن وجدانيات شوقى أناشيده الحماسية التى ترجمت عن مشاعر الأمة وإحساساتها ، ولم تغفل مآثرها وأمجادها القديمة.

---

(١) أضواء على حياة الأدباء المعاصرين : ١٨/٣.
(٢) شخصيات فى حياة شوقى ص ٥٨.
(٣) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

ويظل شوقى يتغنى بوطنيته كعادته، ويغرد للمواطنين ألحان الحرية، ويسمعهم أسمى معانى الإنسانية في أناشيد وطنية تتصل بالحياة العصرية التى شاهدها .

وقد أيقظت أناشيد شوقى فى النفوس حوافز الحرية، وبعثت فيها حرارة الوطنية ، وكان لها الفضل الأكبر فى رفع الروح المعنوية خلال الأيام العصيبة التى مر بها الشعب العربى، ساعد على ذلك أن شوقيا صاغها وقطعها من ذات نفسه، وعصارة أعصابه ، وكان منفعلا فيها بما يقول، ولهذا عدت من دلائل شاعريته الفذة ، ومهارته الفنية البارعة.

ومما قاله من " نشيد مصر " [١] :

بنى مصر مكانكمو تهيـــا .... فهيا مهدوا للملك هيـــا

خذوا شمس النهار له حليـــا .... ألم تك تاج أولكم مليـــا ؟

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا .... فليس وراءها للعز ركـــن

أليس لكم بوادى النيل عـــدن .... وكوثرها الذى يجرى شهيا ؟!

****

لنا وطن بأنفسنا نقيـــه .... وبالدنيا العريضة نفتديـــه

إذا ما سيلت الأرواح فيـــه .... بذلناها كأن لم نعط شيـــا

وله من " نشيد الكشافة " قوله [٢]

نحن الكشافة فى الـــوادى .... جبريل الروح لنا حـــادى

يارب ، بعيسى ، والهـــادى.... وبموسى خذ بيد الوطـــن

---

(١) الشوقيات : ٤/ ١٩٧.

(٢) الشوقيات : ٤/ ١٩٩.

كشافة مصر وصبيتها .... ومناة الدار ومنيتها
وجمال الأرض وحليتها .... وطلائع أفراح المدن
****

(٨) وصف الطبيعة :

وتظهر ذاتية شوقى فى وصف الطبيعة. ومع أنه وصف الطبيعة بأسلوبه التقليدى فإنه لم يصورها تصويرا نمطيا أو مصنوعا كالمألوف فى كثير من أوصاف الطبيعة فى العصور السابقة، بل نراه يرسم صورا حية يحس القارئ من ورائها بأثر التجربة الصادقة والملاحظة الواعية.

وليس من شك فى أن شوقيا قد تأثر بالحياة الناعمة المترفة التى كان يحياها، وما لعله كان فيها من ألوان الحضارة من حلى وجواهر وما إلى ذلك من الأشياء التى تعينه على أن يأتى بمثل تلك الصور الرائعة فى وصف الطبيعية.

وشوقى فى وصف الطبيعة ينقل عن طبع دافق ، وحس صادق، ومن يقرأ شعره يجد وراءه شاعرا يعيش الحياة، ويصوغها صياغة تنبض بالحرارة والصدق، مهما تكن طبيعة الأسلوب التقليدى .

يقول من أبيات له يصف فيها جزيرة على الجانب الغربى من النيل [١]:

---

(١) الشوقيات : ٢/ ١٤٠.

وخميلة فوق الجزيرة مسهـــا .... ذهب الأصيل حواشيا ومتونـا
كالتبر أفقا والزبرجد ربـــوة .... والمسك تربا، واللجين معينـا
وقف الحيا من دونها مستأذنـا .... ومشى النسيم بظلها مأذونـا
وجرى عليها النيل يقذف فضة .... نثرا ، ويكسر مرمرا مسنونـا
يغرى جواريه بها ، فيجئنهـا .... ويغيرهن بها ، فيستعلينـا
راع الظلام بها أوانس ترتمــى ... مثل الظباء من الربى يهوينـا
يخطرن فى ساح القلوب عواليا.... ويملن فى مرأى العيون غصونا
عفن الذيول من الحرير وغيـره .... وسحبن ثم الآس والنسرينـا

*****

(٩) الهجاء الذاتى :

وإذا كان شوقى قد نظم فى كل الأغراض ، فإنه مع ذلك ليس فى عداد الهجائين كيفا وكما [١]، والهجاء التقليدى ومايشتمل عليه من قسوة وتجريح وإيلام معدوم أو يكاد ينعدم فى شعره، وما ورد له على قلته إنما كان لحاجة دعت إليه .

وليس يخفى أن من الأحداث السياسية والوطنية والاجتماعية وغيرها من الأحداث التى عاصرها شوقى مايفرض على الشاعر أن يسجله فى شعره وأن يوجه اللوم بالتالى إلى من يسيئون للوطن من الخونة وأمثالهم ، ممن يمالئون الأعداء، أو يتوانون فى الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم، ليكونوا عبرة وذكرى .

---

(١) المتنبى وشوقى ، للأستاذ عباس حسن ص ٣٣٩.

وقد تخلص شوقى فى هذا اللون من الشعر من الهوى المريب، والمطمع الذميم ، وتخلص كذلك من الإقذاع والإسفاف.

مثال ذلك قصيدته " خاتمة رياض " فنحن نجده يوجه اللوم والتأنيب لرياض باشا الذى خطب فى افتتاح مدرسة محمد على الصناعية التى أنشأتها فى الاسكندرية جمعية العروة الوثقى عام ١٩٠٤م ، وتملق فى الخطبة اللورد كرومر، وغمره بالمدح والإطراء .

يقول شوقى [١]:

كبير السابقين من الكــــرام ... برغمى أن أنالك بالمـــلام
مقامك فوق مازعموا ولكــــن ... رأيت الحق فوقك والمقـــام
لقد وجدوك مفتونا فقالـــوا .... خرجت من الوقار والاحتشام
وقال البعض : كيدك غير خـــاف ... وقالوا : رمية من غيـــر رام
وقيل : شططت فى الكفران حتى .... أردت المنعمين بالانتقـــام
غمرت القوم إطراء وحمــــدا ... وهم غمروك بالنعم الجســـام
رأوا بالأمس أنفك فى الثريـــا ... فكيف اليوم أصبح فى الرغـام ؟
أما والله ماعلمـــــوك إلا ... صغيرا فى ولائك والخصـام
إذا مالم تكن للقوم أهــــلا ... فمالك فى المواقف والكـلام؟
خطبت فكنت خطبا - لاخطيبا -.... أضيف إلى مصائبنا العظام
لهجت بالاحتلال وما أتـــــاه .... وجرحك منه- لو أحسست- دامى
وما أغناه عمن قال فيــــه ..... وما أغناك عن هذا الترامـى

وله قصيدة أخرى فى وداع اللورد كرومر يقول فيها [٢]

أيامكم ، أم عهد إسماعيـلا ؟ ... أم أنت فرعون يسوس النيـلا؟

---

(١) الشوقيات : ٢٠٨/١، ٢٠٩.

(٢) الشوقيات : ١٧٣/١.

أم حاكم فى أرض مصر بأمره ... لا سائلا أبدا ولا مسئــــولا ؟
يا مالكا رق الرقاب ببأســـه .... هلا اتخذت إلى القلوب سبيلا ؟
لما رحلت عن البلاد تشهـدت .... فكأنك الداء العياء رحيـــلا
أو سعتنا يوم الوداع إهانــة ... أدب لعمرك لايصيب مثيـــلا

******

ولشوقى بعض الأبيات المتفرقة التى يلجأ فيها إلى ذم بعض الأفراد أو الجماعات من غير أن يصرح بالأسماء ولا الأوصاف التى تشير إلى أشخاصهم وتوضح ذواتهم.

مثال ذلك أبياته التى قالها فى قصيدته " بعد المنفى " وتعرض فيها للخونة الذين كادوا له وساعدوا على إخراجه من وطنه، وقد استغنى شوقى بالتلويح والرمز عن التصريح .

يقول :(١)

شكرت الفلك يوم حويت رحلى ... فيالمفارق شكر الغرابــــا !!
فأنت أرحتنى من كل أنـــف ... كأنف الميت فى النزع انتصابا
ومنظر كل خوان ، يرانـــى ....بوجه كالبغى رمى النقابــا
وليس بعامر بنيان قـــوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابــــا

*****

(١٠) شعر الحكمة :

للحكم نصيب كبير فى شعر شوقى ، وقد ذاع شعره فى الآفاق لما فيه من حكم، مع قدرة فائقة على التعبير .

---

(١) الشوقيات : ١/٦٥.

وقد استمد شوقى حكمه مما تقلب فيه العصر من أحوال وأهوال، ومن طبيعة الأحداث والمواقف، وكذلك من ثقافته الواسعة، ومما اكتسبه فى حياته من تجارب ، وربما ظهرت آراؤه فى حكمه من حين إلى حين، وكانت ظروف الحياة تعينه على ذلك؛ وتدفعه إليه دفعا [١].

والأمر الملفت للنظر أن الشاعر يطالعنا بهذه الحكم كلما واتته الفرصة وتقاضاه الحال، وهذا يعنى أن الحكمة فى شعره تعلن عن نفسها فى الوقت المناسب .

ومن حكم شوقى [٢] :

فإن الحياة تفــــل الحد يــ .... د إذا لبسته وتبلى الحجــر

ومن حكمه قوله [٣]:

ودعوا التفاخر بالتراث وإن غلا .... فالمجد كسب والزمان عصـام

إن الغرور إذا تملك أمـــــة .... كالزهر يخفى الموت وهو زؤام

وقوله [٤]:

وللمستعمرين - وإن ألانوا - ..... قلوب كالحجارة لاتـــــرق

....

---

(١) انظر " القدرة على استخلاص الحكم البالغة والمواعظ النافعة " (الفصل الأول من الباب الثانى من هذا البحث) .

(٢) الشوقيات : ١٣٤/١ .

(٣) الشوقيات : ٢٣٦/١.

(٤) الشوقيات : ٧٦/٢ ، ٧٧.

وللأوطان فى دم كل حـــر .... يد سلفت ودين مستحـــــق
ومن يسقى ويشرب بالمنايا .... إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا ؟
ولايبنى الممالك كالضحايـا .... ولايدنى الحقوق ولايحـــق
ففى القتلى لأجيال حيـاة .... وفى الأسرى فدى لهمو وعتـق
وللحرية الحمراء بـــاب .... بكل يد مضرجة يـــدق

وقوله [١]:

ولم أر كالأحداث سهما إذا جـرت ....ولا كالليالى راميا يبعد المرمـى
ولم أر حكما كالمقادير نافـــذا ..... ولاكلقاء الموت من بينها حتما
إلى حيث آباء الفتى يذهب الفتى .... سبيل يدين العالمون بها قدمـا
وما العيش إلا الجسم فى ظل روحه .... ولا الموت إلا الروح فارقت الجسما
ولاخلد حتى تملأ الدهر حكمـــة .... على نزلاء الدهر بعدك أو علما

(١) الشوقيات : ٣/١٤٦ ، ١٤٧.

ثانيا : المناسبات الغيرية

لشوقى شعر يصدر فى الحوادث والمواقف العامة من مدح ورثاء وما إلى ذلك، سواء أكانت هذه المناسبات سياسية، أو دينية، أو اجتماعية من المناسبات التى ألف الناس أن يجامل فيها بعضهم بعضا ، وتشمل ما أعده الشاعر لحفلات التكريم والتأبين وأمثالها.

ويسلك شعر المناسبات الغيرية مسارين أساسيين :

المسار الأول : شعر المجاملات الاجتماعية الخاصة.

المسار الثانى : شعر المواقف والمناسبات ذوات الصبغة العامة.

شعر المجاملات الاجتماعية الخاصة :

وهو شعر الصلات الخاصة، أو هو ذلك الشعر الذى يصدر عن الشاعر فى الصلات الخاصة القائمة على الصداقة والمجاملة والمنفعة وما إلى ذلك . ويشمل شعر المديح ، والتكريم، والتهانى ،والرثاء، والصداقة ونحو ذلك .

(١) المديح :

يشغل المديح حيزا كبيرا من ديوان شوقى . والحق أن من ينظر نشأة الشاعر وبيئته أول حياته الأدبية فإنه سيجد ماينهض به عذرا أو مايشبه العذر لهذا الاتجاه الذى سلكه، فقد كان فى مطلع حياته الأدبية صنيعة الخديوى توفيق، وشاعره الرسمى، كما أنه صار الشاعر الرسمى للخديوى عباس بعد وفاة توفيق ، فكان عليه أن

يمدح كل هؤلاء ، وأن يشيد بهم فى المناسبات المختلفة ، وأن يكون أكثر الشعراء مديحا لهم إذا ماقيس بشعراء عصره.

ومديح شوقى يتجه اتجاهين :

الاتجاه الأول : اتجاه لذوى النفوذ والسلطان من خلفاء وملوك وأمراء وغيرهم ممن أعدوه ليكون الشاعر الرسمى الخاص بهم.

وقد جرى شوقى على مألوف شعراد عصره من رفع التهانى إلى مقام الخليفة، أو حضرة الأمير ، كلما حل موسم من مواسم الزلفى، وأخذ يشدو بذلك فى المناسبات لايرى فيه بأسا . ولم لايفعل ذلك وهو الشاعر الذى يتطلع إلى أعلى مكان ، وقد اندفع يسابق شيوخ الأدب فى عصره وهو بعد لم يزل حدثا، لهذا كله لم يشعر بحرج من المدحة يسوقها أو التهنئة يرفعها، وقد ظل فترة طويلة من عمره يمدح الخديوى ويمجد أعماله . ونحن لو استعرضنا أشعاره مانشر منها ومالم ينشر لوجدنا طائفة ضخمة منها تدور حول مدح الخديوى.

الاتجاه الثانى : اتجاه لذوى المكانة من معارفه من زعماء الوطنية و السياسة وقادة الإصلاح وغيرهم .

كان ذلك حينما تحرر شوقى من قيود الوظيفة . ومن الملاحظ أن الشاعر لم يلجأ فى شعر هذا الاتجاه إلى الأوصاف العامة التى كانت تتردد فى قصائد المديح ، وإنما اتجه إلى الممدوح نفسه، وتحدث عن خصائصه وجلائل أعماله.

والراجح أن مدح شوقى لهؤلاء إنما كان استجابة لعاطفة وطنية حادة، ورغبة صميمة فى تكريم كل مجاهد فى سبيل بلاده، وهنا يمتزج الشعر الوطنى بالمدح، ولذلك يأتي شعر هذا الاتجاه ضمن الشعر الوطنى والقومى .

والحق أن شعر شوقى فى هذا الاتجاه كان أحسن حظا من شعر الاتجاه الأول فى اللفظ، والمعنى ، والخيال، هذا فضلا عن العاطفة القوية والوجدان المتوثب ، بل إن شئت فقل إن شوقيا ينفرد فى شعر هذا الاتجاه بأن له مايستجاد من النظم العالى ، وفي ديباجته الشعرية مايبرهن على جزالة فى المعانى، ونصاعة فى المبانى ، وتوهج أخاذ فى التعبير عن خوالج النفس ، أو تحليق بعيد فى سماء الخيال .

وقد مدح شوقى السلطان عبد الحميد بقصائد عديدة أتى المدح فيها لمجرد المجاملة غالبا، وهذا أضعف الأنواع لغة وأشدها فتورا.

وله فى مدحه قصيدة حماسية طويلة، تتدفق أبياتها تدفقا. ومن أبياتها التى تحدث فيها عن عيد الجلوس [١]:

---

(١) الشوقيات المجهولة : ١/١٢٧ ، ١٢٨.

أسود الترك هبى ثم هبـــى ... وهزى الأرض فى شرق وغرب
بمن يزجى الجيوش ومن يعبى .... ومن يحمى المواقع والحصونا
وحيى من أقامك ياقــلاع ... ومن لك تحت رايته امتنــاع
فليس كهذى بشرى تــذاع ... ولا كجلوس ربك تعلنينــا
أشيرى يا أرامل للسمـــاء ... ويا أيتام ضجوا بالدعـــاء
وياشهدام ناجوا بالبقـــاء ... إذا سمع الملائك هاتفينــا
إذا شاقتكم الأوطان يومــا ... أو اشتقتم بها أهلاوقومــا
فناموا فى أمان الله نومــا .... فكل عند خير الكافلينــا
أرب العيد هذا العيد يجلى ... وكم لك من دعاء فيه يتلى
ولكن " شاعر الإسلام " أعلى ... وأوقع فى نفوس المسلمينـا
ولقد بيضت للملك الليالـــى ... فليل الملك بالزينات حالـــى
وكم لك فى القلوب من احتفال .... يكاد الجسم عنه أن يبينـا

والحقيقة أن الشاعر كان مخلصا كل الإخلاص لعرش الخليفة، وكانت معظم قصائده فيه دفاعا عن الإسلام والخلافة ، يقول فى عيد الخليفة [١]:

عيد الخليفة فى الدنيا وساكنهـا ... عيد الملائك فى عالى مساريها
تطوى السماء إلى (إدريس) زينته ... أشعة بركات فى لياليهــــا
ويزدهى الركن والبيت الحرام بــه ... والقدس والهند قاصيها ودانيها
كأنه النيل فى ماضى مواسمــه .... تعليه مصر وتطربه أهاليهـا
يحييه فيها ويحليه أخو كـــرم .... فى المسلمين أبى النفس عاليها
جار الخليفة لايبغى به بـــدلا .... إذا الرجال تخلت عن مواليهـا

---

(١) المصدر نفسه : ٣٠٧/١ .

يا أمة المصطفى جلت حوائجكم .... فقدموا الخير عل الله يقضيها
لاتسمعوا لمريب فى خلافتكم .... كفى الخلافة مايأتى أعاديها

ومدح شوقى للخلفاء العثمانيين ، وتسجليه لأعمالهم ، وإشادته بأمجادهم ، ونصرتهم للإسلام ، لم يكن من منطلق جنسى، وإنما كان من منطلق العواطف الدينية العميقة، وليس من شك فى أن هذه العاطفة الدينية هى التى جعلته ينظر إلى المسلمين نظرة المسلم القلق، الذى يهوله اضطرابهم وحيرتهم .

وفى رأى شوقى أنه لولا هؤلاء الخلفاء لضاع الملك، وتشتتت أواصر الخلافة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن مصر فى أيامه كانت تابعة للسلطنة العثمانية، ثم إن شوقيا شاعر معجب بالبطولة أنى كانت .

ولننظر قصيدة شوقى " صدى الحرب العثمانية اليونانية " والتى نظمها عقب الحرب التركية اليونانية عام ١٨٩٧م ، تلك الحرب التى انتصرت فيها تركيا انتصارا مبينا، وكان العالم الإسلامى آنذاك وعلى وجه الخصوص فى مصر، يتوجه إلى عرش الخلافة فى الآستانة ، وينتمى إليها انتماء سياسيا ودينيا.

والقصيدة طويلة جدا تشبه الملاحم، وقد قسمها الشاعر إلى أقسام ، خاطب فى مطلعها أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد، وأشاد بانتصار جيوشه ، لأنه يمثل انتصارا للإسلام ، ويقول [١]:

---

(١) الشوقيات : ٤٢/١.

بسيفك يعلو الحق والحق أغلـب ... وينصر دين الله أيان تضــرب

ثم يقول تحت عنوان " أبوة أمير المؤمنين " :

سمابك يا (عبد الحميد) أبوة ... ثلاثون ،حضار الجلالة غيــب

قياصر أحيانا، خلائف تـــارة .... خواقين طورا، والفخار المقلب

نجوم سعود الملك ، أقمار زهــرة .... لوان النجوم الزهر يجمعها أب

تواصوا به عصرا فعصرا فـــزاده ... معممهم من هيبة والمعصـــب

هم الشمس لم تبرح سماوات عزها ...وفينا ضحاها والشعاع المحبـــب

ولو رحنا نفتش فى شعر شوقى وجدنا فيه عشرات القصائد فى مدح الخديوى، فلقد كان فى مقدمة الشعراء الذين مدحوه ، وقد مدحه فى أعياد جلوسه، وفى أعياد ميلاده، وفى أعياد الفطر، وأعياد الأضحى ، وأعياد العام الهجرى، بل إنه كان يمدحه فى أسفاره داخل البلاد، وفى أسفاره للآستانه ، وفى ذهابه للحج، وما إلى ذلك .

والحق إن من يتأمل بعض مدائح شوقى فى عباس يدرك أنها تدخل فى صميم الشعر الوطنى ، وقد اشتملت على تصوير المواقف الجادة التى وقفها الخديوى ضد الاستعمار . ومع هذا فإن الإنصاف يقتضينا أن نقول إن كثيرا من مدائح شوقى فى الخديوى كانت للتزلف، وطمعا فى جاهه ونفوذه، ومثل هذه القصائد لاتصدر عن شعور دفاق ، هذا فضلا عن ضعف المعنى والأسلوب .

ومن مديحه التقليدى أبيات من قصيدة له قالها فى ميلاد ولى العهد ، يقول (١) :

---

(١) الشوقيات المجهولة : ٢٦٩/١ .

أبدا عباس يبنى ركنهـــا ... لبنيه وبنينا باليمـــــين
وأميرى فى غد ساعـــده .... ومن الأشبال لليث معين
يشرق الكرسى من نورهما .... كلما لاحا ، جبينا لجبين

وله قصيدة فى مدح الخديوى وتهنئته بشهر الصيام ، يقول منها [(١)] :

رب الصعيد ورب الريف بث بهما ... الفرقدين وطاول شأو كيـــــوان
سارت بمسعاتك الأخبار وانتقلـت ... بها الركاب وشاق القاصى الدانى
تريد مصر بما تبدى حوادثهــــا ... ليعرف الناس حلمى هل له ثانى
فيا حوادث مهلا فى نصيحتنـــا ... فما تركت لنا لبا بعرفـــــــان
لما بدا الشهر واستقبلت غرتـــه ....لاح الهلال ولاح البدر فـــى آن
وقمت تسطع بالأنوار فى أفـــق ... بالمسلمين وبالإسلام مــــزدان
كأنك البدر فى غايات رفعتـــه .... لو كان للبدر كرسى وتاجـــان
فاهنأ مكانك واهنأ مايلوح بـــه .... لرب يلدز من آثار إحســـــان

وهذه الأبيات من المديح الذى يمتزج بالشعور الوطنى ، وليس من شك فى أنها قد استمدت قوتها وحرارتها من ذلك الشعور الوطنى ، ومن يريد أن يقف بنفسه على هذه الحقيقة فليوازن بين أبيات شوقى التى توجه بها للخديوى والتى كانت خالصة للمديح، وأبياته التى معنا والتى أشار فيها إلى تصرفات كرومر غير المحمودة.

---

(١) المصدر نفسه : ١٠١/١.

ولشوقى قصيدة تائية مطلعها [١] :

إلى عرفات الله يا خير زائر ... عليك سلام الله فى عرفات

وقد مدح فيها الخديوى بمناسبة سفره إلى الأراضى الحجازية لأداء مناسك الحج ، وقد اعتمد شوقى على قدر كبير من المعانى الإسلامية التى تجعل ممدوحه حاكما عظيما يتمتع بمزايا الخلفاء ومايحاطون به من قداسة .

وقد غالى شوقى فى هذه القصيدة إلى درجة تجعل ممدوحه يتجاوز صف الأمراء ليكون فى صفوف الرسل والأنبياء . فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم يحييه، والخلفاء الراشدون يثنون عليه ، والملائكة يزفون له تحيات الله، والملوك خير حداة لعيسه، وجبريل يرافقه ، والكعبة المشرفة ترحب به ، وزمزم تجرى بين عينيه أعينا من الكوثر المعسول ، وغير هذا وذاك من وسائل التزلف .

ولم يفته أن يتوجه للخديوى طالبا منه أن يطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال المسلمين ، وماهم فيه من تأخر، بينما غيرهم من الأمم تخطو فى طريق النهضة خطوات سريعة .

يقول :

إذا زرت - يامولاى - قبر محمد ... وقبلت مثوى الأعظم العطرات

....

فقل لرسول الله ياخير مرسل .... أبثك ماتدرى من الحسرات

شعوبك فى شرق البلاد وغربها .... كأصحاب كهف فى عميق سبات

---

(١) الشوقيات : ٩٨/١.

بأيمانهم نوران : ذكر وسنـــــة .... فما بالهم فى حالك الظلمـات
وذلك ماضى مجدهم وفخارهـــم .... فما ضرهم لو يعلمون الآتى ؟
وهذا زمان أرضه وسمـــــاؤه ... مجال لمقدام كبير حيـــاة
مشى فيه قوم فى السماء وأنشئوا ... بوارح فى الأبراج ممتنعـــات
فقل : رب وفق للعظائم أمتـى .... وزين لها الأفعال والعزمـات

والملاحظ أننا حين نقرأ قصائد شوقى فى المديح، نجدها تستهل غالبا بالغزل على عادة القدماء من شعراء العرب ، ويبدو أن هذه النزعة التقليدية المسيطرة قد لازمته فى أغلب ما قال من شعر المديح .

على أننا نراه وبخاصة بعد أن نضجت شاعريته، وتحددت معالم شخصيته ، يحطم هذه القيود البالية، ويخرج عن هذا النسق التقليدى الجامد، ولم يجر على لسانه ذكر الغزل والأطلال كما عودنا فى مدائحه السابقة. ولعل هذا راجع إلى تبنيه للشعر الوطنى والقومى، وانطلاقه على سجيته ينظم فى الشعب قصائده التى تنبض بالمشاعر الصادقة وتتدفق القوة من خلال أبياتها. فالقصائد فى هذه المرة ليست مجاملة مفروضة ، وإنما هى استجابة لحالة نفسية أحسها الشاعر وانفعل بها .

(٢) القصائد التكريمية :

وهى مختارت من شعره نظمها فى المهرجانات، وحفلات التكريم ، وقد تشمل الخديوى، وهذه تحدثنا عنها فى شعر المديح، كما تشمل الجماعات، وبعض الأدباء ، والأصدقاء ونحو ذلك. ،

ويلمس قارئ هذه القصائد إبداع شوقى الفنى ، وقدرته على تحريك المشاعر والعواطف ، كما يلمس الجزالة المثيرة ، وديباجة من النظم الفخم الجارى على طريقة عمود الشعر العربى .

وفى الاحتفال الذى أقيم بمناسبة إنشاء نقابة للصحفيين العرب عام ١٩٢٠م نجده يقول قصيدة تكريمية يحيى فيها الصحافة ، ومنها (١) :

لكل زمان مضى آيـــــة ... وآية هذا الزمان الصحــف
لسان البلاد ونبض العبـــاد ... وكهف الحقوق وحرب الجنف
تسير مسار الضحى فى البلاد ... إذا العلم مزق فيها السدف
وتمشى تعلم فى أمـــــة ... كثيرة من لايخط الألـف !
فيافتية الصحف صبـــرا إذا ... نبا الرزق فيها بكم واختلف
....

ومن قصائده التكريمية قصيدة قالها فى تكريم المحسنين من مديرية المنوفية إلى العلم ، وقد ألقى هذه القصيدة فى الحفل الذى أقامته نقابة المعلمين فى دار الجامعة المصرية بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٢٠م ، وفيها يقول (٢) :

العلم والبر هذا مهرجانهمـــا ... فى ظل دار تناغى النجم أركانا
قل للسراة المنوفيين لابرحـــوا ... للفضل أهلا وللخيرات عنوانـا
يا أفضل الناس فى الإيثار سابقة ... وأحسن الناس فى الإحسان بنيانـا
وهبتمو هبة للعلم ماتـــركت ... بالبائسين ولا الأيتام حـــرمانا

---

(١) الشوقيات : ١٥٩/١.

(٢) الشوقيات المجهولة : ١٦٩/٢.

قلدتمو (المعهد المشكور)عارفـة ...لم يألها لكم التعليم عرفانـــــا
يد على العلم يمضى فى إذاعتها... حتى تسير بها الأجيال ركبانـــا
بيضاء فى يومه خضراء فى غده...إذا هى انبسطت فى الأرض أفنانا

وعلى رأس قصائده التكريمية تلك القصيدة التي شارك فيها باحتفال الشباب ابتهاجا بنجاة إخوانهم السجناء الذين أدانتهم ظلما المحاكم العسكرية الإنجليزية ، وقد أشار فى هذه القصيدة إلى ما كان يشغل بال الناس فى ذلك العهد من الحوادث ، كما أشار إلى الجلاء والاستقلال التام، وإلى تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢م الذى أقر الإنجليز فيه بإنهاء الحماية .

يقول (١):

لما بنى الله القضية منهـــــم ... قامت على الحق المبين عمـــودا
جادوا بأيام الشباب وأوشكـــوا... يتجاوزون إلى الحياة الجـــودا
طلبوا الجلاء على الجهاد مثوبة ...لم يطلبوا أجر الجهاد زهيـــدا
والله : مادون الجلاء ويومـــه... يوم تسميه الكنانة عيـــــدا
وجد السجين يدا تحطم قيـــده... من ذا يحطم للبلاد قيـــودا ؟
ربحت من(التصريح) أن قيودها...قد صرن من ذهب ، وكن حديـدا
أو ماترون على (المنابع) عـدة... لا تنجلى ، وعلى الضفاف عديدا؟
يافتية النيل السعيد:خذوا المدى... واستأنفوا نفس الجهاد مديـــدا
وتنكبوا العدوان واجتنبوا الأذى... وقفوا بمصر الموقف المحمــــودا
الأرض أليق منزلا بجماعـــة ... يبغون أسباب السماء قعـــودا
أنتم غدا أهل الأمور ، وإنمـــا ... كنا عليكم فى الأمور وفـــودا

(١) الشوقيات : ١/١١١.

فابنوا على أسس الزمان وروحه ... ركن الحضارة باذخا وشديدا

وتشمل قصائد شوقى التكريمية الأدباء. ومن ذلك مقطوعته التى كرم بها الشاعر حافظ ابراهيم فى حفل تكريم أقيم له فى ٣١مايو عام ١٩١٢م بمناسبة حصوله على الرتبة الثانية .

يقول شوقى[١]:

نظمنا سنى التهنئات نزفهـــــا... إلى علم بين التوابغ مفــــرد

ولو أن من أقلامه فى أكفنـــا... وقلنا لجاء القول إنجيل مهتـــد

ومن يتعهد للرجال صداقـــة ... يطب بالذى سر الصديق ويسعد

ومن يحفظ الخلان يحفظ مدارعا... عليه ويستمثر غراس التـــودد

وماحفظ إلا بناء مكــــــارم ...وزاخر عرفان وهضبة ســـؤدد

فتى يرفع الأشعار ماشاء قدرها... وترفعه الأشعار رتبة مخلـــد

ويلقى عليه فى السلام وفى الوغى... رجاء يراع أو رجاء مهنـــــد

ألا عند مصر والبيان وأهلـــه ... يد للمعالى صادفت حافظ اليـد

ويلقى قصيدة تكريم للشاعر خليل مطران بمناسبة الإنعام عليه بالوسام المجيدي الثالث فى حفل أقيمت لهذا القصد بدار الجامعة المصرية برئاسة الأمير محمد على ، يقول [٢]:

لبنان مجدك فى المشـــارق أول ... والأرض رابية وأنت سنـــام

وبنوك ألطف من نسيمك ظلهم ... وأشم من هضباتك الأحـــلام

أخرجتهم للعالمين جحاجحـــا ... عربا وأبناء الكرام كــــرام

---

(١) الشوقيات المجهولة : ٢/١٤٣.

(٢) المصدر نفسه : ٢/١٥٠.

بين الرياض وبين أفق زاهـــر .... طلع المسيح عليه والإســلام
هذا أديبك يحتفى بوسامـــه .... وبيانه للمشرقين وســـــام
ويجل قدر قلادة فى صــدره .... وله القلائد سمطها الإلهـــام
صدر حواليه الجلال وملــؤه ... كرم وخشية مؤمن وذمـــام
حلاه إحسان الخديو وطالمـــا... حلاه فضل الله والإنعـــــام
لعلاك يامطران أم لنهـــاك أم... لخلالك التشريف والإكـــرام
أم للمواقف لم يقفها ضيغــم... لولاك لاضطربت لها (الأهرام)
هذا مقام القول فيك ولم يــزل... لك فى الضمائر محفل ومقام
غالى بقيمتك الأمير محمـــد... وسعى إليك يحفه الإعظــام
فى مجمع هز البيان لـــواءه... بك فيه واعتزت بك الأقــلام
ابن الملوك تلا الثناء مخلــدا... هيهات يذهب للملوك كــلام
فمن البشير لبعلبك وفتيـــة ... منهم هنا لك فرقد وغمـــام
بين المعرة فى الفخار وبينهـــا... نسب تضئ بنوره الأيــــام
يبلى المكين المفخم من آثارها... يوما وآثار الخليل قيـــــام

وله قصيدة عنوانها " تحلية كتاب " [١] ، وقد قيلت بمناسبة تأليف " كتاب فتح مصر الحديث" لحافظ بك عونى .

ونحن نجده فى هذه القصيدة يباهى بماضى اللغة العربية الفصحى، ويشيد بمالها من أصالة وقوة، وينفى عنها الجمود والعجز عن مجاراة العصر، ثم يستدل على قدرتها على التعبير عن كل ماتجيش به العواطف ، فيصورها وعاء كبيرا وسع كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم، واستوعب حضارة العرب فى عصورهم الزاهية.

---

(١) الشوقيات : ١٨/٢.

ومثل هذا قصيدته التى قالها فى تقريظ مجموعة مقالات فكرى أباظة ، ومنها [١]:

أبنى أباظة إن رافع بيتكــــم ... جعل المكارم فيه والأحسابــــا
جاء الكرام بكم فما قصر تمـــو ... عن والد وولد تمو الأنجابـــا
جربت ود شبابكم وكهو لكـــم ... فوجدت شيبا عليه وشبابـــا
اختالت الشرقية الكبرى بكــم ... وجلت فتاكم فى البيان شهابــا
لسن إذا صعد المنابر أو نضـــا ... قلما شأى الخطباء والكتابـــا
وتراه أرفع أن يقول دنيــــة ... يوم الخصومة أو يخط سبابـــا
لايخدم الأمم الرجال إذا همـــو ... لم يخدموا الأخلاق والآدابـــا
فكرى أذقت اليوم عفو بلاغـة ... وزففت محضا للنهى ولبابـــا
من كل فاكهة وكل فكاهـــة ... هيأت نحلا واتخذت شرابـــا
مازلت تنثر كل طيبة الشـــذى ... حتى جمعت من الزهور كتابـــا
فأتى ألذ من الربيع وعهــــده ... فضلا وأمتع فى البدائع بابـــا
تلك الرسائل لو شكوت بها الهوى... عطفت على أهل الهوى الأحبابـــا
عاتبت فيها الحادثات بحكمـة .... حتى لكدت تلينهن عتابـــا
ولو استطعت شفيت من أضغانها... شيع الرجال بمصر والأحزابـــا

(٣) الرثاء :

يلفت نظرنا ونحن نتابع مرثيات شوقى - سواء منها ما أثبته فى ديوانه، وما ألقى به إلى الصحف والمجلات - أنها تنطلق من روافد خمسة:

---

(١) الشوقيات المجهولة : ١٧٦/٢.

أولها : هو رثاء المجاملات الواجبة ، كما فى رثائه للأميرة فاطمة إسماعيل، ورثائه لأم المحسنين والدة الخديوى عباس الثانى .

ثانيها : أعلام الوطنية والجهاد والمصلحين ، وأغلب مراثيه فى هؤلاء .

ثالثها : صلة الأدب ورحم الفن ، وكان من عادة شوقى أن يرسل أناته حين يفقد الأدب علما من أعلامه، أو يودع الفن واحدا من أهله.

رابعها: أواصر الرحم والقربى .

خامسها: رثاء إنسانى عام .

والملاحظ أن شعر الرثاء عند شوقى يشغل حيزا كبيرا فى ديوانه، فهو أكبر الشعراء نظما فيه إذا قيس إلى شعراء عصره، ولهذا كان للرثاء جزء خاص فى ديوانه.

وشعر شوقى فى الرثاء - وعلى وجه الخصوص بعد عودته من منفاه - يشعر القارئ بشجا الشاعر، وتأثره البالغ، ولوعته الصادقة، وعلى وجه الخصوص إذا كان المرثى صديقا حميما، أو علما من أعلام الوطنية والجهاد، أو العلم والأدب ، عرفه الشاعر واطلع على ما اشتهر به، وما كان له من دور فى الحياة، وماقدم من خير عام للبلاد، وما أن تمتد يد الموت إلى واحد من هؤلاء حتى ينطلق شعر شوقى يؤدى واجب العزاء ، ويندب الراحلين، وينتحى فى كل مرة ناحية ينتزعها من مآثر الفقيد ، وماتوحى به مواهبه.

وإذا ماتعرض شوقى لرثاء زعيم وطنى ، وجدناه يعرض لكفاحه فى سبيل الوطن، ومحاولاته لرد طمع العادين عليه، وهو مع كل هذا يصور قضايا الوطن، ويصور فاجعته وخسارته، ومن شارك هؤلاء هذا المبدأ وتلك العقيدة كان بكاء شوقى عليه لاينقطع، ودمعه لايجف .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك رثاؤه لمصطفى كامل [١]وسعد زغلول، فقد رثى الزعيمين رثاء حارا مؤثرا، وانطلق شعره فى ذكراهما يهتف بالمبادئ التى آمنا بها، وبذلا حياتهما من أجلها.

وكان يتخذ من ذكرى الواحد منهما فرصة يذكر فيها بمبادئه، ويشيد بجهاده، ويدعو إلى اقتفاء آثاره حتى يتحقق للوطن مايرجو، وكثيرا ما كان يتجه إليه بالشكوى من انقسام الأمة، واختلاف الساسة، وتوزعهم إلى شيع وأحزاب تهدم قضية الوطن ، وترد السهم إلى نحره، فتفجعه فى حريته وتقضى على أمانيه.

فهذا زعيم مصر " مصطفى كامل" باعث الروح الوطنية فى قلوب المصريين ، وهو المجاهد الرائد لإنهاء الاحتلال البريطانى فى وادى النيل، وقد توفي عام ١٩٠٨م وهو فى عنفوان شبابه وإبان جهاده، فبكته مصر جميعها، وشاركها فى البكاء عليه كل الأقطار العربية والشرقية .

---

(١) مع أن الشاعر كان على صلة وثيقة بمصطفى كامل ، نحن نجد رثاءه له يأتى متأخرا، وقد اعتذر له الأستاذ أحمد زكى عبد الحليم (انظر أحمد شوقى شاعر الوطنية ص ١١٨، المكتبة الناصرية ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٥٨م).

وقد رثاه شوقي بقصيدة خالدة تعد من عيون الشعر، وتظهر مكانة الزعيم عند شوقى . يقول فى مطلعها [(١)]:

المشرقان عليك ينتحبان .... قاصيهما فى مأتم والدانى

ويخاطب الزعيم فيها فيقول :

ياطاهر الغدوات ، والروحات ، وال ... خطرات ، والإسرار ، والإعلان

هل قام قبلك فى المدائن فاتـــح ... غاز بغير مهند وسنـــان ؟

يدعو إلى العلم الشريف ، وعنده ... أن العلوم دعائم العمـــران ؟

وقد طلب واصف غالى من الشاعر إسماعيل صبرى التوسط للصلح بين المسلمين والنصارى ، فكان جواب الشاعر صبري ممثلا فى قصيدة تحدث فيها عن مصاب المسلمين والقبط فى بطرس غالى [(٢)]:

ويبدو أن شوقيا أراد أن يشارك فى هذه المناسبة فنظم قصيدة مطلعها [(٣)]:

قبر الوزير ، تحية وسلامـــا .... الحلم والمعروف فيك أقامـــا

ومحاسن الأخلاق فيك تغيبت ... عاما ، وسوف تغيب الأعواما

وقد أكد فيها على الصلة بين المسلمين والقبط فقال :

الحق أبلج كالصباح لناظـــر ... لو أن قوما حكموا الأحلاما

أعهدتنا والقبط إلا أمـــة .... للأرض واحدة تروم مراما ؟

---

(١) الشوقيات : ٣/ ١٥٧ .

(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، للدكتور محمد محمد حسين : ١/ ١٢١، ١٢٢.

(٣) الشوقيات : ١٤٤/٣.

نعلى تعاليم المسيح لأجلهم ... ويوقرون لأجلنا الإسلاما
الدين للديان جل جلاله ... لو شاء ربك وحد الأقواما
ياقوم بان الرشد فاقصوا ماجرى ... وخذوا الحقيقة وانبذوا الأوهاما
هذى ربوعكم وتلك ربوعنا ... متقابلين نعالج الأياما
هذى قبوركم وتلك قبورنا ... متجاورين جماجما وعظاما
فبحرمة الموتى وواجب حقهم ... عيشوا كما يقضى الجوار كراما

وله فى رثاء سعد زغلول قصيدة صادقة العاطفة، يقول فى مطلعها (١):

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها

ولم يفته أن يشيد بثورة ١٩١٩م وما كان للزعيم من دور فى إشعالها، وذكر أنه غذاها بقلمه ولسانه فقال فى تصوير رائع، وخيال محلق، وقوالب موسيقية تهز المشاعر:

ولد الثورة سعد حرة ... بحياتى ماجد حر نماها
ماتمنى غيرها نسلا، ومن ... يلد الزهراء يزهد فى سواها
سالت الغابة من أشبالها ... بين عينيه وماجت بلباها
بارك الله لها فى فرعها ... وقضى الخير لمصر فى جناها
أو لم يكتب لها دستورها ... بالدم الحر، ويرفع منتداها ؟
قد كتبناها، فكانت صورة ... صدرها حق وحق منتهاها
جال فيها قلما مستنهضا ... ولسانا كلما أعيت حداها

---

(١) الشوقيات: ١٧٤/٣.

والحقيقة أن القصيدة باكية ، وتمثال رائع لجلال سعد وجهاده، وزعامته ، وفيها إشارات إلى الصداقة التى جمعت بينهما كقوله:

أين من عينى نفسى حـرة ... كنت بالأمس بعينى أراهـا ؟
كلما أقبلت هزت نفسهـا ... وتواصى بشرها بى ونداهـا
وجرى الماضى، فماذا ادكرت ... وادكار النفس شئ من وفاها ؟
ألمح الأيام فيهـا ، وأرى .... من وراء السن تمثال صباهـا
لست أدرى حين تندى نضرة ... علت الشيب ، أم الشيب علاها
....
أين منى قلـم كنت إذا .. . سمته أن يرثى الشمس رثاها ؟
خاننى فى يوم (سعد) وجرى ... فى المراثى فكبا دون مداهـا

ومن مراثى شوقى قصيدته في الشهيد عمر المختار [١]، البطل الطرابلسى الذى جاهد الإيطاليين فى مواقع عديدة ، فما كان منهم بعد هذا الجهاد إلا أن قبضوا عليه وأعدموه شنقا عام ١٩٣١م دون أن يراعوا شيخوخته .

وفى المرثية يحمل شوقى على الإيطاليين ، وينذرهم بثأر أعنف وأشد ، ويصور رفات الشهيد على أنه كنز من الحماسة المتقدة، وأخذ يستنهض بها العرب ليثأروا لشهدائهم ، وأيقن أنهم سيورثون أبناءهم البغض للإيطاليين ، والتمرس على نضالهم حتى يتم طردهم من البلاد.

ثم يستنهض الشعب الليبى ، ويدعوه إلى الدقة والحرص فى اختيار زعمائه فيقول :

---

(١) الشوقيات : ١٧/٣.

يا أيها الشعب القريب ، أسامــع ... فأصوغ فى عمر الشهيد رثاء؟
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمــت ... أذنيك حين تخاطب الإصغــاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالــــد ... فانقد رجالك ، واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... واحمل على فتيانك الأعبــاء

وهكذا شاعت قصائد الرثاء على لسان شاعرنا، والحق أن هذه القصائد لم تقتصر على أقاربه، أو الذين لهم به صلة خاصة ، ولم تقتصر كذلك على عظماء مصر ونابغيها ، ولكنها اتجهت وجهة إنسانية عامة لا تتأثر فى التمجيد والتخليد بالقرابة، أو صلات الوطن أو الدين ، فقد رثا من منطلق إنسانى شكسبير ، وهيجو، وتولستوى وفردى [١] وغيرهم مما يؤكد أن أغلب مراثيه - إذا تجاوزنا عن مراثيه التى كان فيها مجاملا مسايرا هوى غيره - إنما كانت تعظيما للمآثر ، وتقديرا للمجد، وتسجيلا للمحامد والعظمة.

ويتصل بالرثاء التأبين ، وللشاعر قصائد تأبينية تعد من أفضل ماقيل فى هذا الباب، فقد ابتعد فيها عن الأوصاف العامة ، والنعوت المبهمة التى لجأ إليها المتقدمون من الشعراء ، وهو فى هذه القصائد يعتمد على الصفات المميزة، والخصائص الفردية التى لاتصلح لكل رثاء ، وفى الوقت نفسه لاتخلط بين سمات المرثى وسمات غيره.

---

(١) انظر الشوقيات : ٦/٢، و ٣ / ٧١ ، ٨٠ ، ١٨٠.

وفى الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم مصطفى كامل نجده يقول قصيدة تعد مثالا لوطنية الزعيم، وما قدم من تضحيات فى سبيل الوطن .

وقد تناول فى مطلع القصيدة ما أصاب البلاد من تناحر وشقاق، ثم انتقل إلى ذكرى الزعيم ، فأخذ يمجده ويعطيه حقه من الإشادة .

ويذكر مناقب الزعيم فيقول (١):

شهيد الحق ، قمم تره يتيمـــا .... بأرض ضيعت فيها اليتامـــى
أقام على الشفاه بها غريبـــا .... ومر على القلوب فما أقامـــا
سقمت ، فلم تبت نفس بخيـر ... كأن بمهجة الوطن السقامـــا
ولم أر مثل نعشك إذ تهـادى .... فغطى الأرض ، وانتظم الأناما
تحمل همة ، وأقل دينـــــا .... وضم مروءة ، وجوى زمامـــا
وما أنساك فى العشرين لمـــا .... طلعت حيالها قمرا تمامـــا
يشار إليك فى النادى وترمى .... بعينى من أحب ومن تعامـــى
إذا جئت المنابر كنت قســـا .... إذا هو فى عكاظ علا السناما
وأنت ألذ للحق اهتـــــزازا .... وألطف حين تنطقه ابتسامـــا
وتحمل من أديم الحق وجهـــا .... صراحا ، ليس يتخذ اللثامـــا

وفى ذكرى استقلال سورية وذكرى شهدائها ، يقف الشاعر فيمجد شهداءها ، ويشيد بصفة خاصة بيوسف العظمة الزعيم السورى الذى تصدى للجيوش الفرنسية ، وأبلى بلاء حسنـــا فـــي

---

(١) الشوقيات : ١/٢٢٣.

موقعة ميسلون ، واستشهد عام ١٩٢٠م ، فكان من طلائع شهداء الحرية والعروبة .

والشاعر يصور قبر الزعيم ، ويهتف بالجهاد للثأر من الفرنسيين ، كما ينوه ببطولة الزعيم فى دفع الجيش الفرنسى الباغى، وكيف ثبت فى مكانه حتى نال الشهادة التى تنتظره، يقول(١) :

سأذكر ماحييت جدار قبر ... بظاهر جلق ركب الرمالا
مقيم ما أقامت (ميسلون) .... يذكر مصرع الأسد الشبالا
لقد أوحى إلى بما شجانى .... كما توحى القبور إلى الثكالى
تغيب عظمة العظمات فيه .... وأول سيد لقى النبالا
كأن بناته رفعوا منارا .... من الإخلاص أو نصبوا مثالا
ترى نور العقيدة فى ثراه .... وتنشق من جوانبه الخلالا
مشى ومشت فيالق من فرنسا .... تجر مطارف الظفر اختيالا
ملأن الجو أسلحة خفاقا .... ووجه الأرض أسلحة ثقالا
وأرسلن الرياح عليه نارا .... فما حفل الجنوب ولا الشمالا
سلوه : هل ترجل فى هبوب .... من النيران أرجلت الجبالا ؟
أقام نهاره يلقى ويلقى .... فلما زال قرص الشمس زالا
وصاح ترى به قيد المنايا ....ولست ترى الشكيم ولاالشكالا
فكفن بالصوارم والعوالى .... وغيب حيث جال وحيث صالا
إذا مرت به الأجيال تترى .... سمعت لها أزيزا وابتهالا
تعلق فى ضمائرهم صليبا .... وحلق فى سرائرهم هلالا

---

(١) الشوقيات : ٢ / ١٨٣.

وهذا هو الزعيم السورى فوزي الغزى ، أحد سراة الزعماء فى الشام، وأحد ألوية الثورة العربية في نهضتها العظمى ، لقد توفى وأقيمت له حفلة تأبين فى دمشق عام ١٩٢٠م ، وألقيت فيه هذه القصيدة.

وقد بكى شوقى هذا البطل السورى العربى الذى كان يذود عن وطنه كما زاد أسلافه، وختم القصيدة بدعوة المجاهدين إلى أن يرعوا وحدتهم ، فقال [١]:

من مبلغ عنى شبولة جلـــق .... قولا يبر على الزمان ويصدق ؟
بالله جل جلاله ، بمحمــــــد .... بيسوع، بالغزى لا تتفرقـــوا
قد تفسد المرعى على أخواتها .... شاة تند من القطيع وتمـــرق

ولم يقتصر رثاء شوقى على هؤلاء فحسب ، وإنما كان رثاؤه يتسع ليشمل كل من ناصر القضية المصرية والعربية، أو كان له دور فى بناء صرح الوطنية المصرية والقومية العربية .

شعر المواقف والمناسبات ذوات الصبغة العامة:

وهذا اللون من الشعر لايرتبط بأشخاص بأعينهم، وإنما يرتبط بالمناسبات العامة ، وطنية كانت ، أم قومية ، أم دينية ، أم اجتماعية .

---

(١) الشوقيات : ٣/ ١١٣.

وقد عنى شوقي فى شعره بهذا اللون من الشعر، كما عنى به معاصروه ، ولما كان شديد الاتصال بما كان يجول فى نفوس المواطنين من آمال ورغائب ، وما كانوا يعانونه من متاعب وآلام ، فإننا نجده يجري شوطا بعيدا فى هذا السبيل ، فأرسل كثيرا من شعره فى المناسبات المختلفة يناصر فيه التطلعات الوطنية والقومية، كما يناشد دور العلم والمؤسسات الخيرية، والمشاريع الاقتصادية ، والنهضة ، وما إلى ذلك.

على أن الشاعر قد تفوق فى استنهاض المواطنين ، وحثهم على النهوض من كبوتهم ، والسير قدما نحو المجد والكرامة ، وكثيرا ما كان يخاطبهم بلغة الرفيق بهم ، الحامل لهم شعلة الأمل .

والحق أنه كان لظروف العصر أثر بالغ فى تطلع الشاعر إلى هذه المناسبات ، وقد اضطرته هذه الظروف أن يقف فى المناسبات العامة يقود الجماهير ، ويردد نغمات الوطنية والقومية، هتافا بحياة العرب ، أو بكاء على ماضيهم المضيع ، أو تحزنا لما يعانونه من ظلم واضطهاد ، ثم تطلعا إلى الحياة الحرة الكريمة.

(١) المناسبات الوطنية :

وشعر شوقى فى المناسبات الوطنية يدور حول مواضيع وطنية يستمدها من واقع الحال ومن عبر التاريخ، وقد نظم شوقى هذه الموضوعات فى مواقف عديدة كان الهدف من ورائها استنهاض الهمم، أو توجيه النظر إلى الأمور التى تجعل الأمة تتطلع إلى

الاستقلال والحرية ، والحق أن الشاعر قد مس فى هذه المواقف كثيرا من القضايا الوطنية والأحداث ذات البال فى أيامه .

والحق أن فى ديوان شوقى جولات واسعة فى الاتجاه الوطنى، ويمكن القول إن هذا الاتجاه هو الموضوع الرئيسى لعواطف الشاعر غالبا ، وقد عاش شوقى عمره فى عهد كانت مصر والأمة العربية تجتاز فيه مرحلة نضالها فى طريق التخلص من المحتل الأجنبى .

وماذا تنتظر مصر من شوقى وقد منيت بمحتل أجنبى ، يستأثر بالنفوذ فيها، ويعوق سبل نهضتها وينهب خيراتها ، وينتهك حرماتها؟

إنها لا تتوقع منه إلا أن يمدها بما يذكيها ، وأن يتجاوب مع ثوراتها، ويصاحبها بتأييده وتوجيهه ، والحق أن الشاعر قد سلك حيال نهوضه بهذا الواجب مسالك شتى، وقد تجلت فى كل تلك المواقف شخصيته المصرية الصميمة ، التى تدل على شغفه بوطنه، وغيرته على مصالحه بل إنه كان يلتمس المناسبات التى يشير فيها من قريب أو من بعيد لهذه الوطنية الغالية، فى أشعار تصور تماما روح الأمة وأحوالها.

فحين اضطر اللورد كرومر إلى الاستقالة فى ابريل عام ١٩٠٧م على إثر الحملات الشديدة على سياسة الاحتلال فى حادثة

دنشواى، وتحمل اللورد عبئا كبيرا من التبعات الجسام[١] - نجد الشاعر ينظم قصيدة مؤثره فى وداعه [٢]، وقد تجلت فى أبياتها الروح الوطنية والنقمة على المحتل الأجنبى .

يقول شوقى :

أيامكم أم عهد إسما عيلا ؟ .... أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟

أم حاكم فى أرض مصر بأمره .... لا سائلا أبدا ولا مسئـــولا ؟

يامالكا رق الرقاب ببأســـه .... هلا اتخذت إلى القلوب سبيلا ؟

لما رحلت عن البلاد تشهدت .... فكأنك الداء العياء رحيـــلا

أو سعتنا يوم الوداع إهانـــة .... أدب لعمرك لايصيب مثيـــلا

ولم يفته أن يضرب له المثل بفرعون فيقول :

أحسبت أن الله دونك قـدرة ؟ .... لايملك التغيير والتبديلا ؟

الله يحكم فى الملوك، ولم تكن .... دول تنازعه القوى لتـدولا

فرعون قبلك كان أعظم سطوة .... وأعز بين العالمين قبيـــلا

وبعد مرور عام على حادث دنشواى الذى وقع عام ١٩٠٧م ينظم شوقى قصيدة وطنية يذكر فيها الحادث، ويتكلم عن كل مايتصل به، ويذكر مالاقاه أبناء دنشواى من ذل واستعباد ، وظلم ، ثم يتحدث عن السجناء ويطلب العفو عنهم ، فيقول [٣]:

---

(١) انظر مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، للأستاذ عبد الرحمن الرافعى ص ٢٤٠ . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢م.

(٢) الشوقيات : ١/١٧٣.

(٣) الشوقيات : ١/٢٤٤ ، ٢٤٥ .

يادنشواي، على رباك ســـــلام ... ذهبت بأنس ربوعك الأيـــــام
شهداء حكمك فى البلاد تفرقـــوا .. .هيهات للشمل الشتيت نظـــام
مرت عليهم فى اللحود أهلـــــة .... ومضى عليهم فى القيود العام
كيف الأرامل فيك بعد رجالهـــا ؟ ...وبأى حال أصبح الأيتـــــام ؟
عشرون بيتا أقفرت ، وانتابهـــا ....بعد البشاشة وحشة وظـــلام
ياليت شعرى : فى البروج حمائـم ... أم فى البروج منية وحمــام ؟
" نيرون " لو أدركت عهد " كرومر" ... لعرفت كيف تنفذ الأحكـــام !
نوحى حمائم دنشواى وروعـــــى ... شعبا بوادى النيل ليس ينـام
إن نامت الأحياء حالت بينــــــه ... .سحرا وبين فراشه الأحـــلام
متوجع، يتمثل اليوم الـــــذى ... ضجت لشدة هوله الأقـــدام
السوط يعمل، والمشانق أربـــع ..... متوحدات والجنود قيـــــام
والمستشار إلى الفظائع ناظـــر .... تدمى جلود حوله وعظـــام
فى كل ناحية وكل محلـــــة .... جزعا من الملأ الأسيف زحـام
وعلى وجوه الثاكلين كآبـــــة ... وعلى وجوه الثاكلات رغـــام

والحق أن من يقرأ قصائد شوقى فى المناسبات الوطنية قبل النفى ، يرى أنه كان يأخذ بالتقية، وأنه كان يتحوط فى هذه القصائد ويحترس ، وكان يتجنب مهاجمة الإنجليز بصراحة فى أغلب الأحيان، ومن يلاحظ قصائده التى تمجد وطنية الخديوى عباس، وميوله المصرية ، وكفاحه المرير الذى كان يخوضه ضد الاحتلال الأجنبى ، يجده يتأثر فى مهاجمته للإنجليز بتقلبات الخديوى صراحة

وغموضا [١]، وربما أن هذا هو السبب الذي جعله لايتناول حادثة دنشواى إلا بعد مرور عام عليها وبعد رحيل كرومر.

وها هى ثورة ١٩١٩ قد نشبت ، فهال الحكومة البريطانية تفجرها وانتشارها فى أنحاء البلاد، وفكرت فى وضع حد للعنف والحفاظ على سلطاتها فى وادى النيل ،وكان ذلك يتم بإيفاد لجنة إلى مصر لدراسة الحالة و البحث عن قواعد للاتفاق مع المصريين ، وهذه اللجنة سميت " لجنة ملنر " (٢).

وحين وصلت اللجنة إلى مصر كانت المظاهرات قد عمت كل أنحاء البلاد، وكان أعضاء الجمعية التشريعية قد اجتمعوا بمنزل الزعيم سعد زغلول فى التاسع من مارس عام ١٩٢٠م وقرروا بطلان الحماية على مصر، ورفض ماتبرمه الحكومة البريطانية مما ينتقص من الاستقلال التام لمصر والسودان.

---

(١) انظر الشوقيات المجهولة : ١/ ١٠٠-١٠٣. وانظر كذلك الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، للدكتور محمد محمد حسين : ١٦٣/١، ١٩٥ ، ١٩٦.

(٢) انظر ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى : ٨٩/٢ ومابعدها . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

وحين رأى أحمد شوقى أعضاء الوفد يختلفون فى المشروع الذي عرضته اللجنة نراه يلقى قصيدة (١) ، تعجب فيها من اختلاف المصريين فقال :

مابال قومى اختلفوا بينهم .... فى مدحة المشروع أو ثلبه ؟
كأنهم أسرى ، أحاديثهم ..... فى لين القيد ، وفى صلبه
ياقوم هذا زمن قد رمى .... بالقيد واستكبر عن سحبه

ويسرد نقاط المشروع الهامة، كى يبغض المصريين فيه من ناحية، ويحملهم صراحة إلى عدم الأخذ به فيقول :

الليث، والعالم من شرقه .... فى هيبة الليث إلى غربه
قضى بأن نبنى على نابه .... ملك بنينا وعلى خلبه
ونبلغ المجد على عينه .... وندخل العصر إلى جنبه
ونصل النازل فى سلمه .... ونقطع الداخل فى حربه
ونصرف النازل إلى رأيه .... يقسمه بالعدل فى شربه
يبيح أو يحمى على قدره .... حق القرى والناس فى عذبه
أمر عليكم أو لكم فى غد .... ماساء أو ماسر من غبه
لاتستقلوه فما دهركم .... بحاتم الجود ولا كعبه

*****

وبعد تعسر المفاوضات بين بريطانيا ومصر، اضطرت الأولى إلى إصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م، وهو يتضمن انتهاء الحماية البريطانية على مصر، والاعتراف بها دولة مستقلة ذات

---

(١) الشوقيات : ٧٢/١.

سيادة، وإلغاء الأحكام العرفية بمجرد إصدار الحكومة قانون التضمينات، مع احتفاظ إنجلترا ببعض الأمور التى من شأنها أن تقضى على أية سيادة داخلية أو خارجية كما تنتقص من كيان الدستور وسلطانه [١].

ويقف الشعراء مواقف مختلفة حول التصريح، وكان لشوقى موقف واضح منه ذكره فى قصيدة له عنوانها " مشروع ٢٨ فبراير" [٢].

وقد نصح الأمة بالتريث فى مطلع القصيدة فقال :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبـــا .... وفاز بالحق من لم يأله طلبـــا

وما قضت مصر من كل لبانتهـــا ....حتى تجر ذيول الغبطة القشبـــا

فى الأمر مافيه من جد فلا تقفوا ... من واقع جزعا ، أو طائر طربـــا

لاتثبت العين شيئا أو تحققـــه ....إذا تحير فيها الدمع واضطـــربا

والصبح يظلم فى عينيك ناصعه .... إذا سدلت عليك الشك والريبـــا

إذا طلبت عظيما فاصبرن لـــه ....أو فا حشدن رماح الخط والقضبـا

ولاتعد صغيرات الأمور لـــه ....ان الصغائر ليست للعلا أهبـــا

ولن ترى صحبة ترضى عواقبهـــا .... كالحق والصبر فى أمر إذا اصطحبا

إن الرجال إذا ماألجئوا لجئـــوا ....إلى التعاون فيما جل أو حزبـــا

ويدرك الشاعر أن السيادة الناقصة والدستور الناقص خير من الحماية ومن الحكم الاستبدادى معا، ولذلك يبين مزايا المشروع، ويعده خطوة إلى الامام فيقول :

---

(١) انظر فى أعقاب الثورة المصرية، للأستاذ عبد الرحمن الرافعى : ١/ ٤٠ ومابعدها . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩م.

(٢) الشوقيات : ١/ ٧٦.

لاريب فى أن خطا الآمال واسعة ....وأن ليل سراها صبحه اقتربـــا
وأن فى راحتى مصر وصاحبهـا ....عهدا وعقدا بحق كان مغتصبـا
قد فتح الله أبوابا، لعل لنــــا ....ورا ءها فسح الآمال والرحبــــا
لولايد الله لم ندفع مناكبهـــا ....ولم نعالج على مصراعها الأربا
لا تعدم الهمة الكبرى جوائزهـا .... سيان من غلب الأيام أو غلبـا
وكل سعى سيجزى الله ساعـيه ....هيهات يذهب سعى المحسنين هبا
لم يبرم الأمر حتى يستبين لكم .... أساء عاقبة أم سر منقلبـــــا؟
نلتم جليلا ولاتعطون خردلـة .... إلا الذى دفع الدستور أو جلبا

وكانت مصر قد اتخذت من يوم ١٣ نوفمبر عيدا للجهاد الوطنى، لأنه فى ذلك اليوم عام ١٩١٨ تطلعت آمال مصر إلى الحرية والاستقلال، فأوفدت ثلاثة من زعمائها هم (سعد زغلول، وعبد العزيز فهمى، وعلى شعراوى) إلى دار المحتل البريطانى يطالبونه بمبدأ " حق تقرير المصير " الذي جاء فى شروط الهدنة العامة، والسماح لهم بالسفر لعرض القضية (١).

وتيمنا بهذا اليوم، وبما يحمله من بشرى الحرية والاستقلال، أقيمت فيه الاحتفالات، ونظم الشعراء فيه القصائد يتغنون فيها بالمجاهدين وبتضحياتهم .

وقد شارك شوقى فى هذه المناسبة، ففى يوم ١٣ من نوفمبر عام ١٩٢٦ينظم قصيدة عنوانها "عيد الجهاد" (٢)يقول فى مطلعها:

---

(١) انظر حوليات مصر السياسية، للأستاذ أحمد شفيق (الحولية الثالثـة) ص ٥٨٧، ٥٨٨ . مطبعة حوليات مصر . الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م.
(٢) الشوقيات : ٢٩/٤.

خطونا فى الجهاد خطا فساحا ... وهادنا ، ولم نلق السلاحـــا
رضينا فى هوى الوطن المفدى ... دم الشهداء والمال المطاحـــا
ولما سلمت البيض المواضـــى ... تقلدنا لها الحق الصراحـــا
فحطمنا الشكيم سوى بقايـا ... إذا عضت أريناها الجماحـــا
وقمنا فى شراع الحق نلقـــى .... وندفع عن جوانبه الرياحـــا
نعالج شدة ونروض أخـــرى .... ونسعى السعى مشروعا مباحا
ونستولى على العقبات إلا .... كمين الغيب والقدر المتاحـــا
ومن يصبر يجد طول التمنى .... على الأيام قد صار اقتراحـا
وأيام كأجواف الليالـــى .... فقدن النجم والقمر اللياحـــا
قضيناها حيال الحرب نخشى .... بقاء الرق ، أو نرجو السراحـــا

ثم يشير إلى الدستور فيقول :

وبالدستور ، وهو لنا حيـــاة ... نرى فيه السلامة والفلاحـــا
أخذناه على المهج الغوالـــى ... ولم نأخذه نيلا مستماحـــا
بنينا فيه من دمع رواقـــا ... ومن دم كل نابتة جناحـــا ..
... لما ملأ الشباب كروح سعـد ... ولا جعل الحياة لهم طماحـــا
سلوا عنه القضية ، وهل حماها .... وكان حمى القضية مستباحـا ؟
وهل نظم الكهول الصيد صفـــا ....وألف من تجاربهم رداحـــا ؟
هو الشيخ الفتى ، لو استرحت .... من الدأب الكواكب ما استراحا
وليس بذائق النوم اغتباقـــا .... إذا دار الرقاد ولا اصطباحـــا
فيالك ضغيما سهر الليالـــى .... وناضل دون غايته ولا حـــى
ولاحطمت لك الأيام نابـــا .... ولاغضت لك الدنيا صياحـــا

وفى الاحتفال بيوم الجهاد عام ١٩٢٨ ينظم قصيدة (الحرية الحمراء) [١] ومطلعها :

في مهرجان الحق أو يوم الـدم ... مهج من الشهداء لم تتكلـــم
يبدو على هاتور نور دمائهــا .... كدم الحسين على هلال محــرم
يوم الجهاد بها كصدر نهــاره .... متمايل الأعطاف مبتسم الفم
طلعت تحج البيت فيه كأنهـا .... زهر الملائك فى سماء الموســم
لم لاتطل من السماء وإنمـا .... بين السحاب قبورها والأنجم ؟

والقصيدة طويلة ، صور الشاعر فيها كثيرا من البطولات ، وخص الشهداء بالذكر، وقدم لهم التحية، وأشار أنه لو كتب له أن يشهد أحداث الثورة لكان قد نظم فيها ملحمة رائعة ، يقول :

يوم البطولة لو شهدت نهــــاره ... لنظمت للأجيال مالم ينظـــم
غبنت حقيقته وفات جمالهــــا ... باع الخيال العبقرى الملهـــم
لولا عوادى النفى أو عقباتـــه ... والنفى حال من عذاب جهنـــم
لجمعت ألوان الحوادث صــورة .... مثلت فيها صورة المستسلـــم
وحكيت فيها النيل كاظم غيظه ... وحكيته متغيظا لم يكظم

هذه هى مواقف شوقى فى المناسبات الوطنية ، وهذه هى قصة الوطنية فى مصر، جرت على ثرى الوطن أحداثها، وسجلها شوقى شعرا، وقد صحبها وهى ضعيفة هزيلة ، حتى اشتد عودها وأصبحت عملاقا يوحد الصفوف، ويجمع الشمل المبدد ، ويطيح بمؤامرات الدول الاستعمارية الباغية.

---

(١) الشوقيات : ١٨٧/٢.

والحق إن الشاعر قد انتهز المناسبات على أحسن مايكون الانتهاز، وأدى فيها واجب الوطنية على خير ماترجوه أمة من شاعر، وهذا مايجعلنا نقرر أن الشعر الوطنى هو المجال الذى خلق له شوقى، وأنتج فيه خير نتاج ، بل إنه سيعرف به دائما.

وياليت هؤلاء الذين تجاهلوا شاعرية شوقى، وتعمدوا القدح إلى شعره، قد قصروا جهودهم على الوقوف أمام تلك المناسبات التى نظم فيها أشعاره التى استهوت المصريين جميعا، وياليتهم نظروا فى أغراض هذا الشعر ومعانيه وأخيلته .

(٢) مواقف الإصلاح السياسى :

لقد استطاع الإنجليز أن يبثوا فى الشعب المصرى روح الفرقة، كى يضعفوا من مقاومة المصريين لهم ، وكانوا بمازينوه لبعض الخونة سببا فى انقسام أبناء الأمة الواحدة إلى أحزاب وشيع، ومايتبع ذلك من اضطرابات داخلية ، وظهور حرب لاهوادة فيها بين الأحزاب[١].

وكان شوقى وراء هذه الاضطرابات ، يدعو للقضاء على فتن الأحزاب، وينادى بالاستقرار، ويشيد بالوحدة، وماتؤديه من تحقيق لسيادة الوطن على أرضه، وسيطرته على موارده، يدفعه فى ذلك كله حبه الشديد لمصر ورغبته فى العمل على رفعة شأنها.

---

(١) انظر خمسة من شعراء الوطنية : ٣٥/١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

والحقيقة أن الشاعر أخذ يتعرض لهذه الصراعات فى المناسبات المختلفة ، وكان لقصائده العديدة دور فى احتواء هذه المشكلة بكل جذورها ، كما كان لها دور لاينكر فى مباركة الخطوات الإيجابية التى ظهرت على الأفق السياسى، والتى قام بها بعض الحزبيين من منطلق المصلحة الوطنية.

ولشوقى قصيدة نظمها بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم مصطفى كامل، وقد تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر ، وحذر من الفتنة فقال : [١]:

إلام الخلف بينكم ؟ إلا ما ؟ .... وهذى الضجة الكبرى علاما ؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض .... وتبدون العداوة والخصاما ؟
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت .... على حال ولا السودان داما ؟
وأين ذهبتم بالحق لما ..... ركبتم فى قضيته الظلاما ؟
لقد صارت لكم حكما وغنما .... وكان شعارها الموت الزؤاما
وثقتم واتهمتم فى الليالى .... فلا ثقة أدمن ولا اتهاما
شببتم بينكم فى القطر نارا .... على محتله كانت سلاما
إذا ما راضها بالعقل قوم .... أجد لها هوى قوم ضراما
تراميتم فقال الناس : قوم .... إلي الخذلان أمرهم ترامى

وفى عام ١٩٢٦م عقد مؤتمر سياسى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب المصرية على إنقاذ الدستور برئاسة الزعيم سعد زغلول .

---

(١) الشوقيات : ٢٢١/١.

وحينئذ ينظم شوقى قصيدة عنوانها " المؤتمر " (١) ، وقد ذكر فيها المجتمعين بوحدة الصفوف ، وأخذ يبشر بالتئام الأحزاب فقال :

بشرى إلى الوادى تهز نباتـــه .... هز الربيع مناكـــب الأرواح
تسرى ملمحة الحجول على الربى ... وتسيل غرتها بكل بطـــاح
التامت الأحزاب بعد تصـــدع ... وتصافت الأقلام بعد تلاحـــى
سحبت على الأحقاد أذيال الهوى ... ومشى على الضغن الوداد الماحى
وجرت أحاديث العتاب كأنهـــا ... سمر على الأوتار والأقـــداح
ترمى بطرفك فى المجامع لاترى .... غير التعانق واشتباك الـــراح

ويصور آثار الائتلاف فيقول:

شتى فضائل فى الرجال كأنهـا .... شتى سلاح من قنا وصفـــاح
فإذا هى اجتمعت لملك جبهـةً ..... كانت حصون مناعة ونطـــاح
الله ألف للبلاد صدورهـــــا .... من كل داهية وكل صــــراح
وزراء مملكة ، دعائم دولـــة .... أعلام مؤتمر ، أسود صبـــاح
يبنون بالدستور حائط ملكهم .... لا بالصفاح ولا على الأرمـاح
وجواهر التيجان مالم تتخـــذ .... من معدن الدستور غير صحاح

والقصيدة طويلة ، صور شوقى فيها الانقسام ومغباته، كما صور الائتلاف وماينتج عنه من نتائج حميدة، ونصح الشباب فى ختامها فبين لهم الائتلاف كوسيلة لتحبيبهم فيه ، وترغيبهم فى أسباب النهوض والتقدم .

---

(١) الشوقيات : ١٥٣/٢.

وقد كان لاجتماع الأحزاب الثلاثة (حزب الوفد ، والحزب الوطنى، وحزب الأحرار الدستوريين)معا فى هذا المؤتمر أثر فى نتائجه، فقد تم الاتفاق على ميثاق وطنى يطالب بإعادة الحياة الدستورية وإجراء انتخابات وطنية ، وهذا ما وافقت عليه الأغلبية العظمى من المجتمعين [١].

وقد سجل شوقى هذه المناسبة السياسية العظيمة، وأشاد بهذا المؤتمر ، ولا عجب فهو يوم اتحد فيه الشمل ، ووقف الجميع صفا واحدا يتطلعون إلى خدمة الوطن ، وتحقيق حريته واستقلاله.

وكان من عادة شوقى فى مثل هذه المواقف أن يقدم حلولا يراها معقولة وصالحة للقضاء على الخلاف، فندد من ثم بالحكم المطلق ، وأخذ يدعو للشورى، ورآها الضمان الأكيد للوحدة، ولايخفى أن تقديمه لمثل هذه الحلول إنما هو أثر من آثار ثقافته ، وتأثره بآراء علماء القانون والاجتماع والسياسة ، يضاف إلي ذلك أن الشاعر مولع أيما ولع بالتاريخ الإسلامى ، هذا فضلا عن صلاته القوية بالزعماء ، أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ، وغيرهم والنتيجة الطبيعية لكل هذا أن يتطلع إلى مايتطلعون إليه ، وأن يطمح إلى مايطمحون إليه .

---

(١) انظر فى أعقاب الثورة : ٢٥٤/١ ومابعدها .

إنه يمجد الدستور ، ويشيد بنظام الشورى فيقول [١]:

الحق أبلج ، والكنانة حـــرة .... والعز للدستور والإكبـــار
الأمر شورى ، لايعيث مسلـط .... فيه ، ولا يطغى به جبــار
إن العناية للبلاد تخيـــــرت .... والخير ماتقضى وما تختار
عهد من الشورى الظليلة نضرت ..... آصاله ، واخضلت الأسحار
تجنى البلاد به ثمار جهودهــــا ..... ولكل جهد فى الحياة ثمـار

هذه صيحات شوقى فى المواقف السياسية، فلقد دعا للوحدة فى فترة من أحلك الفترات السياسية فى تاريخ مصر ، حيث اضطربت القيم، وانتشرت الفتن ، وعم الفساد ، وكانت الحزبية البغيضة التى مزقت صفوف الوطنيين ، وتحولت إلى عامل فساد ، بحيث كاد كل حزب للآخر من أجل مصلحته الخاصة .

وجملة القول أن الشاعر قد أدى واجبه على أكمل وجه وأتم صورة ، فهتف ضد الخلاف والفرقة التى كانت تحدث من آن لآخر بين الزعماء والقواد ، وبين طوائف الشعب .

(٣) المناسبات العربية :

لم تكن الدعوة إلى القومية العربية قد اتضحت معالمها فى مطلع هذا القرن ، لأن كل دعوة غير الدعوة إلى الجامعة الإسلامية كانت تلاقى الإعراض والشك ، يضاف إلى ذلك أن وجود المحتل الأجنبى كان دافعا لتعلق المصريين بالخلافة العثمانية لتكون قوة لهم ضد المحتل الأجنبى .

---

(١) الشوقيات : ٢/ ١٦٥.

وعلي الرغم من ذلك فقد أخذت فكرة القومية العربية تعمل عملها فى نفوس العرب، ساعد علي ذلك خيبة أملهم فى وعود الإنجليز الذين أظهروا تآمرا واضحا على القومية العربية بإصدارهم وعد بلفور عام ١٩١٧ والذي ينص على التزام بريطانيا بالسعى لتحقيق وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وقد استجاب الشعراء فى مصر [١] لهذه الرابطة القوية التى تربط بين العرب ، فتأثروا بالأحداث العربية ، وتجاوبوا مع آمال الشعب العربى فى مصر ومشاعره القومية ، وبدأت تسرى فى أشعارهم تيارات قومية، تشيد بالعروبة، وتفخر بما كان لها من مجد فى تاريخها الطويل، واتخذوا من هذا حافزا لاستنهاض العرب ، ليستأنفوا المسيرة ، ويهبوا لاسترجاع ذلك المجد ، فتتوحد من ثم جهودهم، ويجتمع شملهم .

وكما كان شوقى شاعر مصر كان شاعر العروبة ، وكان موقفه العربى راجعا إلى ماكان يخامره من شعور قومى واسع، وإلى تطلعه للحفاظ على الكرامة العربية .

وقد تدفق الشعور العربى فى شعره بعد الحرب الأولى ، شأنه في ذلك شأن شعراء مصر [٢] ، فأخذ يظهر فى شعره الاهتمام بالأمة العربية ، يفرح لأفراحها ، ويحس بآلامها ، ويشيد بتاريخها ، ويمجد حماسة أبنائها على الفناء فى سبيلها والعمل على

---

(١) انظر القومية العربية فى الشعر الحديث ، للدكتور أحمد الحوفى ص ٣ ومابعدها . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م.

(٢) انظر أعلام الجيل الأول من شعراء العربية فى القرن العشرين ، للأستاذ أنيس المقدسى ص ٢٦.

تحريرها ، وقد بلغ فى ذلك كله درجة جعلته يتلقف المناسبات، ويذكر بالمقومات التى تربط العرب بعضهم ببعض ، ومن يراجع شعره يجده يدعو بصدق إلى الجهاد العربى فى سبيل الاستقلال، كما يجده ناقما على السياسة الاستعمارية ، ومحاولتها بسط السيطرة على البلاد العربية .

وبعد الحرب الأولى عام ١٩٢٠م نكبت سوريا بالاستعمار الفرنسى ، وبدأ نضال السوريين ضد الفرنسيين ، واشتد قمع الفرنسيين، وبخاصة بعد ثورة حلب بقيادة " هنانو " وتطورت الأحداث عن ثورة عارمة عام ١٩٢٥ عمت أنحاء البلاد ، ودارت فيها معارك حربية واسعة بين السوريين من جانب والفرنسيين من جانب آخر وأغارت طائرات فرنسا على دمشق ، وقذفتها بمدافعها، وأحرقتها بقنابلها، وجرت الدماء فى شوارع دمشق .

فى هذه المناسبة وقف شوقى ينبض قلبه بما ينبض به أبناء سورية، فلقد هالته النكبة ، وانفعل بها ، وتأثر أيما تأثر بأخلاق المستعمر، المبنية فى كل أحوالها على الغدر والدناءة.

وفى هذه النكبة ينظم شوقى قصيدته " نكبة دمشق " [١] ، إنه يستهلها بتحية دمشق والجزع لما أصابها ، يقول :

---

(١) الشوقيات : ٧٤/٢.

سلام من صبا (بردى) أرق ... ودمع لايكفكف يادمشـــق
ومعذرة اليراعة والقوافـــى ....جلال الرزء عن وصف يـدق
وذكرى عن خواطرها لقلبـى ....إليك تلفت أبدا وخفـــق
وبى ممارمتك به الليالـــى ....جراحات لها فى القلب عمـق

ويذكر فى أسى وحسرة مجد العروبة وتاريخها المجيد ، فيصور دمشق بأنها مرضع الإسلام وحاضنته ، وصورة مزهوة بتتويج صلاح الدين لها ، وصور حضارة دمشق بأنها أصل الحضارات ، وربط بين الدولة العربية فى دمشق والدولة العربية فى الأندلس .

يقول فى خيال لاتجا فى صورته الحق ولاتنافى الصدق :

ألست - دمشق - للإسلام ظئرا ... ومرضعة الأبوة لاتعـــق ؟
صلاح الدين تاجك لم يجمـــل .... ولم يوسم بأزين منه فـــرق
وكل حضارة فى الأرض طالــت .... لها من سرحك العلوى عـــرق
سماؤك من حلى الماضى كتـــاب .... وأرضك من حلى التاريخ رق
بنيت الدولة الكبرى وملكـــا .... غبار حضارتيه لايشـــق
له بالشام أعلام وعـــــرس .... بشائره بأندلس تـــــدق

ويحمل على الفرنسيين فيقول :

وللمستعمرين - وإن ألا نوا - .... قلوب كالحجارة لاتـــرق
رماك بطيشة ، ورمى فرنسـا ... أخو حرب به صلف وحمـق
إذا ماجاءه طلاب حـــــق .... يقول : عصابة خرجوا وشقوا
دم الثوار تعرفه فرنســـا .... وتعلم أنه نور وحـــق

جرى فى أرضها فيه حيــاة ..... كمنهل السماء وفيـــه رزق
بلاد مات فتيتها لتحيـــا ..... وزالوا دون قومهم ليبقـــوا
وحررت الشعوب على قناها .... فكيف على قناها تسترق ؟

ويتوجه بالنصح إلى ساسة سوريا ، ويحذرهم من التنازع فيقول :-

بنى سورية اطرحوا الأمانى .... وألقوا عنكم الأحلام ألقــوا
فمن خدع السياسة أن تغروا .... بألقاب الإمارة وهـــى رق
نصحت ونحن مختلفون دارا.... ولكن كلنا فى الهم شـــرق
ويجمعنا إذا اختلفت بـــلاد .... بيان غير مختلف ونطـــق
وقفتم بين موت أو حيـــاة .... فإن رمتم نعيم الدهر فاشقـوا
وللأوطان فى دم كل حـــر .... يد سلفت ودين مستحـــق
ومن يسقى ويشرب بالمنايـا.... إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا؟
ولايبنى الممالك كالضحايـا .... ولايدنى الحقوق ولايحـــق
ففى القتلى لأجيال حيـــاة .... وفى الأسرى فدى لهم وعـتق
وللحرية الحمراء بـــــاب .... بكل يد مضرجة يـــــدق

وكثيرا مايصور أفراح العرب، ويبتهج بهذا الفرح . فحين احتفلت سورية عام ١٩٢٨ بعيد استقلالها نجده ينظم قصيدته " ذكرى استقلال سوريا وذكرى شهدائها " وأخذ يشيد فيها بالأحرار، كما يشيد بالشهداء الأبطال، وينوه بما بين مصر وسورية من إخاء ، ومن تبرم وضيق بالاستعمار، يقول [١]

(١) الشوقيات : ١٨٢/٢.

بنى سورية ، التئموا كيوم .... خرجتم تطلبون به النـــزالا
سلوا الحرية الزهراء عنـــا .... وعنكم : هل أذاقتنا الوصالا ؟
وهل نلنا كلانا اليـــوم إلا .... عراقيب الموعد والمطـــالا ؟
عرفتم مهرها فمهر تموهـــا .... دما صبغ السباسب والدغـــالا
وقمتم دونها حتى خضبتم .... هوادجها الشريفة والحجـــالا

ويشيـــد بالزعيـــم " يوســـف العظمـــة " شهيـد ميسلـــون فيقول (١):

سأذكر ماحييت جدار قبـــر .... بظاهر جلق ركب الرمـــالا
مقيم ما أقامت (ميسلون) .... يذكر مصرع الأسد الشبـــالا
لقد أوحى إلى بما شجانـــى .... كما توحى القبور إلى الثكالى
تغيب عظمة العظمات فيـــه .... وأول سيد لقى النبـــالا
كأن بناته رفعوا منـــارا .... من الإخلاص ، أو نصبوا مثالا

وله قصيدة فى " نكبة بيروت " يندد فيها بوحشية الإيطاليين حينما ضرب أسطولهم المدينة يقول (٢):

بيروت ياراح النزيل وأنســـه .... يمضى الزمان على لا أسلوك
إن يجهلوك فإن أمك سوريـــا .... والأبلق الفرد الأشم أبـــوك
والسابقين إلى المفاخر والعـــلا .... بله المكارم والندى أهلـــوك
سالت دماء فيك حول مساجد .... وكنائس ومدارس و " بنوك "
كنا نؤمل أن يمد بقاؤهـــا .... حتى تبل صدى القنا المشبوك
لك فى ربى النيل المبارك جيرة.... لو يقدرون بدفعهم غسلـــوك

(١) الشوقيات : ١٨٣/٢.
(٢) الشوقيات : ١٦٢/١، ١٦٣.

(٤) المناسبات الاجتماعية العامة :

عنى شوقى فى شعره بالمواقف الاجتماعية ، وأخذ ينظم شعره فى مثل هذه المواقف التى يكون الهدف من ورائها إصلاح بعض العادات فى المجتمع، أو توجيه النظر إلى بعض مايدفع بالأمة إلى الجرى فى سبيل المعالى .

ومن يستعرض قصيدته التى نظمها عام ١٩٠٥ فى حريق ميت غمر والتى مطلعها [١] :

الله يحكم فى المدائن والقرى .... يا (ميت غمر) خذى القضاء كما جرى
ماجل خطب ثم قيس بغيره .... إلا وهونه القياس وصغـــــــــرا

يجدها مؤثرة غاية التأثير مما يؤكد حس شوقى الصادق ووجدانه العميق . ومن ينظر التصوير فى القصيدة يجده يمتزج بروح الشاعر ونفسه وأسلوبه ، ومن ينظر ما فيها من موسيقى ،وغناء يتجاوز الآذان إلى أعماق النفوس لايتردد قط فى أن يعدها من جيد شعر شوقى .

يكتب الدكتور محمد صبرى عن قصيدتى شوقى وحافظ [٢] فى حريق ميت غمر فيقول [٣]:

---

(١) الشوقيات : ٤/٤٥ .

(٢) قصيدة حافظ فى حريق ميت غمر مطلعها :
سائلوا الليل عنهم والنهارا .... كيف باتت نساؤهم والعذارى
(ديوان حافظ ابراهيم : ١/٢٥٠).

(٣) الشوقيات المجهولة : ١/٤٢ ، ٤٣ .

" وشتان بين ماتمليه العاطفة وماعليه الخيال. لذلك كانت قصيدة شوقى أروع من قصيدة حافظ ... وهى - يقصد قصيدة حافظ - طويلة تبلغ الأربعة وعشرين بيتا، كلها تكلف وضجيج لفظى ، ولاموسيقى فيه لأنه عاطل من الحياة ، فعاطفة شوقى التى خلق منها خياله صورة بل عالما من الصورة فى كلمة ، هى وحى الشعر الصادق فى جميع عصوره مهما اختلفت الأشكال وتنوعت الأغراض " .

ويمكن القول إن موضوعات التطلع إلى النهضة كانت شائعة فى عهد شوقى ، وكانت تملأ دواوين جيله من الشعراء ، وكان من عادة الشعراء أن ينظموا الشعر فى المناسبات يدعون فيه للنهضة ، ويحثون على العلم والتقدم وما إلى ذلك .

وقصائد شوقى التى حث فيها على التطلع إلى النهضة تختلف باختلاف المناسبة ،من حفلات مدرسية، أو جمعيات خيرية ، أو مباسطات إخوانية ، أو مواقف وطنية ، وغير ذلك من المناسبات التى نادى فيها إلى التحرر من العادات المستهجنة والتقاليد البالية، ودعا إلى إصلاح المجتمع ، والأخذ بأسباب الحضارة.

ويصح القول إنه لم يكن لشوقى فى شعره الاجتماعى من سعة المجال ما كان لزميله حافظ إبراهيم ، بيد أن شوقيا لايقل عن حافظ في صدق الشعور، وقد يتفوق عليه بأدائه الشعرى المتميز .

وفى الاحتفال الذى أقيم بدار (الأوبرا) الملكية عام ١٩٢٠ بمناسبة إنشاء بنك مصر ، يقف الشاعر ناظما، داعيا للنهضة الاقتصادية، ومنوها بفضل المال فى نهضة الأمم ، يقول [١]:

قف بالممالك،وانظر دولة المـــال ... واذكر رجالا أدالوها بإجمـــال
وانقل ركاب القوافى فى جوانبها ... لافى جوانب رسم المنزل البالــى
ما هيكل الهرم الجيزى من ذهب ... فى العين، أزين من بنيانها الحالى
علا بها الحرص أركانا وأخرجها ... على مثال من الدنيا ومنــوال
فيها الشقاء لقوم ، والنعيم لهم ... وبؤس ساع، ونعمى قاعد سالى
والمال - مذ كان - تمثال يطاف به ... والناس - مذ خلقوا- عباد تمثال
ياطالبا لمعالى الملك مجتهـدا ... خذها من العلم أوخذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلال

وقد وقف شوقى من أسباب الحضارة موقفا مجيدا، لقد نوه بالعلم، وأشاد بفضله وبرجاله، وسبق أن قلنا إنه قد قام بالنهل من الثقافة الغربية كي يضيف رصيدا لثقافته العربية.

إنه يلقى قصيدة فى الحفل الذى أقيم بنادى مدرسة المعلمين العليا، ويتحدث في مطلعها عن مكانة المعلمين فيقول [٢]:

قم للمعلم وفه التبجيـــلا... كاد المعلم أن يكون رســولا
أعلمت أشرف، أو أجل من الذى ... يبنى ، وينشئ أنفسا وعقولا؟
سبحانك اللهم خير معلـــم ... علمت بالقلم القرون الأولــى
أخرجت هذا العقل من ظلماته .... وهديته النور المبين سبيــلا

---

(١) الشوقيات : ١/١٨٤ ، ١٨٥.
(٢) الشوقيات : ١/١٨٠.

ثم يمجد الأحرار الذين آثروا الموت على حياة الاستبداد والظلم، وينوه بقبول الحكيم اليونانى " سقراط " السم من أجل حرية الفكر ، يقول (١) :

يا أرض مذ فقد المعلم نفسه ... بين الشموس وبين شرقك حيلا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم .... واستعذبوا فيها العذاب ، وبيلا
فى عالم صحب الحياة مقيدا .... بالفرد مخزوما به، مغلولا
صرعته دنيا المستبد كما هوت ... من ضربة الشمس الرءوس ذهولا
سقراط أعطى الكأس وهى منية ...شفتى محب يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهى غباوة ... فأبى ، وآثر أن يموت نبيلا
إن الشجاعة فى القلوب كثيرة ... ووجدت شجعان العقول قليلا

ويرى أن اليتيم ليس هو الذى مات أبوه ، ولكنه هو الذى تخلى أبواه عن تعليمه : (٢)

ليس اليتيم من انتهى أبواه من.... هم الحياة ، وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما ... وبحسن تربية الزمان بديلا!
إن اليتيم هو الذى تلقى له .... أما تخلت ، أو أبا مشغولا

والحق أن توجيهات شوقى هذه ليست غريبة ، فلعل تذوقه للثقافتين الشرقية والغربية ووقوفه على تجارب الأيام ، والأمم ، وعبر التاريخ، لعل هذا هو الذى أوقفه على قيمة العلم، وتسببه فى وثبات الأمم ونهضات الشعوب . ثم إنه قد سافر إلى أوربا ،

---

(١) الشوقيات : ١٨١/١.
(٢) الشوقيات : ١٨٣/١

ورأى الدول الأوربية تبرز فى ميادين المعرفة ، وتتنافس فى الابتكار ، وتعتز بالعلماء اعتزازا قويا، فتمنى أن تتبوأ مصر المكانة المرموقة بسبب من العلم، ،وأخذ يحث المصريين على الاقتداء بهذه الدول ، وعلى الاعتماد على العلم فى أوقات السلم والحروب .

وفى قصيدته التى قالها بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه فى سنة ١٩٢٤[١] نجده يشيد بالدستور ويسخط على الانقسام والفرقة فيقول :

وتفيئوا الدستور تحت ظلاله ...كنفا أهش من الرياض وأنضرا
لا تجعلوه هوى ، وخلفا بينكم ...ومجر دنيا للنفوس ، ومتجرا
اليوم صرحت الأمور فأظهرت ... ما كان من خدع السياسة مضمرا
قد كان الرأى أن نبقى يدا ... ونرى وراء جنودها إنكلترا
فإذا أتتنا بالصفوف كثيرة ... جئنا بصف واحد لن يكسرا
غضبت ، فغض الطرف كل مكابر ... يلقاك بالخد اللطيم مصعرا
لن تلق إصلاحا يهاب ، ولم تجد ... من كتلة ما كان أعيا ملنرا
حظر رجونا الخير من إقباله ... عاث المفرق فيه حتى أدبرا
دار النيابة هيئت درجاتها ... فليرق فى الدرج الذوائب والذرا
الصارخون إذا أسئ إلى الحمى ... والزائرون إذا أغير على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى ... يمشون فى ذهب القيود تبخترا

وحين عاد شوقى من منفاه وجد الحركة النسائية قد فاقت كل ماهو مقدر لها فصادفت نهضتها هوى فى نفسه.

---

(١) الشوقيات : ١/١٥١ - ١٥٤.

وهنا نجده يلقى قصيدة فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية[١] يحيى فيها هذه النهضة ويؤيدها فيقول:

قم حى هذى النيــــرات .... حى الحسان الخيــــرات
واخفض جبينك هيبـــــة .... للخرد المتخفـــــرات
زين المقاصر والحجــــا .... ل ، وزين محراب الصلاة
هذا مقام الأمهـــــا .... ت فهل قدرت الأمهات ؟

ويتخطى حدود الزمن ، فيضرب أمثلة حية من تاريخ المسلمين فى صدر الإسلام ، ويذكر أن المؤمنات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يتعلمن ، وكان العلم شريعة لهن ، وقد أحرزت بعضهن مكانا مرموقا فى مجال التفقه فى العلوم ، يقول :

هذا رسول الله ، لـــــم ... ينقص حقوق المؤمنــات
العلم كان شريعـــــة ... لنسائه المتفقهــــات
رضن التجارة والسيـــا ... سة ، والشئون الأخريـات
ولقد علت ببناتـــــه ... لجج العلوم الزاخـــرات
كانت سكينـــة تملأ الدنيـــا ، و تهـــزأ بالــــرواة
روت الحديث وفســـرت ... آى الكتاب البينــــات
وحضارة الإســـلام تنـــ .... طق عن مكان المسلمات

وفى مشروع القرش ينظم شوقي قصيدة عنوانها " فتية الوادى عرفنا صوتكم "[٢]، وقد خاطب فيها شباب مصر الذيـــــن

(١) الشوقيات : ١/١٠٢- ١٠٥.
(٢) الشوقيات : ٤/٢٦ - ٢٨ .

نهضوا بالمشروع عام ١٩٣٢، فحياهم وأشاد بجهودهم التى يبذلونها ، يقول :

فتية الوادى عرفنا صوتكم ... مرحبا بالطائر الشادى الغرد
هو صوت الحق، لم يبلغ ولم ... يحمد الحقد ، ولم يخف الحسد
وخلا من شهوة ماخالطت ... صالحا من عمل إلا فسد

والقصيدة طويلة ، وهى آخر ماجادت به شاعرية شوقى، وقد وجه خطابا فيها للناس واستحثهم على البر فى هذا المشروع، كما عدد آثار هذا المشروع الاقتصادية والاجتماعية .

(٥) المناسبات الإسلامية :

أما قصائد شوقى فى المناسبات الإسلامية فكثيرة ، وكان ينشرها فى ذكرى الأعياد الإسلامية ، مثل عيد رأس السنة الهجرية، والمولد النبوى ، وفى الاحتفالات الإسلامية وما إلى ذلك.

والحق أن روح شوقى الإسلامية كانت تمده بفيض زاخر من العواطف ، فينطلق فى قوة ووضوح وطول نفس لايضعف، ولقد تعود محبوه أن يسمعوا منه شعرا إسلاميا يأخذ بمجامع القلوب كلما حلت مناسبة إسلامية .

وكان شوقى يشيد فى هذه المناسبات بكل من يعتز بالدين ويذود عنه ، ويعنى كذلك بحث الناس علي التزود من علوم الدين حتى لايكونوا عرضة للشكوك ، كما أنه عنى عناية خاصة بالرد على حجج وأقاويل المبشرين ، وقد يتحدث فى أمور سياسية أو إجتماعية تتصل بأحوال البلاد.

وكانت رأس السنة الهجرية من المناسبات التى يتخذها شوقى وسيلة للمقارنة بين الماضى والحاضر ، وقد استوحى من هذه المناسبة العبر للجهاد فى الدين والدنيا .

يقول فى رأس سنة ١٣٢٩ الهجرية قصيدة عنوانها " مرحبا بالهلال " ومنها (١):

هذا هلالكم تكفل بالهـــدى .... هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرت الحضارة حقبة فى ضوئــه ... ومشى الزمان بنوره مختـــالا
وبنى له العرب الأجاود دولــة ... كالشمس عرشا ، والنجوم رحالا
رفعوا له فوق السماك دعائمــا ... من علمهم ومن البيان طــوالا
الله جل ثناؤه بلسانهـــم ... خلق البيان وعلم الأمثـــالا
وتخير الأخلاق أحسنها لهـــم .... ومكارم الأخلاق منه تعالـــى
كالرسل عزما ، والملائك رحمــة ... والأسد بأسا والغيوث نـــوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلمــا ... ذهبوا يمينا فى الورى وشـــمالا
والعدل فى الدولات أس ثابــت .... يفنى الزمان وينفد الأجيـــالا
أيام كان الناس فى جهلاتهـــم .... مثل البهائم أرسلت إرســـالا
من جهلهم بالدين والدنيا معـــا ... عبدوا الأصم وألهوا التمثـــالا
ضلوا عقولا بعد عرفان الهـــدى ... والعقل إن هو ضل كان عقـــالا
حتى إذا انقسموا تقوض ملكهـم ... والملك إن بطل التعـــاون زالا
لو أن أبطال الحروب تفرقـــوا ... غلب الجبان على القنا الأبطـــالا

(١) الشوقيات : ١/١٨٧.

وقد احتلت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية مركز الصدارة من عقول المفكرين والأدباء، وبخاصة بعد أن رأوا أطماع المحتل الأجنبى فى الدول الإسلامية، وبعد مالمسوا من سعيه الدائب فى القضاء على هذه الدول وعلى مقومات بقائها.

وقد خاض شوقى هذه المعركة بقوة وجرأة فنبه إلى ظاهرة تحامل الغربيين على الإسلام والمسلمين ، وإحكامهم الفتن والدسائس ضد دولة الخلافة، وأخذ يدعو إلى الجامعة الإسلامية، ويرفع من شأنها ، ويؤكد أن الخلافة حصن المسلمين ، وهم - أى المسلمون - فى أمن ودعة مابقيت الخلافة قوية متماسكة.

ومن أبرز الأحداث الإسلامية فى حياة شوقى إلغاء الخلافة الإسلامية، فما أن ابتهج العالم الإسلامى بانتصار الأتراك على أعدائهم بقيادة مصطفى كمال باشا حتى أعلن هو نفسه إلغاء هذه الخلافة .

ولشوقى قصيدة (١) فى إلغاء الخلافة تهز النفس هزا ، وقد بلغت القمة في إظهار الأسى والحسرة ، وهى قصيدة طويلة تجرى على كل لسان ، وقد نالت حظها من الشهرة ، ومن يقرأ أبياتها يتبين له ما كان للخلافة من مقام فى نفوس المصريين من جهة ، وفى نفوس الشعراء- وعلى وجه الخصوص أحمد شوقى - من جهة أخرى .

---

(١) الشوقيات : ١/١٠٥ - ١٠٩.

وقد ابتدأها بتصوير هذه النكبة ، وأن الفرحة لم تكد تتم بانتصار الأتراك حتى هبت على الخلافة عاصفة مجتاحة لم تبق لها أثرا ، يقول :

عادت أغانى العرس رجع نـواح .... ونعيت بين معالم الأفــــراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبـــه .... ودفنت عند تبلج الإصبـــاح
شيعت من هلع بعبرة ضاحـــك .... فى كل ناحية وسكرة صـــاح
ضجت عليك مآذن ، ومنابـــر .... وبكى عليك ممالك ، ونـــواح
الهند والهة ، ومصر حزينـــة .... تبكى عليك بدمع سمـــاح
والشام تسأل ، والعراق ، وفارس .... أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟

ويتناول الآثار المترتبة على إلغاء الخلافة فى العالم الإسلامى، ويبين أنها كانت رابطة تجمع قلوب المسلمين فى شتى البقاع ، فيقول :

هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهـــم ... موشية بمواهب الفتـــــاح
نزعوا عن الأعناق خير قـــلادة ... ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالى دونـــه ... قد طاح بين عشية وصــبــاح
وعلاقة فصمت عرى أسبابهـــا ... كانت أبر علائـــق الأرواح
جمعت على البر الحضور و ربما ... جمعت عليه سرائر النــــزاح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... فى كل غدوة جمعـــة ورواح

وينبه العالم الإسلامى إلى إسداء النصح للغازى مصطفى كمال، وتبصيره بعواقب ما أقدم عليه ، حتى يفئ إلى الحق ، ويعود إلى الصواب ، فيقول :

أدوا إلى الغازى النصيحة ينتصح .... إن الجواد يثوب بعد جمــاح
إن الغرور سقى الرئيس براحـــة .... كيف احتيالك فى صريح الراح؟

ويختم القصيدة بقوله :

لاتبذلوا برد النبى لعاجـــز .....عزل ، يدافع دونه بالراح

بالأمس أوهى المسلمين جراحة ... واليوم مدلهم يد الجـراح

*****

ونكتفى بهذا القدر فى حديثنا عن موضوعات شعر المناسبات، وإن كنا لانزعم أننا قد استقصينا الحديث عن هذه الموضوعات ، فلشوقى قصائد كثيرة فى المناسبات تتطلب وقتا واسعا إن أردنا أن نستقصى فيها القول ، لكن المقام يضيق عن التمثيل بجميع ذلك هنا ، ومن يريد المزيد فعليه أن يرجع إلى شعره مانشر منه فى الديوان وما لم ينشر .



الفصل الثانى

موقف النقاد من شعر المناسبات

نتحدث فى هذا الفصل عن موقف النقاد من شعر المناسبات، لأن الحديث عن شعر المناسبات لم ينته بما مر ذكره ، وموقف النقاد من هذا الشعر يضيف جديدا إلى الاتجاهات النقدية ، وهذا لايمكن تغافله مادمنا بصدد الحديث عن المناسبات في ميزان النقد .

على أننا سنعمد فى حديثنا فى هذا الفصل إلى تقرير موقف جماعة الديوان بصفة خاصة، وموقف النقاد بصفة عامة، ثم نستخلص فى النهاية الرأى الذى نراه مناسبا، غير متغافلين المبادىء النقدية التى أضافتها هذه المواقف .

أولا : موقف جماعة الديوان :

تزعمت مدرسة الديوان حركة التجديد فى الشعر فى الربع الأول من القرن العشرين، وحمل رواد هذه المدرسة لواء الثورة علي الأدب الكلاسيكى وأعلامه بصفة عامة وعلى الشعر الكلاسيكي وشعرائه بصفة خاصة ، وكتبوا فى ذلك فصولا نقدية تعد وثيقة بالغة الأهمية فى تاريخنا الأدبى المعاصر [١].

ومن نظرية الشعر الوجدانى عند شعراء مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) انبثقت الدعوة إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته ، وأن يبعد عن شعر المناسبات.

---

(١) انظر " الديوان " للعقاد والمازنى ، ومقدمه الجزء الثانى من ديوان شكرى، ومقدمة الجزء الأول من ديوان المازنى ، وجريدة أخبار اليوم عدد ٢٥ أكتوبر ١٩٤٧م.

وفى رأى هؤلاء أن شخصية الشاعر هى كل شئ فى الشعر، وأن الشعر الذى يشعرك بعظمته وقوته هو النموذج الذى يجب أن نحتفى به . وعلى هذا الأساس بدأوا يتزعمون حركة التجديد فى الشعر ، ويتطلعون إلى شعر الوجدان الذى يعبر عن شخصية الشاعر، كما يتطلعون إلى تغيير كل التقاليد الفنية الموروثة التى التزمها القدماء فى شعرهم [١].

والدارس لاتجاهات التجديد فى النقد عند مدرسة الديوان يقف على دعوة هؤلاء الرواد للتجديد، وأسسها وأصولها، كما يقف على ثورتهم على شعر المناسبات.

ومن ثم عاب شكرى هذا الشعر، ورأى أنه لابد من الاهتمام لابرصد الحوادث فحسب ، بل بما تحدثه من أثر فى قلب الشاعر ، وماتحركه من مشاعره.

يقول [٢]: وبعض القراء يهذى بذكر الشعر الاجتماعى ويعنى شعر الحوادث اليومية مثل افتتاح خزان، أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة فى نادى الألعاب، أو مجئ طيار ، فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحـــــوادث

---

(١) انظر مقالا للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى عنوانه " بناء القصيدة عند العقاد من الجانب النقدى " ص ٤٩ وما بعدها من كتاب العقاد وقضية الشعر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩م.

(٢) ديوان شكرى ، جمع نقولا يوسف ص ٢٨٩ . الإسكندرية ١٩٦٠م.

اليومية قالوا ماله؟ هل نضب ذهنه؟أم خبت عاطفته؟ أم دجا خياله؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده فى تلك الحوادث، فإذا نظم أحدهم قصيدتين فى الجراد كان أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء، كأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشعر مصنع لصنع الأوزان".

ويحدد مهمة الشاعر من وجهة نظره فيقول [١] :

وإنما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها، والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلي سماء الشعر فينشقها نسيمه، وينعشها بنفحاته ، ويسمعها من ألحانه، ويريق عليها من ضيائه مايرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة "

ويحمل المازنى على شعر المناسبات كذلك ، ويرى أن شاعر المناسبات لايفصح عن شخصيته ، ولايترجم عن عواطفه الفردية الخاصة.

وهو يتفق مع العقاد فى نظرته لشعر شوقى ، فيرى أن الذاتية بمعناها الواسع ينبغى أن تنطوى على جانبين [٢].

---

(١) المصدر السابق الصفحة نفسها .

(٢) الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ، للدكتور عبد القادر القط ص ٦٠.

الجانب الأول : هو التصوير الصادق لنفس الشاعر .

الجانب الثاني : هو وعى الشاعر لما يجرى حوله من أحداث الحياة وتجارب الآخرين وعيا وجدانيا ينعكس من خلال ذاته على مايقول من شعر .

والحقيقة أن العقاد هو أكثر الثلاثة اهتماما بنقد هذا الشعر[١] كما أنه أحرصهم على نقد منهج شوقى التقليدى فى الشعر بصفة عامة، ونقد شعره فى الحوادث والمناسبات بصفة خاصة، وقد واصل حملته النقدية على شوقى، وكأنها وسيلة لبلورة اتجاهاته النقدية واقتحام المذهب الجديد في الأدب ، وفتح صراع بينه من جهة وبين المذهب القديم ، مذهب حافظ وشوقى وأضرابهما[٢].

وفى تصورنا أن معارك العقاد النقدية لم تتسم بالعنف والصلابة إلا فى مهاجمته لشعر المناسبات، فلقد كان يقف كالطود الشامخ أمام كل الأشعار التى ترتبط بالحوادث والمناسبات ، ليس هذا فحسب بل إنه لم يلتزم فى نقده لهذا الشعر بالموضوعية، ولكنه أخذ يتناول الشعراء المحافظين بالتجريح والسباب.

---

(١) انظر ساعات بين الكتب للعقاد ص ٢٠٤ . دار الكتاب العربى، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

(٢) انظر المعركة بين العقاد وشوقى ص ٧٣ ومابعدها من كتاب " العقاد وقضية الشعر " للأستاذ محمد عبد المغنى حسن وآخرين .

ونود أن يتقرر فى الأذهان أننا لانستطيع أن ندلف إلى معركة العقاد فى هذا الصدد إلا من خلال التعرف على بعض مقاييسه النقدية ،وحقيقة فهمه لبناء القصيدة.

التجربة الشعرية :

لقد كتب العقاد عن بناء القصيدة ، وعن مزية الطبيعة الفنية التى تجعل فن الشاعر جزءا من حياته، وعلى هذا نجده يقول [١]:

" كل مانخلع عليه من إحساسنا، ونفيض عليه من خيالنا، ونتخلله بوعينا، ونبث فيه من هو اجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة ".

والعقاد بتطلعه إلى المنهج النفسى كما هو واضح من اتجاهات التجديد فى النقد عنده ، وكما برز فى معاركه حول مناهجه النقدية[٢]-يشرط فى الشعر أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وحياته الباطنية، ولايعترف بشاعر لاتطالعنا شخصيته من خلال شعره.

---

(١) خمسة دواوين للعقاد ص ٣٧٨ . مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م.

(٢) انظر معارك العقاد فى النقد ص ٦٢٧ ومابعدها من كتاب عباس العقاد ناقدا، تأليف الأستاذ عبد الحى دياب الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.

وتأسيسا على هذا نحن نجده فى كتاباته الأولى [(١)] يحارب الشعر الجاهلى، ويعيبه، كما نجده يصب أكثر نقده على شوقى، ويكرر هذا النقد ويشتد فيه فى كتاب (الديوان) ولايعترف له بسبق أو نبوغ ، ويرى أن هناك نقصا واضحا فى أبواب شعره كلها، لأنه لم يكن لشوقى شعر يدل على مزية نفسية، أو صفات شخصية[(٢)].

وهو يرى أن شخصية شوقى لم تظهر فى شعره ظهورا مباشرا، ومرد ذلك إلى أنه لاينشد شعره بباعث من شعوره ومزاجه.

يقول [(٣)]:

" فى " أحمد شوقى " ارتفع شعر الصنعة إلى ذروته العليا، وهبط شعر " الشخصية " إلى حيث لاتتبين لمحة من الملامح ولاقسمة من القسمات التى يتميز بها إنسان بين سائر الناس " .

ويقول [(٤)]:

" ومن هذه الصنعة كانت صنعة شوقى فى جميع شعره، فلو قرأته كله وحاولت أن تستخرج من ثناياه إنسانا اسمه " شوقى " يخالف الأناسى الآخرين من أبناء طبقته وجيله لأعياك العثور عليه. ولكنك قد تجد هنالك خلقا تسميهم ماشئت من الأسماء وشوقى اسم واحد من سائر هذه الأسماء ".

---

(١) انظر مراجعات فى الأدب والفنون ، ومطالعات فى الكتب والحياة ، وساعات بين الكتب ، وكلها للعقاد .

(٢) انظر شعراء مصر وبيئاتهم ص ١٥٦، ١٥٧، ١٦٥، ١٧١.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

وخلاصة ما يقال فى نقد العقاد لشوقى هنا أنه يدور حول مبدأ الصدق وروح الاستقلال فى الأدب [١].

ونحن نستبين من كل كلام العقاد عن شوقى أنه ينوه بالشعر المطبوع، ويدعو إلى الذاتية والأصالة وظهور شخصية الشاعر، لأن شعره فى هذه الحالة يكون ترجمة باطنية لنفسه.

فالعقاد يريد لشوقى أن يقول شعرا صادقا معبرا عن ذات نفسه ، مصبوغا بصبغة إنسانية عامة ، بحيث تتراءى مشكلات مجتمعه لو عبر عنها من ثنايا شعوره وإحساسه ، وسبيل الشاعر فى ذلك كله سبيل الإيحاء والتصوير، لأن قوة الشعر تتمثل فى الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور . لافى التصريح بالأفكار مجردة، ولا فى المبالغة فى وصفها ، كما هو حال شعر المناسبات فى رأيه .

والعقاد فى الوقت نفسه لايريد لشوقى أن يستسلم للمشاعر والخواطر استسلاما قد يدفعه إلى التعبيرات المباشرة، أو الجرى وراء الصور التقليدية مما يضر بأصالته . وفى هذا تأكيد لما يريده العقاد من أن القصيدة ينبغى أن تشتمل على تجربة شعرية عميقة، وعاطفة قوية صادقة، بحيث تكون القصيدة معاناة شخصية عاشها الشاعر ولا تحمل أثرا للتقليد والتكلف .

---

(١) انظر مطالعات فى الكتب والحياة ، للعقاد ص ٢٧٨ ومابعدها القاهرة ١٩٢٤م ، وانظر كذلك الديوان ، للعقاد والمازنى : ١/ ٢٠، ٢١. مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

وبناء على ماسبق يرى العقاد أن شعر المناسبات الطارئة يضل طريقه إلى الاحساس والشعور، وأنه لايمت بصلة إلى مشاعر الشاعر ونفسه، وعلى هذا راح ينقد قصيدة شوقى فى رثاء محمد فريد، وقصيدته فى رثاء عثمان غالب [١]، وقد دار هذا النقد حول مبدأ الصدق .

وفى هذا الصدد نراه يطعن فى غير هوادة ولارفق فى سياسات شوقى وقومياته [٢] ، ويدور هذا الطعن حول مبدأ الصدق أيضا، فعنده أن الشاعر لاتظهر شخصيته فى شعره ظهورا مباشرا، ولاتعرف شخصيته من هذا الشعر، وهو نفسه كان بمعزل عن الأمة فى شعوره ، وما جاء به من شعر فى هذا الباب لايمثله فى حقيقة نفسه ودخيلة ضميره .

الوحدة العضوية :

وإذا كان ظهور شخصية الشاعر في شعره مقوما مهما من مقومات القصيدة عند العقاد فإن هناك مقوما آخر فى القصيدة يحتفى به أيضا ألا وهو الوحدة العضوية .

وباشتراط العقاد وصحبه من رواد مدرستي الديوان وأبولو للوحدة العضوية تصبح القصيدة بنية حية تامة الخلق والتكوين، أى أنهم يطالبون بتغيير بناء القصيدة تغييرا كاملا ، حيث يذهب منها

---

(١) الديوان فى الأدب والنقد : ١/١٢، ٢٧ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم ص ١٨٥.

الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر ، ومن غرض إلى غرض ، ويمحى منها الاستطراد والتفكك ، واضطراب العواطف والمشاعر النفسية .

فالعقاد يطالب بأن تكون القصيدة عملا فنيا كاملا مرتبط الأجزاء، ملتحم المشاعر والعواطف [١] وكأنه يؤكد بذلك حملته على شعر المناسبات، ذلك الشعر الذى يراه لايعبر عن أعماق نفس الشاعر ، ولايراه صدى لانفعاله، وإنما يراه يقوم على التقليد والاحتذاء ، وكثيرا ما يأتى هذا الشعر مفكك الأجزاء مضطرب الأفكار.

وعلى هذا المستوى من الفهم للوحدة العضوية لدى العقاد، نراه ينبرى لنقد قصيدة شوقى التى يرثى بها مصطفى كامل [٢].

تعقيب :

ونريد أن نلفت النظر إلى جانب لاتتم بغيره الإحاطة - ونحن نتحدث عن موقف جماعة الديوان من شعر المناسبات- هذا الجانب هو الحديث عن رسالة الشعر عند شوقى، وذلك لنقف على مدى تأثره فى شعره بما يضعه أمامه من رسالة شعرية.

وحينئذ لابد من تساؤل حول هذه الرسالة، حتى يتسنى لنا أن نفهم من خلال هذا التساؤل وظيفة الشعر ومهمة الشاعر .

---

(١) انظر الديوان فى الأدب والنقد : ٢/ ١٣٠.

(٢) المصدر السابق : ١٢٨/٢.

حقيقة : هل تتمثل رسالة الشعر فى سبر أغوار النفس الإنسانية ، والتعرف على أدق خلجاتها، ومصيرها، وكل مايعد مقوما من مقومات حياتها وسعادتها ؟

أم تمثل فى مشاركة الشاعر بفكره وشعوره وفنه فى قضايا قومه الوطنية والإنسانية، وما يعانون من آلام، ومايبنون من آمال؟[١] . فليس إذن للشاعر أن يستغرق فى التأمل فى الجمال الخالد والخير المحض ، على حين يعانى وطنه ذل الاحتلال؟ أو عناء الطغيان ، وليس له أن يسترسل فى خيالاته ومشاعره الفردية ، على حين وطنه من حوله، أو طبقته الاجتماعية فى وطنه تجاهد فى سبيل آمال مشتركة.

فى اعتقادنا أن هاتين الحقيقتين لايمكن لأى باحث أن يدلف إلى الحديث عن رسالة الشاعر من غير التعرض لهما، ومن هنا كان علينا أن نقف عليهما، لعلنا نتعرف على القيمة الحقيقية لآراء هؤلاء النقاد فى هذا الصدد.

وحسبنا فى هذا المقام أن نعرف أن الشعر هو ترجمان النفس، والناقل الأمين عن لسانها، وهو الوسيلة الفريدة التى يعلن بها الشاعر عن مواهبه ، وقوة مشاعره وصدقها. والشاعر البارع هو الذى يجعل فنه جزءا من حياته ، بمعنى أن يكون موضوع حياته هو

---

(١) النقد الأدبى الحديث ، للدكتور محمد غنيمى هلال ص ٤٨٥.

موضوع شعره ، وموضوع شعره هو موضوع حياته، وعليه فلابد أن تكون لدى الشاعر فطنة ، وأن يكون لديه نصيب كبير من الشعور كى يمكنه التعبير عن النفس الإنسانية تعبيرا صادقا يمثل الحياة فى شتى ألوانها وصورها تمثيلا صحيحا.

والشعر هو الوسيلة الفريدة التى يؤدى بها الشاعر مهمته كاملة، ولولا الشعر لظلت أحاسيس الشاعر ومشاعره محتجبة فى نفسه، ولبقى الشاعر مجهولا لاسبيل لأحد أن يطلع عليه ، كما لاسبيل للحكم عليه.

على أن الشاعر العظيم ليس هو الذى يكشف شعره عن إمكاناته الفطرية فحسب ، وإنما هو الذى يكون قادرا على ترجمة مشاعره ترجمة صادقة فى مناسباتها المختلفة ، ذاتية كانت أم غير ذاتية.

إن الشاعر حين يصنع ذلك يكون شاعرا عظيما، لأنه اتجه فى تصويره إلى مايحرك مشاعر الناس، ويثير وجدانهم، ولأنه ينجح فى إشراكهم معه ونقلهم إلى جوه .

ولما كان الشعر تعبيرا، والتعبير غاية مقصودة لاتنفصل عن سائر الغايات، فإننا نرى أن للشعر رسالة إنسانية،والشاعر الذى يشارك فى قضايا قومه ، ويرى كبار الحوادث ، وعظائم الأمور ، فيخفق لها قلبه، ويتأثر بها وجدانه، أعظم نفعا من الشاعر الذي يحصر نفسه فى نطاق مشاعره الفردية.

وحسبنا هذا المقام ما كتبه الأستاذ عباس حسن حيث يقول[١]:
" بيد أن الشاعر الإنسانى الذى يتحدث عن الموضوع من ناحية عامة تتصل بشعور كثيرين، ويحرك أوتار قلوبهم - خير ممن يتحدث عن موضوع ذاتى (شخصى) لايمثل إلا شعور صاحبه، ولايحرك إلا وجدانه أو نفرا قليلا معه ".

ونحن نرى شاعرنا، وبخاصة حين عاد من منفاه، واختلط بالأمة اختلاطا كبيرا - المعبر الأول عن آمال أمته، فلقد شاركها عواطفهاوميولها، حتى صار لسانها المترجم عن شعورها، والمفاخر بأمجادها وآثارها ، والحافز لهممها. بل إنه تناول أحداث المشرق كله، وأخذ يعزف على قيثارة الشعر نغمات متنوعة الألوان حول العروبة والإسلام.

وعلى كل فالنقد الذى حدثنا به العقاد فيه نظر ، بل إن فيه مغالاة منه [٢] فلقد تجنى على شوقى حين أنكر عليه كل أصالة وكل تجديد ، واتهمه بالسير فى الدورب المطروقة البالية . ونحن نخالفه فيما ذهب إليه من أن شعر شوقى فى الحوادث والمناسبات، وكذلك الشعر السياسى والقومى- لايفصح عن شخصيته، ولايترجم عن عواطفه الفردية الخاصة .

---

(١) المتنبى وشوقى ص ٢١ .

(٢) انظر عباس العقاد ناقدا، للأستاذ عبد الحى دياب ص ٦٣٦.

وعلينا أن نذكر أن موقف العقاد من شوقي ينطوى على تحامل شخصى وتعسف فنى [١]، فلقد حمل عليه حملة مسرفة إلى حد يكاد يختلط فيه الحق بالباطل، وتهجم عليه تهجما أفقده كل أناة الناقد الموضوعى .

ولعل السر فى هذه الحملة العنيفة التى قادها العقاد ضد شوقى وشعره أنه أراد أن يهاجم القديم فى أكبر ممثل له [٢] ، كى يمهد الطريق لنظرياته النقدية ومن ثم للتجديد فى الشعر لعربى . وليس من سبيل لذلك إلا تحطيم شخصية شوقى، والطعن فى شعره انتقاما من شخصه ومن تعاظمه وتعاليه ، ولذلك كان أكثر همّ العقاد منصرفا إلى التأكيد على أن شعره مصنوع من معانى الآخرين.

وربما كان السبب فى تلك الحملة أن الشاعر كان يقول الشعر لاكتساب الحظوة الملكية حينا، والشهرة الشعبية المصرية والعربية حينا آخر ، وأنه كان على " اتصال بالسراى وبالطبقة العليا فى المجتمع، ثم اصطناعه لطائفة من صغار الصحفيين والأدباء الذين هللوا له ومهدوا لإمارته " [٣].

---

(١) انظر الشعر المصرى بعد شوقى ، للدكتور محمد مندور : ٢٦/١ . دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، وانظر أيضا الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر، للدكتور عبد القادر القط ص ٥٨.

(٢) انظر الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ، للدكتور عبد القادر القط ص٥٨.

(٣) الشعر المصرى بعد شوقى ، للدكتور محمد مندور : ٧/١.

لعل هذا الأمر هو الذى أشعل الخصومة بين العقاد وشوقى، وجعل العقاد يقاوم الشاعر بكل وسيلة مع مايعرف من فضله ونبوغه.

ويذهب الدكتور شوقى ضيف فى مجال دفاعه عن شوقى إلى ماهو أبعد من ذلك فيقرر أن العقاد يحاول أن يقيس شوقيا بمقاييس غربية .

يقول [١]:

" ولا يزال العقاد كما عهدناه قبل الحرب يستلهم فى حكمه على شوقى الصورة الأدبية الغربية، فإذا لم يحدث شعراء الغرب شعرا فى المخترعات الحديثة ولا فى الحوادث السياسية والاجتماعية فلا يجوز لشوقى أن يحدث شيئا من ذلك ...." .

ولسنا نبعد عن الصواب إذا ذهبنا إلى أن شاعرنا له شخصية متميزة واضحة الجوانب، فهو فى الواقع وكما سنفصل بعد [٢] يجمع بين طبيعة الشاعر الفنان وطبيعة الشاعر المثقف، وقد استطاع فى كثير من شعر الحوادث والمناسبات أن يشارك مصر والعالم العربى عواطفهما وأحاسيسهما الوطنية ، وقد عبر عن ذلك كله بشعر هو فى الحقيقة – بما فيه من معان رائعة وتصوير بديع – مرآة لما فى نفسه من عاطفة ، مرآة تمثل هذه العاطفة تمثيلا يخلو من التكلف والصنعة .

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٢) أثناء حديثنا عن " مظاهر التجديد فى شعر المناسبات ".

فنقد العقاد لشعر شوقى إذن من أكبر التعسف .

ولايفوتنا أن نذكر هنا أن العقاد كان مولعا بنقد شوقى إما نقدا شخصيا ، وإما نقدا فنيا ، ذلك لأنه لم يترك مؤلفا من مؤلفاته، أو بحثا من بحوثه له صلة بشعر الشخصية وأصالة الشاعر إلا وتناول فيه شوقيا بالنقد .

والأمر الغريب أن العقاد قد اشتد فى الحملة على شوقى دون أن تكون دوافع هذه الحملة خفية أو مأخوذة بشئ من المداراة ، وإن حاول فى كثير من الأحيان أن يسوغ نقده بما يجده فى شعره من تقليد.

إن العقاد يعلم أن هناك شعرا غنائيا لاتظهر فيه شخصية الشاعر بطريقة مباشرة، وإنما يكون ظهورها من خلال عرض الشاعر لموضوعه، وأسلوبه فى علاج هذا الموضوع، وما إلى ذلك ، وإلا لأصبح الشعراء فى تجاربهم شخصية واحدة مكررة . " وهناك شعر عالمى لاتتضح فيه على أى وجه شخصية قائله، ولايستطيع قارئ أن يلتقط منه ملامح هذا القائل " (١).

وليت العقاد وهو يتناول شعر شوقى بالنقد قد راعي العصر وظروفه ،والجو العام الذي نظم فيه الشعر ، والبيئة التى عاش فيها الشاعر ، وذلك كما حدث منه فى دراسته لعصر عمر بن أبى ربيعة، والبيئة التى نشأ فيها (٢)

---

(١) أعلام الشعر العربى الحديث ، للدكتور محمد مندور وآخرين ص ٧٨.

(٢) انظر للعقاد : شاعر الغزل (عمر بن أبى ربيعة) القاهرة ١٩٥١م.

والواقع أن المناخ العام فى مصر أثناء نظم شوقى لشعره كان مجالا رحبا يتسع لقوة العاطفة وصدقها ، فالاحتلال الأجنبى بفظاعته وجبروته يجثم على الأرض العربية، وتمتد يده إلى كل مظاهر الحياة تبعد عن طريقها كل مايشعر المصريين والعرب بوجودهم وعزتهم، وفى كل هذا يحاول أن يسيطر على خيرات البلاد ومقدراتها ، كما امتدت يده إلى زعماء الأمة نفيا وتعذيبا وقتلا.

والحقيقة أنه " إذا انتقل الناقد إلى جو الأديب وعصره ، وعاش مع النص الأدبى ساعة ميلاده ، فإنه سيدرك عن قرب حقيقة " التجربة " التى عاشها الشاعر وصورها، ومبلغ ما أتيح له فيها من " إلهام وصنعة " ، وما فى " صياغتها " من فن وتعبير ، ومقدار ما أدت من " غرض ومغزى ..." (١) .

والمعروف أن تأثير العصر فى الشاعر متشعب ، ودائما تنعكس منه تأثيرات فى قصائده وشعره ، لامن حيث مختلف مؤثرات العصر الثقافية فحسب ، بل أيضا من حيث أحداث زمانه والتقلبات السياسية التى سادت تلك الفترة.

ولنحكم الأستاذ العقاد نفسه ، إنه يقول (٢) :

إن إحساسنا بشئ من الأشياء هو الذى يخلق فيه اللذة ، ويبث فيه الروح، ويجعله معنى (شعريا) تهتز له النفس ، أو معنى زريا تصدف عنه الأنظار، وتعرض عنه الأسماع ،وكل شئ فيه شعر إذا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور " ..

---

(١) اتجاهات وآراء فى النقد الحديث ، للدكتور محمد نايل ص ٣٣. مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٧١م.

(٢) خمسة دواوين للعقاد ص ٣٧٧.

وقد أكد العقاد نفسه أثر البيئة فى الشعراء ، ورأى أن معرفتها ضرورية فى نقد كل شعر فى كل أمة وفى كل جيل ، ولكنها ألزم فى مصر على التخصيص [١] ، كما أنه جعل شعر المديح من أفضل المقاييس لقياس حال الأمة والشاعر والأدب فى وقت واحد [٢] .ومنهجه النفسى لايهمل بأى حال من الأحوال العصر ولا البيئة ولا التاريخ [٣]

وليت العقاد قد راعى أن الشاعر وزملاءه من شعراء المدرسة التقليدية كانوا لايزالون يؤمنون بأن الشعر لايعدو أن يكون قدرة على النظم وتوليد المعانى أو الأخيلة، ولم يدركوا من حقائق الشعر أنه لابد وأن يكون مرآة لجوهر نفسى ومزاج خاص، ونظرة متميزة للحياة . وعندئذ لن يطالبه العقاد بأن يصدر فى شعره عن وجدان خاص متميز بأصالته

وهنا نكون قد انتقلنا إلى موقف آخر فيه نعنى بشوقى نفسه والمعروف أن من أهم مايميز شخصية شوقى أنه لايخفى ماينطبع فى نفسه من إحساسات، فكل مايحسه ويشعر به ينقله إلينا فى رقة وأمانة بالغة . لذلك كان شعره مرآة صافية لنفسه وللمجتمع من حوله. وقد صور فى هذا الشعر كل التقلبات السياسية فى المجتمع

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم ص ٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٨

(٣) انظر تطبيق منهج العقاد على ابن الرومى حياته من شعره .

فى وقته، واستحال هذا التصوير عنده بسبب من حنكته وخبرته الواسعة بالحياة إلى الحكم الكثيرة التى اشتهر بها والتى جرت على كل لسان.

وإذن فالقول بعدم ظهور شخصية شوقى فى شعره قول فيه نظر ، وقد دافع عن هذا الاتجاه عند شوقى الدكتور شوقى ضيف[١].

ثم إن العقاد نفسه وبعد أن تقدمت به العمر قد حاول التراجع عن بعض مادعا إليه[٢] ، وقد عاد فأنصف شوقيا وغير رأيه فيه بعد وفاته .

يقول العقاد [٣] :

" هو إمام مدرسة تستطيع أن تسميها بمدرسة التقليد المبتكر، أو التقليد المستقل ، لم يكن شوقى من المقلدين الآليين الذين يلتزمون حدود المحاكاة الشكلية ولايزيدون، ولم يكن مع المجددين الذين يعطون من عندهم كل ما أعطوه من معنى وتعبير، ولكنه كان يقلد ويتصرف، وكان تصرفه يخرجه من زمرة الناقلين الناسخين ".

---

(١) انظر شوقى شاعر العصر الحديث ص ٥١

(٢) انظر مقالا للعقاد نشر فى الرسالة عدد ٣٦١ فى ٣ يونيه ١٩٤ وانظر كذلك خمسة دواوين للعقاد ص ١٩١ ومابعدها

(٣) مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٨٢ ص ١٨، ١٩

وماذا يضير الشاعر من نقد العقاد؟ وليس هو الشاعر الوحيد الذي جرده من الشاعرية ومن عداد الفنانين [١].

إن هذا النقد لايقدح فى طاقة شوقى الشعرية الفنية، ويكفيه كشاعر أنه تغنى وجدان عصره ومجتمعه وفقا لظروف حياته الخاصة والعامة، كل ذلك فى فخامة لغته الشعرية، ومهارة موسيقاه، وسحر إيقاعها الذى فتن الأمة العربية كلها حتى جرى على ألسنة أبنائها.

وقد يصول شوقى فى المناسبة وفق تجربته . ففى قصيدته " بعد المنفى " [٢]والتى ألقاها فى اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية عام ١٩٢٠م) والتى مطلعها :

أنادى الرسم لو ملك الجوابا ... وأجزيه بدمعى لو أثاب

نجده يشيد بذكر البلاد التى آوته وهو منفى ، ويعترف بجميلها :

وداعا أرض أندلس ، وهذا ... ثنائى إن رضيت به ثوابا

وما أثنيت إلا بعد علم ... وكم من جاهل أثنى فعابا

....

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن استقبال وطنه له استقبالا رائعا بعد غيبة طويلة فى أبيات خالدة فى التغنى بالوطن والتفانى فى حبه مع مافيها من مبالغة .

---

(١) انظر مطالعات فى الكتب والحياة ، للعقاد ص ١٧٤.

(٢) الشوقيات : ٦٤/١.

ويا وطنى لقيتك بعد يأس ... كأنى قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيئوب يومــا ... إذا رزق السلامة والإيابــا
ولو أنى دعيت لكنت دينى ... عليه أقابل الحتم المجابــا
أدير إليك قبل البيت وجهى ... إذا فهت الشهادة والمتابــا

وينتقل بعد ذلك إلى مسألة التموين التى انعقد الاجتماع من أجلها :

شباب النيل ، إن لكم لصوتا ... ملبى حين يرفع مستجابا
......

لقد خضع الشاعر للمناسبة، ثم تخلص منها إلى أجواء تتسع للفن، فلماذا نعيب مثل هذا الشعر ؟ ألانه شعر مناسبات ليس إلا ؟. إن الشعر إذا كان رسالة للحياة فإن الحياة بمعناها الواسع ليست إلا مجموعة مناسبات .

إن الذى يعيب الشعر نقصان الحس والتجربة الفردية، وشوقى فى كثير من شعر المناسبات مستجيب لدوافع نفسية قاهرة ، وقد انبثق شعره فيها عن عاطفة صادقة وشعور دفاق، وفكر حر ، وخاطر عفوى فياض.

وإننا لنقرأ كثيرا من شعره فى المناسبات فنشعر أنه غمر المناسبة وسما فوقها، لأن روحه تحركت بإلهام صادر من النفس لامن خارجها، ولايعيب الشعر كونه فى المناسبة ، فكم من شعر نظم فى المناسبات للمتنبى ، والبحترى ، وأبى تمام ، وغيرهم من شعراء العربية الأفذاذ، ومع ذلك لايزال هذا الشعر فى ذاكرة قرائه ومستمعيه.

إن اهتمام النقاد بشعر شوقى ينبغى إلا ينصب على موضوعاته وأغراضه قدر الاهتمام بجزالة الشعر ،وبلاغته ، وقوة معانيه، وعاطفته الصادقة ، وتجربته الواقعية الخالصة، فللشاعر شعر وفير فى المناسبات، كانت عواطفه فيه متيقظة ، يضاف إلى ذلك أن كثيرا من المناسبات الاجتماعية ، والأحداث السياسية التى عبر عنها شوقى كانت مما يشغل بال المصريين والعرب ، ويمس نفوسهم وحياتهم فى الصميم . وهى لهذا يمكن أن تعد - فى موضوعها - ذات صلة لاتنكر بذات الشاعر، لأنه ليس من السهل عزل وجدانيات أى شاعر عن سائر مواقفه الشعرية ، لاتصالها بكل مايعبر عنه من خواطره وعواطفه.

فهل بعد هذا كله يمكن أن يقال إن شعر شوقي فى الحوادث والمناسبات لاينطق عن تجربة شخصية وحافز تلقائى ؟!

على أن دفاعنا عن شوقى لايعفيه من بعض مآخذ العقاد وزملائه، وبخاصة فى بعض أشعاره التقليدية فى الحوادث والمناسبات، تلك التى جاءت ترجمته فيها عن العواطف الجماعية غير معبرة، كما سيأتى تفصيل ذلك فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

ولكننا حيال موقف العقاد خاصة يجب أن نتنبه إلى أمرين هامين :

الأمر الأول : كان باستطاعة العقاد نقد شعر شوقى دون لجوء إلى مايشعر بالتحامل، فكأنه ليس له فى نقده لشوقى إلا تلك الحملة الجائرة وهذه التعليقات اللاذعة .

الأمر الثاني : أن هذه المآخذ جميعها لاتسقط شاعرا، ولئن صدقت على بعض أشعار شوقى أحيانا قليلة ، فإنها تصدق على بعض أشعار غيره من كبار شعراء العربية الموهوبين قديما وحديثا، ومع ذلك فإن الحق يدفع بنا إلى أن نقول إن شوقيا بما اجتمع له من جودة الصياغة، وبلاغة التعبير عن النفس ، والتوهج الشعرى ، يشفع له فى أى نقص، ويحفظ له المقام الرفيع الذي أحرزه بين شعراء عصره .

ثانيا : نقاد آخرون

ولم يقف نقد شعر شوقى فى المناسبات على جماعة الديوان فحسب ، بل إن هناك نقادا آخرين راحوا بين الحين والآخر يرسلون نقدا لشعر شوقى فى المناسبات ، وخلاصة مايقال فى نقد هؤلاء أنه لم يأخذ طابع المعركة من ناحية ، ولم يكشف عن تتبع أصحابه لشعر شوقى - إلى حد ما - من ناحية أخرى ، كما كان موقف العقاد مثلا .

(١) الدكتور طه حسين :

والدكتور طه حسين يعد على رأس النقاد الذين تناولوا شعر شوقى فى المناسبات بعد جماعة الديوان . وينبغى أن نلفت النظر هنا إلى أن كثيرا من نقاد هذا الشعر الذين جاءوا بعد الدكتور طه حسين قد تأثروا كثيرا بموقف العقاد وطه حسين ، وبمعنى آخر إن هؤلاء النقاد قد كتبوا نقدهم على وفق نظريات العقاد النقدية غالبا.

وقد وجه الدكتور طه حسين نقدا لشعر المناسبات، واتهمه بأنه أدى إلى جمود الشعر ، وأنه أخرجه من دائرة الأدب الحديث، وأظهر عدم ارتياحه لمناسبات شوقى ، ولا لكثير مما كان ينظمه ، ليس هذا فحسب ، بل إنه كان يحرض شعراء التجديد على شوقى، وكان يتخذ من خصومته مع شوقى وسيله للشهرة.

وقد أخذ على شاعرى مصر (حافظ وشوقى) الكسل فى التثقيف، والانصراف عن القراءة والبحث والتفكير ، والاكتفاء بتبادل الأشياء من قريب مما أدى إلى جمود الشعر، وانصراف الشعراء إلى تلبية رغبات الناس ، وإرضاء أذواق القراء طمعا فى رواج شعرهم .

يقول الدكتور (١):

" وأصبح الشعر بفضل الشعراء وكسلهم العقلى فنا عرضيا، لايحفل به إلا للهو والزينة والزخرف ، فاذا أراد بنك مصر أن يفتتح بناءه الجديد طلب إلى شوقى قصيدة فنظم له شوقى هذه القصيدة، وإذا أرادت دار العلوم أن تحتفل بعيدها الخمسينى - كما يقولون - طلبت إلى شوقى والجارم وعبد المطلب أن ينظموا لها قصائد فنظموا لها القصائد، وإذا مات عظيم وأريد الاحتفال بتأبينه ، أو نبه نابه وأريد الاحتفال بتكريمه طلب إلى الشعراء أن ينظموا الشعر فى المدح والرثاء فنظموه كما كان ينظمه القدماء . فانحط الشعر حتى أصبح كهذه الكراسى الجميلة المزخرفة التى تتخذ فى الحفـــــلات

(١) حافظ وشوقى ص ١٣١.

والمآتم،وأصبحنا لانتصور حفلة بغير قصيدة لشوقى أو حافظ ، كما أننا لانتصور عيدا أو مأتما بغير مغن أو مرتل للقرآن، فأما الشعر الذى يقال لنفسه . الذى يقال ليجلو مظهرا من مظاهر الجمال الطبيعى. الذى يقال ليكون صلة بين نفس الشاعر ونفس القراء . الذى يقال لاليتملق عاطفة من العواطف أو هوى من الأهواء فلا تلتمسه عندنا ولكن التمسه عند قوم آخرين عرف شعراؤهم لأنفسهم كرامتها ، فربئوا بها عن أن تكون أداة للهو والزينة " .

وقد لا أوافق الدكتور طه حسين على ما جاء فى هذه الفقرة، فالحكم فيها عام يشمل الجيد والردئ ، ونحن نرد عليه بما أثبته هو من وجود للشعر الصادق، ثم بما حكم به هو شخصيا على شوقى من أن حوادث الحياة أثرت شعره .

يقول : (٢)

"هذه طبيعة حافظ يسيرة كما ترى ، أما طبيعة شوقى فشئ آخر، معقدة ينبئنا شوقى نفسه بتعقيدها. فيها أثر من العرب ، وأثر من الترك ، وأثر من اليونان ، وأثر من الشركس .

التقت كل هذه الآثار وما فيها من طبائع، واصطلحت على تكوين نفس شوقى ، فكانت هذه النفس بحكم هذه الطبيعة، أو الطبائع أبعد الأشياء عن البساطة، وأنآها عن السذاجة ، وهى بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد مايكون الخصب ، غنية كأوسع مايكون الغنى .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٣.

ثم لم تكد هذه النفس الخصبة الغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها، ومن كنوزها وغناها مايزيدها خصبا وثروة إلى ثروة ".

والحق أن الدكتور طه حسين وإن كان يتأثر فى نقده بعواطفه وأهوائه (١) فإن نقده لشوقى كان أكثر اعتدالا إذا ماقورن بنقد العقاد ، فليس فيه مغالاة العقاد ولا إسرافه ، بل إنه كان يعترف فى نقده بعبقرية شوقى فى الشعر ، وكان يشيد بمواهبه ونبوغه(٢).

ومع هذا كله فقد عاد الدكتور طه حسين وأنصف شوقيا وقال عنه (٣) :

" إنه - أى شوقى - بعد أن عاد إلى مصر من المنفى تحول تحولا خطيرا حقا لانكاد نعرف له نظيرا عند غيره من الشعراء الذين سبقوه إلى أدبنا العربى وتحول فى ناحيتين خطيرتين : فأما إحداهما فهي أن شعره التقليدى تحرر من التقليد بظروف السياسة فانطلق وكاد شعره يصبح صورة لأهواء الشعب من حوله ، هذا الشعب بكل قوة وبكل حرية ، كأن الشعب إنما كان ينطق بلسانه.

والناحية الثانية هى أنه فجأة استكشف ، وإذا هو شاعر قد خلق ليكون مجددا ، فأقبل على التجديد فى السنين الأخيرة من حياته فأدخل فى اللغة العربية وفى الشعر العربى خاصة فنا جديدا

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٥٦.

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٨٥ ، ١٠٢، ١٩١.

(٣) مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٨٢م ص ١٨.

لم يسبقه إليه أحد ، وهو فن التمثيل الشعرى ، ومهما يكن من شئ فحسب شوقى أنه رد إلى الشعر العربى قوته ورصانته ومتانته. وحسبه أنه بعد البارودى الشاعر الذى رد الشعر العربى إلى حياته الأولى ".

(٢)الأديب المهجرى ميخائيل نعيمة :

وهذا ناقد آخر من بيئة بعيدة كل البعد عن بيئة شوقى ، إنه الأديب المهجرى " ميخائيل نعيمة" الذى يعد عقل المهجريين المفكر.

لقد كتب منذ عام ١٩١٧م مقالات عديدة فى الصحف والمجلات العربية فى المهجر الأمريكى الشمالي ، وقد جمعت هذه المقالات بعد الحرب الأولى فى كتاب له سمى باسم " الغربال" . وهو كتاب يحمل عدة آراء نقدية هامة، ويعد " ركيزة من ركائز الاتجاه الجديد فى الأدب العربى المعاصر إلى الابتداع ومحاربة التقليد "(١)

ومهما يكن فى آراء الأديب المهجرى من نقل مباشر أو غير مباشر عن مذاهب النقد الغربية ومقومات الشعر الأوربى ، فإنه فى كتابه" الغربال " يشن حملة نقدية عنيفة على الاتجاه التقليدى فى الشعر العربى الحديث، ويسخر من شعر المناسبات .

---

(١) أضواء على حياة الأدباء المعاصرين ، للأستاذ أنور الجندى : ٣/٩١.

يقول [١] : ..... وأصبحنا نتراسل نظما، ونتصافح نظما ... ونستقبل أصدقاءنا نظما، ونودعهم نظما، ونهنئهم بعيد أو بمركز أو بمولود نظما، إلى أن لم يبق فى حياتنا ما ليس منظوما سوى عواطفنا وأفكارنا ".

ومن الواضح أن طريقة " ميخائيل نعيمة " فى الحملة على شعر المناسبات تشبه إلى حد كبير طريقة العقاد فى معاركه النقدية حول شعر شوقى .

وإذا كان " نعيمة " لم يصرح باسم شوقى ، فإنه فى أغلب الظن يشارك العقاد فيما ذهب إليه، فقد التقيا فى الاتجاه النقدى ، وفى الإحساس بالتطلع للخلاص من الموضوعية إلى الذاتية ، وكان بينهما تقارب فكرى واضح [٢] جعل العقاد يكتب مقدمة لكتاب (الغربال).

(٣) الدكتور محمد صبرى :

ومن الذين عابوا شعر المناسبات الدكتور محمد صبرى . لقد كتب تمهيدا لقصيدة من قصائد شوقى عنوانها " عيد الفطر المبارك " يقول فيه [٣]:

---

(١) الغربال ص ١١٩ . دار صادر بيروت ١٩٦٠م.

(٢) انظر عباس العقاد ناقدا، للأستاذ عبد الحى دياب ص ١٤٧ - ١٥١.

(٣) الشوقيات المجهولة : ٣٦/٢.

" هذه قصيدة مديح وتهنئة ، سلسة الأسلوب ، مشرقة الديباجة ، لاعيب فيها إلا أنها من شعر المناسبات ".

(٤) الدكتور محمد غنيمى هلال:

ويأخذ الدكتور محمد غنيمى هلال على شعرالمناسبات خلوه من التجربة وافتقاده لها، يقول : (١)

" لا يعد من التجارب الصادقة فى شئ شعر المناسبات، لأنه لايعتمد على صدق الشاعر، ولأنه يجعل من الشعر مهنة أو دعاية، عمادها خلق مشاعر لمجاراة شعور الآخرين ، وليس من شأن هذا الشعر أن ينهض بالفن ، أو يكشف عن أغوار القلب الإنسانى... "

*****

تعقيب :

هذه بعض الآراء (٢) التى حاربت شعر المناسبات، وحكمت عليه بأنه لايمت بصلة إلى مشاعر الشاعر ونفسه .

وأيا ماكان الأمر فالشعر يجب أن يصدر عن نفس الشاعر، وينبع من داخله، ويعبر عن تجربته ، ويرتبط ارتباطا تاما وموضوعا.

---

(١) النقد الأدبى الحديث ص ٣٨٥ . وانظر كذلك : المدخل إلى النقد الأدبى الحديث، للدكتور غنيمى هلال أيضا ص ٣٠٤ . طبعة عام ١٩٥٨م.

(٢) انظر أيضا " ثورة الأدب " للدكتور محمد حسين هيكل ص ٥٨، ٦٢، ٦٧. القاهرة ١٩٤٨م.

وليس يعيب هذا الشعر بعد ذلك كله أن يكون ذاتيا أم غير ذاتى ، يتعلق بالشعب وقضاياه، لأن الشاعر قد جاءنا بما ننتظره منه ، فهتف بالترجمة الشعرية لهذا الطارئ الهام الذى يحسه، وصدح بالنغم لكل مايهز جوانب نفسه . وإنما العيب ألا يكون الصدق ملازما لانفعال الشاعر ، وأن يأتى شعره فلاندرى أهو له أم لغيره؟

فالشعر ما هو إلا تصوير للعواطف، وليس لحنا يصور العالم الخارجى دون مراعاة صلة الشاعر به ، وقيمة الشعر " قيمة ذاتية، لاترتبط بالمناسبة أو سواها، وليس فى الدنيا شعر لاينبع من مناسبة " [١].

وعلى هذا فنحن نرى أن شعر المناسبات كأى شعر ، فإن انبثق عن عاطفة صادقة ، وفكر حر، جاء شعرا صادقا يقبله الذوق ويرضى به ، ولاضرر عليه من ارتباطه بالمناسبة ، فلئن كان الشعر رسالة للحياة فما الحياة إلا مجموعة مناسبات، وكل الشعر العاطفى إنما تدعو إليه مناسبة من المناسبات العاطفية من حب وإعجاب وتذكر ، وغير ذلك من العواطف التى هي البواعث الحقيقية لشعر القلب .

وعندى أن الشاعر الذى يخضع شعره للمناسبة ، ثم يتخلص منها ببراعة إلى موضوعات أخرى تتسع للفن لهو أقوى طاقة من شاعر آخر يستولى عليه الخيال ويستبد به ، ويجعله يشطح إلي عالم آخر يخالف عالمنا مهما كان لخياله من تحليقات ، فالمناسبة ليست التى تخلق الأفكار والخواطر ، ولكنها تهيئ لها فرصة الظهور والانطلاق فحسب .

---

(١) اتجاهات وآراء فى النقد الحديث، للدكتور محمد نايل ص ٩٦.

يقول الأستاذ أنيس المقدسى وهو بصدد دراسة شعر شبلى الملاط [١] :

" ليس شعر المناسبات بحد ذاته مما يعاب على الشعراء . فإن المناسبات كثيرا ماتكون من أفضل الموحيات للشعر الجيد. وكم من مناسبة خصوصية أو عمومية نجم عنها روائع الشعر قديما وحديثا. ذلك بأنها مست روح الشاعر مسا خاصا فأضرمت فى قلبه من العواطف والخواطر مايتمثل للنفوس فى كلام يستهويها بجماله ويعلو بها عن العادى فى الحياة . المهم أن تكون المناسبة مصدر وحى صادق للشاعر لا مجرد واجب يجب عليه أو مطلب يطلب منه فيقوم به كما يقوم ذو الحرفة بما يصنعه للناس من أدوات ولوازم "

ولاضرر على شوقى حين ينظم فى المناسبة ، لأن أحدا لم ينتدبه للنظم ، وإنما هو الذى صرف همه عن مضامين كثيرة ، وآثر أن يتمثل العصر، ويصور البيئة ، وينصرف إلى متطلبات الوطن وأحداثه اليومية.

وطبيعة الشعر تجعل الناس يرجعون إليه فى المناسبات المختلفة، ويخضعون لوحيه فى كثير من المواقف ، ويردده الشعراء أنفسهم حين تهيجهم الحوادث .

ثم إن البيئة هى التى تخلق الشاعر والأديب ، والفنان بصفة عامة صدى لمشاعر اجتماعية عميقة الجذور، وإن توهم أحيانـــا بأن

---

(١) أعلام الجيل الأول من شعراء العربية فى القرن العشرين ص ٣٤١.

عمله هو للفن الخالص . ونحن لو درسنا أى عمل فنى فإننا سنجده حتما تعبيرا لاشعوريا عن حدث جرى أو يجرى فى محيط الفنان، أراد أم لم يرد ، والفنان يعطى مجتمعه بمقدار إحساسه ورهافة شعوره بالحدث الخارجى ،وعليه فعلى النقاد أن يحفلوا بالعوامل النفسية المؤثرة فى نظم الشاعر ، فى رغبته ورهبته وطربه ، أو فى دفاعه عن مجتمعه والذود عن حماه ، وذكر مآثره ، والتغنى بأمجاده وانتصاراته، ورد كيد أعدائه

وقد يأتى نظم الشاعر فى المناسبة متوافقا مع دوافع نفسية قاهرة، وكل ما كان للمناسبة من دور أنها حركت فحسب التجربة التى بداخل الشاعر. ولايستطيع أحد أن ينكر مافى هذا الشعر من مشاعر صادقة فالشعر الصادق هو ما كان مرآة لعصره ، وسجلا لبيئته ، وديوانا لأيامه، وتعبيرا لأحاسيس قائلية [١]

حقيقه إن شاعرا هذا شأنه يحملنا على أن نستغرق معه ، وأن نشاركه عواطفه، لأن شعره ليس إلا تعبيرا فنيا عن الحياة ، وصورة صادقة للبيئة بكل مافيها من أحداث ، وهو سجل حافل بالتطورات والمؤثرات المختلفة ، وتلك هى السمة الحقيقية للأدب الأصيل

---

١ التجديد فى الأدب المصرى الحديث للأستاذ عبد الوهاب حموده ص ١٢ دار الفكر العربى الطبعة الأولى

ولا ضير على التجربة الشعرية أن تكون نضالا مع مجموع الشعب ومصارعة معه للحياه، فالأديب " مهما يكن من أمره كائن اجتماعى لايستطيع أن ينفرد ، ولا أن يستقل بحياته الأدبية ، ولا يستقيم له أمر إلا إذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس ، فكان صدى لحياتهم، وكانوا صدى لإنتاجه ، وكانوا مرآة لما يذيع فيهم من رأى وخاطر، ومايغذوهم به من هذه الآثار الأدبية على اختلاف ألوانها"[1].

على أن التيارات الأدبية المعاصرة لا تكاد ترضى اليوم عن شاعر يهرب من واقع أمته ومشاكلها، وواقع الحياة " ولم يعد مقبولا أن يناصب الأديب - والمفتن - البشرية العداء ، بالوقوف موقفا سلبيا بإزاء قضايا: الحرية ، والسلام ، والإخاء ، والمساواة، والرخاء العالمى، والتقدم العلمى ...وما إليها، مما أصبح مناط السعادة البشرية " [2].

فلماذا إذن كل هذه الحملة على الشاعر أحمد شوقى ؟! ولماذا وصف بأنه يتملق بشعره جموع المصريين ؟!.

إننا نرى الشعراء المجددين يشتركون مع شوقى فى الموضوعات اليومية ، فللعقاد قصائد فى الموضوعات الآتية : " ثلاث عشرة حجة " ، " تحية زعيم راحل " ، " على قبر إبراهيم " .

---

(١) فصول فى الأدب والنقد . للدكتور طه حسين ص ٨ دار المعارف بمصر

(٢) قضايا النقد الأدبى الحديث . للدكتور محمد السعدى فرهود ص ٢٨٨ مطبعة زهران ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م

" الشهيد معاوية " ، " عيد الجهاد " ، حى اتحاد النساء " ، "أبطال الفالوجة " ، " كوكب الشرق " ، " فى ذكرى الزعيم الوطنى محمد محمود باشا " ، " شهيد الوطن " ،" الأستاذ الأكبر " ، " السيدة هدى " ، " إلى المحسنين" ، " إلى غاندى " ، " عيد الاستقلال السورى " ، " على قبر سعد " ، " على قبر حافظ " ، " على ضريح سعد " ، " يوم الجهاد " ، " عيد بنك مصر " ، " ذكرى سيد درويش" ، " فاز سعد " ، " إلى متطوع مشروع القدس " ، " بين عهدين " ، "دار العمال " (١).

ولشكرى قصائد فى : رثاء الزعيم مصطفى كامل ، والأستاذ محمد عبده ، والمصلح الاجتماعى قاسم أمين ، وله كذلك شعر فى الفتنة الطائفية . كما أن للمازنى قصائد فى رثاء الزعيم محمد فريد، وفى تحية سعد زغلول .

وفضلا عن ذلك كله نحن نجد العقاد يفرد فى ديوانه الثالث (بعد الأعاصير) بابا خاصا بالوطنيات وبابا آخر خاصا بالتأبين ، كما أنه أفرد فى ديوانه الرابع(وحى الأربعين) بابا خاصا

---

(١) انظر خمسة دواوين للعقاد ص ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢، ١٥٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢، ٢٥٦ ، ٢٥٨، ٢٦٠ ، ٣٥٨، ٣٥٩ ، ٣٦١، ٣٧٢ ، ٣٧٣، ٤٢٠، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠، ٤٣١ ، ٤٣٣.

بالقوميات والاجتماعيات[١] . وأخذ فى كل دواوينه يجارى الشعراء المحافظين فى الموضوعات الاجتماعية التى تعبر عن حياة الأمة وما تتطلبه حياتهم من أمور أفضل فى كافةأمور الحياة ، مما يعنى أنه لم يستطع أن ينسج شعره كله على وفق نظرياته النقدية، وقد لاحظ بعض النقاد عليه ذلك .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٣٥٧ .

(٢) انظر الشعر المصرى بعد شوقى ، للدكتور محمد مندور : ٥٦/١ ومابعدها .

الباب الثانى

المناسبات بين التجديد والتقليد

الفصل الأول

مظاهر التفوق فى شعر المناسبات
عند شوقى



لقد بلغ الشعر العربى قبل البارودى أدنى مستوى له ، سواء فى موضوعاته أو فى صياغته ، وهو مستوى لايقارن بما كان عليه الشعر فى عصور ازدهاره المعروفة من بداية العصر الجاهلى وخلال العصور الأدبية المتتابعة (١).

وظل هذا شأنه حتى انتشله البارودى من وهدته ، وبعثه بعثا جديدا، وأخذ يخوض فى أغراض هى من وحى عصره وتجاربه الخاصة (٢) فكان نموذجا رائعا لمن أتى بعده من الشعراء فى هذا المضمار.

ولقد لقى التيار الذى سلكه البارودى إقبالا شديدا، وأصبح شعره نموذجا لمن أتى بعده من الشعراء، وقد فهم هذا الجيل من الشعراء - وعلى رأسهم شوقى - الشعر على أنه تسجيل للحوادث السياسية والاجتماعية، ولذلك صوروا فى أشعارهم - مع اختلافهم فى الدرجة - الشعب ، وعواطفه ، وأهواءه ،بل صوروا كل دقيق وكل جليل فى حياتهم . والحق أن أحدا من شعراء هذا الجيل لم يكن له شعر قوى يتغنى فيه بأحاسيس الشعب وآماله مثلما كان للشاعرين (حافظ وشوقى).

---

(١) انظر تصوير العقاد للشعر فى تلك الآونة (الشعر المصرى بعد شوقى ، للدكتور محمد مندور : ١/٣، ٤) .

(٢) انظر مقدمة ديوان البارودى لهيكل ص ٩.

وإنصافا لشوقى أمام أولئك الذين تجنوا عليه ، ورموه - بسبب كثرة نظمه فى الحوادث والمناسبات - بجمود الطبع ، ونضوب القريحة ، وأنه لاشخصية له في شعره ، صار من الضرورى أن تستكمل هذه الدراسة أداتها ، فتنصف الشاعر ممن تجنوا عليه، وتقف عند شعره لتتبين وجوه القوة الشعرية ومظاهر التفوق فيه .

ولعل سائلا يسأل : هل تحقق لشوقى - بما أتيح له من ظروف خاصة، ومن اطلاعه الوافر، ومتابعته للأحداث فى زمانه - أن يرود فى شعر المناسبات آفاقا جديدة ؟

حقيقة نحن نرى أن لشوقى شعرا كثيرا فى الحوادث والمناسبات ، وهو يعد بكل المقاييس نفحة فنية رائعة، لم يستطع شاعر أن يدانيه فيها، بل إن هذا الشعر يمكن أن يتخذ مقياسا لشاعريته، ومتانة لفظه ، ورصانة أسلوبه ، وحسن أدائه ، وفوزه بالمعنى الجيد، وقد أتاحت لشوقى موهبته وظروف حياته أن يؤدى دوره فى هذا الشعر على خير ماكان يمكن أن يؤدى فى ذلك العصر، حتى خرج شعره يشبه فى فخامته شعر الكبار من شعراء العصر العباسى ، مع تميزه بانتمائه إلى العصر الحديث .

إن ملامح فنية كثيرة بدت فى شعر شوقى الذى نظمه فى الحوادث والمناسبات ، أكدت أصالة أدائه العربى البليغ ، وكشفت عن قدرة الفن الشعرى الذى قدمه ، كما كشفت عن تفوقه فى شعر المناسبات ، وفيما يلى نتحدث عن هذه الملامح :

أولا : عمق العاطفة وغزارة الشعور :

العاطفة عنصر هام من عناصر الأدب ، وركن أساسي من أركانه، بل هي عماده وهي التي تمنحه صفة الخلود " [١].

والعاطفة هي التي توجه خيال الشاعر ، وتدفعه إلى انتقاء الألفاظ واختيار صور القول، ثم هي التي تجعل الشعر صورة صادقة لنفس الشاعر، وقطعة من حياته ، وتكشف عن تجربته بوضوح .

وأول مايتميز به الشعر القوي الصادق أنه تعبير عن عاطفة تجيش بنفس الشاعر ، أما الشعر الضعيف فهو الذي لاينبع عن عاطفة ، وهو شعر يأتي كله زائفا تعوزه الحرارة.

وعلى ذلك فهل كان الشعر الذي قرضه أحمد شوقي في المناسبات نابعا من عواطفه ؟

والحقيقة أن الشاعر يأخذ من الحوادث والمناسبات مايدعوه إلى الشعر، ومن خلالها يرى مايمكن أن يستخرجه منها للتعبير عن إحساسه وعواطفه ، وقد عكس في أشعاره تجاربه، أو مجموعة من التجارب التي يعانيها في حياته ، أو لنقل في حياة من يعيش بينهم من المصريين والعرب ، وهذا بلاشك يثري التجربة الشعرية ، ويجعلها تنبض بالحياة ، لأن أغنى الشعراء وأكثرهم إبداعا ، وأروعهم شعرا، وأوسعهم شهرة هو أغناهم بتجارب الحياة ، وأكثرهم فطنة بها، وفهما لأحداثها، ثم بما لهذه الأحداث من وقع على الأجيال وكيانهم.

---

(١) النقد الأدبي ، للأستاذ أحمد أمين : ٢٢/١ . مطبعة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

والذى لاشك فيه أن شعر شوقى فى الحوادث والمناسبات حلقات متصلة من العواطف الدينية والوطنية ، وقد استشعر شوقى فى مناسباته تلك العواطف ونظم فيها قصائد تطرب نفوس المصريين ونفوس المسلمين جميعا ، وقد سجل التاريخ آيات رائعة له فى ذلك ، ولعل هذا هو السبب فى شيوع شعره ، وفى إقبال المتذوقين عليه وارتياحهم له .

والذى يذكر لشوقى أن التزامه بالعناصر الشعرية التقليدية لم يكن ليعوق تعبيره الصادق عن أحاسيسه ومشاعره ، التى من المؤكد أنها ثمرة من ثمرات عاطفته الدينية والوطنية التى انطوت عليها نفسه ، يؤكد ذلك أن هذا الجانب من شعره هو الذى عاش بعد ستين سنة تقريبا من وفاته ، ومايزال يلقى الإعجاب والتقدير، ويتردد على مدى الزمان أنشودة تتردد على الألسنة من بعده .

فالعاطفة الدينية هى التى أوحت للشاعر بذلك الفيض الزاخر من الشعر الإسلامى، تمده بالقوة نزعة دينية حادة ، وحب عميق للإسلام ، دفع الشاعر إلى إطلاق هذا المدد المتدفق من الأحاسيس والعواطف التى تتوقد غيرة على الإسلام ، وتتفانى فى الدفاع عنه، وترد عن ساحته كيد العادين ، وترى فى مبادئه المنقذ للشرق من وهدته .

ويحق لنا هنا أن نبين الفرق بين الشعر الدينى عند شوقي والدور الذى يقوم به ، وما كان عليه شأنه فى العصور السابقة.

والمعروف أن أكثر الشعر الدينى فى العصور السابقة كان بمثابة نزعة خاصة ، يتحدث فيها الشاعر عن عواطفه وأحاسيسه ، فهو أدب ذاتى يصور أشواق النفس وأحزانها ومواجدها لا يتجاوز ذلك .

أما شعر شوقى فإنه يتخذ موقفا إيجابيا من الأحداث ، ويثير بعض القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد يذكر الأمة بمجد الآباء ، ويعرض أمامهم صور هذا المجد ، علهم يطمئنون إلى قوة البناء الذى ينهضون على أساسه ، ولذلك صار هذا اللون هو الجانب الخالد من شعره، وهو الذى نزعم أنه بقى على الزمن هذه الفترة الطويلة بعد وفاته ، وأشاع فى نفوس الناس المفاهيم الإسلامية بأسلوب عربى بليغ .

وهذا هو المثل الأعلى للشعر كما قرر الدكتور طه حسين فى أكثر من موضع حيث ذهب إلى أن " المثل الأعلى للشعر هو هذا الكلام الموسيقى الذى يحقق الجمال الخالد فى شكل يلائم ذوق العصر الذى قيل فيه، ويتصل بنفوس الناس الذين ينشد بينهم ، ويمكنهم من أن يذوقوا هذا الجمال حقا فيأخذوا بنصيبهم النفسى من الخلود " (١).

ولست أدرى أى قصائد شوقى نختارها نموذجا يؤكد صدق عاطفة الشاعر، أنختار قصيدة من قصائده فى الخلافة العثمانية ؟ أم نختار قصيدة فى المناسبات الإسلامية التى لا تتصل بالخلافة؟ وكلها فيما نرى مشحونة بالعاطفة .

---

(١) حافظ وشوقى ص ٢٥.

لننظر قصيدته (انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة) [(١)] والتى مطلعها:

الله أكبركم فى الفتح من عجب ... ياخالد الترك جدد خالد العرب

إنها قصيدة طويلة مكونة من ثمانية وثمانين بيتا ، وقد هنأ فيها الزعيم مصطفى كمال مؤسس تركيا الحديثة بانتصاره على اليونانيين فى آسيا الصغرى وطردهم من البلاد ، ونحن لانملك إلا أن ننتشى عجبا ونهتز طربا من القصيدة .

لقد وصف الشاعر فى القصيدة انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة، واهتز طربا لهذا النصر ، وعده نصرا للمسلمين جميعا ، كما أنه قرن حروب العثمانين بجهاد المسلمين الأولين منذ موقعة بدر وحتى مواقع صلاح الدين الأيوبى :

تحية أيها الغازى وتهنئـــــة ... بآية الفتح تبقى آية الحقـــب
قواد معركة . وراد مهلكـــة ... أوتاد مملكة ، آساد محتـــرب
بلوتهم، فتحدث:كم شددت بهـــم ...من مضمحل!وكم عمرت من خرب ؟
أخرجت للناس من ذل ومن فشل ... شعبا وراء العوالى غير منشعب
لما أتيت ببدر من مطالعهـــا ... تلفت البيت فى الأستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة ... إن المنورة المسكية التـــرب
وأرج الفتح أرجاء الحجاز ، وكم ... قضى الليالى لم ينعم ولم يطب
وازينت أمهات الشرق واستبقت ... مهارج الفتح فى الموشية القشب

---

(١) الشوقيات : ١/٥٩ - ٦٤.

هزت (دمشق)بنى(أيوب) فانتبهـوا ... يهنئون (بنى حمدان) فى(حلـب)
ومسلمو(الهند)و(الهندوس)فى جذل ...ومسلمو(مصر)والأقباط فى طرب
ممالك ضمها الإسلام فى رحـــم ... وشيجة ، وحواها الشرق فى نسب
من كل ضاحية ترمى بمكتحـــل .. إلى مكانك أو ترمى بمختضـــب
تقول : لولا الفتى التركى حل بنا ... يوم كيوم يهود كان عن كـثب

وأستطيع أن أقول مطمئنا بعد أن قرأت القصيدة إن القارئ لابد وأن يهتز طربا لهذا التوهج العاطفى الذي فيها، فقد عبر الشاعر عن شعور عميق كان يختلج فى نفوس المسلمين جميعا حين استعادوا ما كان للإسلام من مجد فى غابر الأزمان .

ونحن نبخس الشاعر حقه إذا وافقنا النقد الذى وجه للقصيدة(١) فوراء النظم مزايا معنوية وفنية تجعل الشاعر يحتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره . وإذا كنا لانستطيع أن ننكر مافى القصيدة من فخامة شعرية ، وصياغة فنية رائعة، فإننا كذلك نقول إن بائية أبى تمام التى مدح بها المعتصم ، وذكر فتح عمورية والتى مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب .... فى حده الحد بين الجد واللعب

تعد من الفرائد التى نالت شهرة واسعة، وقد حازت إعجاب الشعراء فاندفعوا إلى محاكاتها ، ومن بين الشعراء الذين دفعهم الإعجاب إلى معارضتها الشاعر أحمد شوقى (٢).

---

(١) انظر حافظ ابراهيم شاعر النيل ، للدكتور عبد الحميد سند الجندى ص ٢٠١، ٢٠٢ . مطابع دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٨١ (مكتبة الدراسات الأدبية).

(٢) انظر المعارضة فى شعر شوقى ، للدكتور إبراهيم عوضين ص ٩٤ . مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

كما أن قوة العاطفة وصدقها قد تجلت فى أشعاره فى المناسبات الإسلامية التى لا تتصل بالخلافة، ونحن نرى فى هذه الأشعار المضامين الإسلامية الخالدة ، ونرى فيها شفافية خاصة ، وكأنما استمدها الشاعر من صوفية عميقة وإيمان خاشع ، ولذلك حفظتها الأجيال الإسلامية فى أفكارها ، ورددتها فى مناسباتها الدينية.

والحق أن الشاعر قد صور فى هذه القصائد أحزانه لما تلاقيه مصر والبلاد الإسلامية من مصير ، ومايعيشه أبناؤها من ضعف وتفرقة ، ولهذا دأب فيها علي استنهاض الأمة على أن تترسم الماضى ، وأن تعود إلى رشدها، وتفيق من غفلتها ، وتتنبه إلى مايحدث بها من أخطار .

ومن ينظر شعر شوقى الوطنى يراه يحمل شخصيته وأحاسيسه ، ومشاعره إزاء المجتمع وكل شئ فى الوجود من حوله دون مواربة أو خداع. ومن يستعرض قصيدة من هذا الشعر يري عناصر جديدة ، وأفكارا جديدة، ويلمس النغم الذى يطرب العواطف، وغير هذا وذاك مما يؤكد عبقرية شاعرنا ، وأنه لم يتح لشاعر ممن عاصروه أن يتفوق تفوقه ، أو يبلغ مبلغه.

وشوقى أغزر الشعراء مادة ،وأوسعهم إنتاجا فى الوطنية ، ومع ذلك فإن الوطنية فى شعره هى فيض الإلهام والفطرة وليست من صنع الظروف والتكلف ، وعواطفه الوطنية فى شعره هى أقوى عواطفه ، وأشدها أثرا ،وأجلها خطرا، ولاعجب فلقد نمت هذه

العاطفة فى نفسه منذ شبابه ، وغذتها الأحداث الخطيرة التى مرت بمصر ، وقد نمت تلك العاطفة فى نفسه حتى صارت شيئا رائعا له جذور عميقة فى كيانه .

والأمر المؤكد أن أصول الوطنية إذا رسخت فى نفس الشاعر، وقوى إيمانه بها، واشتد حماسه لها ، أنتجت شعرا قويا رفيعا ، متوهجا بالعاطفة الحارة، حافلا بالصور الرائعة .

وشعر الوطنية عند شوقى تغذيه روافد ثرة جياشة ، على رأس هذه الروافد حبه لمصر ، ذلك الحب الذي ملك عليه فؤاده ، وشغل حواسه ، ودفعه مرات ومرات لأن يطلق صيحاته المتتابعة كى يستنهض الهمم ، ويوقظ الغافلين ، ويلوم المتخاذلين ، هذا فضلا عن أن الشاعر كان كلفا بالعظمة ، وكان يعتز بمصريته، ويرى الإشادة بها فرضا عليه، فكان له ما أراد وصارت مصر مجتلى قريحته، ولباب شاعريته.

وشعره فى حب مصر والفخر بها كثير منوع الصور، وهو شعر جاشت به نفسه فتنفس عنها، وأزجته عاطفته فاستجاب لها ، وعاطفته مع صدقها حارة عالية الدرجة، نبيلة تثير عواطفنا وإعجابنا ، وشوقى فى مواطن شتى من ديوانه يخلق المناسبة خلقاكى يبوح بحب مصر ، ويعبر عن آمال الشعب .

وما أن نفى شوقى إلى الأندلس حتى ازداد حنينا إلى وطنه، وازداد شعورا بلوعة الحزن على فراقة ، فالنفى قد استثار الوطنية الكامنة فى نفسه، وأججت الغربة نارها.

ولنقرأ قصائده التى قالها إبان الحرب الأولى وهو منفى بأسبانيا والشوق يحرك حنينه إلى مصر لنرى وطنيته الصميمة ، ومن أشهر هذه القصائد :

(١) قصيدة يعارض فيها نونية ابن زيدون ، ويناجى بها مصر وهو فى منفاه بأسبانيا والتى مطلعها [١] :

يانائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟

(٢) وله فى هذا المعنى قصيدة أخرى ، عارض فيها سينية البحترى ، وهى قصيدة خالدة ، يقول فى مطلعها [٢]:

اختلاف النهار والليل ينسى ... اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

إن كل قصيدة من هاتين القصيدتين قطعة من نفس شوقى ومن حياته ، وقد تجلت فيها التجربة الشعرية الصادقة ، وخرجت طريقة الشاعر فى الوصف تمتاز بالتصوير الفنى الجميل .

والتجربة الشعرية فى القصيدتين تجربة حية لامست قلب الشاعر، ونبعت من واقع إحساسه بالحياة فى داخل نفسه، وهي تجربة صادقة لألم المنفى والغربة، والحنين إلى الوطن، فشوقى يحن إلى مصر حنين الصب المستهام ، فلم يسلها قلبه ، ولم تزده الغربة إلا حنينا وأنينا، وكلما استطال زمن الغربة توهجت نفسه شوقا وحنينا وآلاما وحرمانا، ثم آمالا وأمنيات ، وتأملات وفلسفات، كل ذلك فى خيال مبدع ، وتصوير مثير .

---

(١) الشوقيات : ٢/١٠٤ .

(٢) الشوقيات : ٢/٤٥.

هذه هى الصورة العامة للقصيدتين ، مشاعر وأفكار وتصوير. ويبقى علينا أن ننظر من بعض الجوانب التى يقتضيها النقد فى دراسة النص .

١- القصيدتان فى الجملة من باب الحنين إلى الوطن والأحباب ، والتألم من الغربة ،و هذا الباب مطروق في الشعر قديما وحديثا ، ومع أن الشاعر عارض فى القصيدة الأولى شاعر العربية (ابن زيدون) وعارض فى الثانية (البحترى) فإن فى القصيدتين ملامح يمكن أن تكشف بعض الجوانب فى شخصية شوقى ، وصورة المجتمع والعصر من حوله.

٢- التجربة الشعرية فى القصيدتين تجربة حية لامست قلب الشاعر ، وهى صورة حية للكيان النفسى الذى عاشه فى منفاه .

٣- خرجت القصيدتان على خير مايكون الاستواء فى وحدة الانفعال والشعور ، ووحدة الأفكار والصور، هذا فضلا عن الصياغة ، والتصوير ، والنغم الموسيقى ، مما يشهد للشاعر بأنه فى القمة بين شعراء عصره ، وأنه على مستوى من الثقافة العربية الأصيلة نفتقده الآن فى شعرائنا المعاصرين.

ونحن حين نوازن بين شوقي وشاعرى الوطنية فى مصر (البارودى وحافظ) فإننا نجد أن كل شاعر منهم قد تغنى بحب مصر وبالحنين إليها. ومع أن الشعراء متساوون فى صدق العاطفة ، فإننا لم نجد من بينهم من يتميز بالافتتان فى التعبير، وجلال الصور، واستيحاء الشعور الجياش كما هو الحال عند شوقي ، بل

إنه ليمكن لقول إنه ينفرد بمهارته الخاصة فى الربط بين الفكرة التى يدعو إليها والمناسبة التى يهتبلها ، ولذلك كان شعره يلقى الاستجابة الفورية فى قلوب الجمهور .

وماذا عساى أن أذكر أو أدع من قصائد شوقى الوطنية لأثبت قوة عاطفته، وغزارة شعوره ، وتصويره لعواطف معاصريه وميولهم، وشعره يمتاز فى كل مرحلة من مراحل الوطنية المصرية بالعاطفة الجياشة، والحماسة الغلابة ، والبيان الناصع ، وقد تطور شوقى فى هذا الشعر تبعا لتطور الأحداث ، وأخذ يلاحق القضاياالوطنية، وصار شعره على الدوام غذاء لهذه الوطنية ، يذكى أوارها ، ويجدد حماستها، ويرثى صرعاها ، ويواسى جرحاها ، ويشد من العزائم حين تخبو أو يتطرق إليها وهن .

وما أحسب أن شاعرا نجح فى صدق العاطفة مثلما نجح شوقى فى قصائده التى دعا فيها للوحدة ونبذ الاختلاف والفرقة ، ففى هذه القصائد يسطع نور الوطنية ، ويتأجج لهيبها.

وله قصيدة نظمها فى الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم مصطفى كامل ومطلعها [١]:

إلام الخلف بينكم " إلاما ؟ ... وهذى الضجة الكبرى علاما ؟

وقد تناول الشاعر فى هذه القصيدة ما أصاب البلاد من تناحر وانقسام وتشاحن ، وترفع فيها عن مهاترات الأحداث ، وحـــزازات

---

(١) الشوقيات : ١/٢٢١.

الجماعات ، وأبيات القصيدة أكبر دليل على إخلاص شوقى لنفسه ولفنه ، وقد صدر فيها عن شعور قوي لدرجة تجعلنا نقول إن حرارة كل بيت من أبيات هذه القصيدة تجربة عاشها الشاعر.

والحق أن قصائد شوقى فى الوحدة قد اكتسبت بعدا سياسيا ، وقد انطلق الشاعر فى هذا الشعر من حدود المناسبة الضيقة إلى آفاق رحبة فسيحة ، مما جعل الغرض أكثر إثارة ، كما جعله مجالا للتفنن والإجادة.

ومن يراجع شعر شوقى فى العروبة يجده صادق العاطفة ، وقد تجلى الصدق فيما أحدثه هذا الشعر من أثر فى نفوس القراء، هذا فضلا عن أنه ذكى حماسة العرب ، وهيج نفوسهم، وأشركهم مع الشاعر فى الفرح والحزن ، وماشاكل ذلك من العواطف والمشاعر القومية.

وربما أن هذا الإعجاب كان أحد الأسباب التي ولدت الحقد على شوقى . يقول الأستاذ عمر الدسوقى [١]:

" ونفس بعضهم على شوقى تلك المكانة العلية التى رفعته إليها الأمة العربية إعجابا بأدبه وتقديرا لفنه ، ولأن شعره كان يتجاوب مع أحاسيسها ، ويعبر بقوة وفى صياغة ساحرة عن كل مايختلج فى ضمائرها ، ويعتلج فى صدرها من آلام وآمال ، فشنوا على شوقى حربا شعواء ، لم تخفف من حدتها برودة الموت...".

---

(١) دراسات أدبية ص ١٥٥.

ومن قصائد شوقى فى العروبة والتى هى مظهر من مظاهر الحس القوى والعاطفة الجياشة ، قصيدته " دمشق " (١) والتى نظمها فى الثورة السورية على الفرنسيين عام ١٩٢٥ومطلعها :

قم ناج جلق ، وانشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداث وأزمان
هذا الأديم كتاب لاكفاء لـــــه ....رث الصحائف، باق منه عنـوان
الدين والوحى والأخلاق طا نفــة ... منه وسائره دنيا وبهتـــــان
مافيه إن قلبت يوما جواهـــره ... إلا قرائح من راد وأذهـــــان
بنو أمية للأنباء مافتحـــوا ... وللأحاديث ماسادوا ومادانـــوا
كانوا ملوكا، سرير الشرق تحتهـم ... فهل سألت سرير الغرب :ماكانوا؟
عالين كالشمس فى أطراف دولتها ...فى كل ناحية ملك وسلطـــــان
ياويح قلبى ! مهما ارتاب أرسمهم ... سرى به الهم ، أوعادته أشجـان
بالأمـس قمت على الزهراء أندبهـم ... واليوم دمعى على الفيحاء هتان (٢)
فى الأرض منهم سماوات وألوية ... ونيرات ، وأنواء ، وعقبــــان
معادن العز قد مال الرغام بهــم .... لو هان فى تربة الإبريز ماهانـوا
لولا دمشق لما كانت (طليطلة)... ولازهت ببنى العباسى بغـدان (٣)

إنه يذكر مجد دمشق أيام الأمويين ، وكأنه يهيب بأهلها أن يشيدوا ما كان لهم من ملك غابر ومجد زاهر .

ونحن نحس الأسى والحسرة حين نرى الشاعر يقف أمام دمشق يسائلها عن مجد العروبة العريق فيها، ونحس كذلـك مزيجـا مـــن

---

(١) الشوقيات : ٢/١٠٠ - ١٠٣.

(٢) الزهراء : قصر خلفاء بنى أمية بالأندلس والفيحاء : دمشق .

(٣) بغدان : إحدى لغات كثيرة فى بغداد (الشوقيات: ٢/١٠١).

من الحسرة والندم حين نقرأ ماتوجه به من حديث للمسجد الأموى الكبير فى دمشق :

مررت بالمسجد المحزون أسألـــه ... هل فى المصلى أو المحراب (مروان) ؟
تغير المسجد المحزون ، واختلفت ... على المنابر أحرار وعبـــدان
فلا الأذان أذان فى منارتـــه ... إذا تعالـــى . ولا الآذان آذان

وقول الشاعر فى البيت الأخير (فلا الآذان ...) يرقى إلى درجة عالية فى الجمال الفنى ، فهو يطلعنا على آفاق واسعة تمتد من العصر الأموى إلى عصرنا الحاضر .

ويختم القصيدة بالنصح والتذكير ، وبالإشارة إلى وحدة الشعور التى تجمع العرب فيقول :

نصيحة ملؤها الإخلاص ، صادقـــة ... والنصح خالصه دين وإيمان
والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفـــة ...أو حكمة، فهو تقطيع وأوزان
ونحن فى الشرق والفصحى بنو رحم ... ونحن فى الجرح والآلام إخوان

فهل هذه الأبيات فقيرة عاطفيا ؟ وهل الأحاسيس التى فيها مصطنعة لا محل لها ؟ إننا نرى عاطفة الشاعر جياشة فياضة، وقد أثرت فينا فانتقل إلينا انفعال نفسه، وصرنا نعيش تجربته كما عاشها . على أن الشاعر وقد عبر عن شعور العرب، نحن نجده يعبر عن شعور نفسه ، لأنه جزء من العرب لاينفصل عنهم ، آمالهم آماله ، وآلامهم آلامه ، وفخارهم فخاره ، وكم اعتز شوقى بماضى العروبة وبتراثها وأبطالها، وكم فاضت نفسه بهجة وفرحا بما تظفر به الأمة العربية من نصر بين الحين والحين .

ثانيا: التعمق فى استيعاب الحوادث التاريخية:

شعر شوقى فى المناسبات مصدر من مصادر التاريخ السياسى والاجتماعى . ونحن لا ننكر أن اتخاذ شوقى شعر المناسبات موضوعا لتسجيل التاريخ كان خطوة من خطوات التجديد عنده، وكان مقدمة لكتابة رواياته التاريخية التي عدت فتحا كبيرا فى الشعر العربى الحديث.

والظاهر أن الشاعر قد شاهد الفرنسيين [١] أثناء إقامته فى فرنسا يشيدون بملحمة فيكتور هو جو التاريخية " أسطورة القرون " ويرددونها عقب وفاة هوجو ، فأحس بأن التاريخ يمكن أن يمد الشاعر بنبع غزير يغترف منه ويعينه على التغنى بأمجاد الماضى.

ولعله - وكان يحرص كل الحرص على أن يصبح أمير الشعراء - رأى شعب مصر يعيش فى فترة بعث لأمجاده المصرية والعربية علي السواء ، فانصرفت همته إلى الاتجاه التاريخى فى قرض الشعر ، وأخذ يتطلع فى شعر المناسبات إلى الإشادة بمجد مصر القديم ، وبماضى الأمة العربية الزاهر، ويعمل على بعث هذا الماضى ، وقد دفعه هذا إلى أن يكثر من قراءاته فى تاريخ مصر من جهة ، وتاريخ العرب والإسلام من جهة أخرى، لدرجة أن أى قارئ مدقق ليشعر وهو يتصفح الشوقيات بأن الشاعر يلم الماما

(١) انظر المرحلة الثانية من المدخل التمهيدى للدراسة .

واعيا ليس فقط بتاريخ مصر ، وإنما أيضا بتاريخ مختلف الأمم . ولاسيما تلك التى يتصل تاريخها اتصالا مباشرا بتاريخنا [١].

والذى لاشك فيه أنه كانت لشوقى قدرة بارعة فى تحويل التاريخ بصفة عامة [٢] وتاريخ مصر بصفة خاصة ، إلى شعر رائع يطلعنا على فهم التاريخ وتعليل الحوادث ، وكان " يعرف كيف يحلم بالتاريخ وتاريخ وطنه خاصة " [٣].

والذى ينفرد به شوقى أنه تجاوب إلى حد كبير مع بيئته وأحداث زمانه ، وأخذ يستعيد مواكب التاريخ فى مخيلته ، وينتقى أعظمها إثارة وأجلها مواقفا، وأنصعها عبرة ، ويسطر من ذلك كله آيات خالدات فى شعر المناسبات .

ومع أنه شاعر بارع الخيال، نراه لم يفسد الحقائق التاريخية، وإنما كان مؤرخا صادقا ، يصور مامر على الأمة من أحداث ، ويضرب المثل الرائع تلو المثل .

وإذا أردنا أن ندل على قدرة شوقى البيانية فيما نظم فى التاريخ أعجزنا الاختيار ، لأن هذه القدرة صفة ثابتة فى شعـــره .

---

(١) يلاحظ مقال " الثقافة الكلاسيكية فى شعر شوقى " للدكتور أحمد عثمان (مجلة الشعر ، مصر . عدد ١٥ يوليو ١٩٧٩م ص ٦٢ ومابعدها).

(٢) لم يقف نظم شوقى فى التاريخ عند تاريخ قومه فحسب، بل تجاوزه إلى تاريخ غيرهم ، مثل قصيدته " رومة " وقصيدته " على قبر نابليون ".

(٣) شوقى شاعر العصر الحديث ، للدكتور شوقى ضيف ص ١٦٠.

وبحسبى أن أنظر إلى أول مطولة تاريخية له وهى " كبار الحوادث فى وادى النيل " [١] والتي قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر عام ١٨٩٤ ومطلعها :

همت الفلك ، واحتواها السماء ... وحداها بمن تقل الرجاء

إنها مثال لنظمه الرائع فى التاريخ ، وهو لايقف فيها عند حد الحقائق التاريخية ، ولكنه يعيد كتابة التاريخ، ويقف معه وقفة شاعر يصور ويضرب المثل، ويستكنه الأسرار، ويصل إلى لب الحقائق .

وقد انفعل شوقى مع الأحداث لدرجة تجعلنا نحس ونحن نقرأ الأبيات أنها قبس من نور الوطنية ، وأنها سجل ناطق لكبار الحوادث وادى النيل ، هذا فضلا عما يطالعنا فيها من معان إنسانية، ونظرات فلسفية ، وحكم بليغة إزاء الحوادث والأشخاص.

ولننظر إلى قوله عن عظمة مصر :

قل لبان بنى ، فشاد ، فغالى .... لم يجز مصر فى الزمان بناء

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجبـ .... ـال شما ، وأن تنال السماء

ويأخذ في سرد الحوادث حتى يصل إلى الحملة الفرنسية ، فيسجل إخفاقها قائلا :

---

(١) الشوقيات : ١٧/١ - ٣٣.

وأتى النسر ينهب الأرض نهبا [١] ...حوله قومه ، النسور ظماء
يشتهى النيل أن يشيد عليـــه ...دولة عرضها الثرى والسماء
حلمت روما بها فى الليالـــــى ... ورآها القياصر الأقويـــاء
فأتت مصر رسلهم تتوالـــــى ... وترامت سودانها العلمـــاء
ولو استشهد الفرنسيس رومـــا ... لأتتهم من رومة الأنبـــاء
علمت كل دولة قد تولـــــت ... أننا سمها ، وأنا الوبـــاء
قاهر العصر والممالـــــك ، نابلـ... ـيون ولت قواده الكبـــراء
جاء طيشا ، وراح طيشا ، ومن قبـ ... ـل أطاشت أناسها العليـاء

ولنتأمل سكوت الأهرام وهى تواجه نابليون :
سكتت عنه يوم عيرهـا الأهـ ...ـرام ، لكن سكوتها استهـــزاء
فهى توحى إليه أن تلك (واتر ... لو) ،فأين الجيوش؟أين اللواء؟ [٢]

والحق أن القصيدة كلها فى هذا النسق من المشاعر الوطنية الصادقة، كما أن فيها لمسات إنسانية رائعة، ويعجزنى الوقت لأن أقف أمام أبياتها لأستجلى الفن والإبداع ، ويكفى أنها دليل ساطع على أن الشاعر يحس إزاء التاريخ بعاطفة قوية جعلته يجسده، ويندمج فيه ، ويجعله عالمه الذى يهيم فيه .

---

(١) النسر : نابليون بونابرت .

(٢) واترلو : موقعة حربية دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الإنجليزى الشهير فى ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ ، و قد انتصر فيها القائد الإنجليزى بمساعدة بلوخر القائد الروسى ، وكان من نتائج هذه الهزيمة أسر نابليون و نفيه (انظر الشوقيات : ١/هامش ص ٣٣).

وإذا وازنا بين شوقى وشعراء جيله إزاء النظم فى التاريخ فإننا سنجده فى القمة، فقد انبعث نظمه فى التاريخ المصرى عن وطنية عميقة، وإعجاب بوطنه الذى يستظل بظله وينعم بخيره ، كما انبعث نظمه في التاريخ الإسلامى عن عاطفة دينية قوية ، انبجست فى نفسه منذ شبابه.

والأمر الملفت للنظر أن حديث الشاعر فى التاريخ ممسوح بمسحة العظمة ، يستوى فى ذلك التاريخ المصرى والتاريخ الإسلامى، وهذا هو ماينفرد به دون غيره من الشعراء ، ولعل هذا أثر من آثار افتتانه هو شخصيا بالعظمة والقوة (١) وبقدرة الإنسان، وجبروت عقله وإرادته .

ونحن لو قرأنا بإمعان وترو قصيدته " توت عنخ آمون " (٢) التى نظمها عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون، أو قصائده التى وصف فيها آثار بنى أمية فى الأندلس ، فإننا لانجده يصف طللا باليا، أو أثرا دارسا ، وإنما يقرأ على مستمعيه كتابا رائعا من كتب التاريخ مشحونا بالنظرات العميقة، والمعانى الإنسانية السامية، وقد خلع عليه من روحه وفنه وحبه وتأثره ،وأخذ يشحنه بالحكم البالغة والمواعظ النافعة ، حتى خرج هذا الشعر حلقة من حلقات الإنسانية فى صراعها وتطورها الحضارى والاجتماعى، ومن هنا أتت عظمة شوقى ، ونبوغه ، وسر خلود شعره .

---

(١) انظر دراسات أدبية : للأستاذ عمر الدسوقى ص ١٨٤ ومابعدها.

(٢) الشوقيات : ٢٦٦/١.

بقى أن نشير إلى أن قصائد شوقى فى المناسبات فيها إشارات تاريخية ، منها مايتعلق بالعهد الماضى، ومنها مايتعلق بعصره والنهضة التى كانت قائمة فيه، ومايتصل بهذه النهضة من وقائع وأحداث شهدها جيل شوقى ، وأدرك كثير من أبناء هذا الجيل حقائقها وتفاصيلها.

كما أن له فى بعض هذه القصائد مطالع جيدة ، أكثر فيها من الإشارات، والأحداث التاريخية التى تعكس سعة ثقافته وإلمامه بالتاريخ إلماما وافيا.

ففى مطلع قصيدته التى قالها فى انتصار الأتراك على اليونان بقيادة مصطفى كمال نجده يقول [١]:

الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب ... ياخالد الترك جدد خالد العرب

ففى المطلع كثير من الإشارات التاريخية ، والشاعر يستعيد الماضى ممثلا فى حادث الفتح الذى كان النصر فيه حاسما للمسلمين، وماصحب هذا الفتح من أهوال ، وروعة ، ثم يستعين بهذا الماضى في تصوير النصر التركى .

إنه أراد أن يحيى مجدنا السالف ويذكرنا به ، ويجدد تاريخنا الذى نفخر بصحائفه ، ونستمد القوة من مثله العليا ، كما أراد أن يطلعنا على أبطالنا السابقين الذين سجل التاريخ أسماءهم فى الخالدين . .وليس من شك فى أن خالد بن الوليد هو أظهرهم بطولة، وأشهرهم إقداما، وأعظمهم شهرة، وقد ذاع صيته فى التاريخ الإسلامى وبين جمهرة المسلمين .

---

(١) الشوقيات : ٥٩/١.

وشبيه بهذا ما قاله فى مستهل قصيدته " خلافة الإسلام"(١):

عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح

فالحال أنه ما كاد العالم الإسلامى يفرح بهذا الانتصار السابق الذى تم على يد مصطفى كمال، حتى أعلن عن إلغاء منصب الخلافة الإسلامية مما تسبب فى فزع وحزن المسلمين، فقال شوقي هذا الاستهلال، وأخذ يسدى النصح فى كل تلك المعانى الحزينة.

ولابد من الإشارة إلى أن الغموض (٢) قد يتسرب أحيانا قليلة إلى معانى قصائد شوقى بسبب من إشاراته للوقائع أو الأحداث التاريخية التى لاينكشف المعنى إلا بكشفها . ومن يدرى لعل الشاعر وبعض معاصريه المعجبين بشعره ممن لهم حظ من التاريخ وألوان الثقافة كانوا يجدون فى مثل هذا التصرف جمالا وظرفا.

وتتزاحم الإشارات بصورة مسرفة فى قصيدته التى خاطب بها الخليفة محمد رشاد الخامس فى احتفال بالمولد النبوى الشريف، ومن يراجع القصيدة يجد أبياتها مليئة بالأعلام والأسماء التاريخية.

---

(١) الشوقيات : ١/ ١٠٥.

(٢) ليس غموض شوقى من ذلك اللون الذى يحتاج فى تجليته إلى كبير عناء ، وليست أبياته الغامضة كتلك الأبيات التى تضل فيها العقول ، وتضطرب الأفهام كما هو الحال فى أبيات أبى تمام ، ولكن غموضه من ذلك اللون الذي ينكشف بالمحاولة اليسيرة والمعالجة الهينة .

يقول [١]:

مكنت للدستور فيه ، وحزتـــه ... تاجا لوجهك فوق تاج جلالـــه
فكأنك (الفاروق) فى كرسيــه ... نعمت شعوب الأرض تحت ظلاله
أو أنت مثل (أبى تراب) ، يتقى... ويهابه الأملاك فى أسمالـــه
عهد النبى هو السماحة والرضـى ... (بمحمد) أولى وسمح خلالــه
بالحق يحمله (الإمام) ، وبالهدى ... فى حاضر الدستور واستقبالـه
يابن الخواقين الثلاثين الأولـــى ... قد جعلوا الإسلام فوق جمالــه
المبلغين الدين ذروة سعـــده ... الرافعين الملك أوج كما لــــه
الموطئين من الممالك خيلـــهم ... مالم يفز (إسكندر) بوصالـه
فى عدل (فاتحهم)و (قانونيهم) ... مايحتذى الخلفاء حذو مثالــه

وقد يعترى معانيه غموض شديد إذا كانت الإشارات التاريخية تتصل بخواطر نفسية ، لايريد الشاعر كشفها لأسباب سياسية أو غيرها .

لنستمع إلى قصيدته التى أنشدها فى مجلس الاحتفال بوضع الحجر الأول فى أساس " بنك مصر " فى مايو سنة ١٩٢٥م[٢].

إنه يستهلها قائلا :

نراوح بالحوادث ، أو نغـادى ... وننكرها ، ونعطيها القيـادا
ونحمدها ومارعت الضحايا ... ولاجزت المواقف والجهـــادا
لحاها الله ، باعتنا خيـــالا ... من الأحلام ، واشترت الحادا

---

(١) الشوقيات : ١/ ١٧٠.

(٢) الشوقيات : ٤/ ١٤.

مشينا أمس نلقاها جميعا ... ونحن اليوم نلقاها فرادى

فأية حوادث يقصد الشاعر ؟ لم يرد الإفصاح.

وإلام يشير بالكلمات : (الضحايا - المواقف - الجهاد - الأحلام - أمس - اليوم) ؟

إن الأبيات ترمز للخلافات الحادة التى كانت بين زعماء مصر فى ذلك التاريخ ، وما نتج عن ذلك من أحداث خطيرة حلت بمصر ، ولاشك أن هذه الأحداث كانت مشتهرة بين أبناء ذلك العهد ، ويجهلها فى الوقت نفسه كثيرون يزداد عددهم بمرور الأيام، والشاعر من جهته لم يشأ أن يفصح عنها لأسباب لايعلمها سواه .

وفى اعتقادى أنه لن يدرك معانى هذه الأبيات على حقيقتها إلا من عاصر الأحداث ، واطلع على صراع الأحزاب السياسية المصرية، وما انتهى إليه ذلك الصراع من اتساع، وكيف أثرت هذه الصراعات بالسلب حتى كادت تقضى على حرية البلاد ودستورها، وتذيب البقية الباقية من مظاهر الحضارة فيها.

ولنستمع إلى مطلع قصيدته فى المؤتمر السياسى الذى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برئاسة سعد زغلول سنة ١٩٢٦م.

إنه يقول (١) :

صرح على الوادى المبارك ضاحى... متظاهر الأعلام والأوضـــاح
ضافى الجلالة كالعتيق مفضل .... ساحات فضل فى رحاب سماح

والحق أن من يقرأ هذين البيتين يصعب عليه الوصول إلى مراد الشاعر، لأن المطلع غير مفهوم المعنى، وقد تكون هناك دواعى سياسية أو غير سياسية حملت الشاعر على هذا الغموض .

وإذا جاز أن يدرك هذا المعنى أولئك الذين عاصروا تلك الحوادث وشاهدوها ، أو الخاصة ممن يدركون مرامى الشاعر العميقة، ويهتدون إلى إشاراته التاريخية أو للكثير منها ، فهل يدركه من تأخر بهم الزمان ولم يشهدوها ؟.

وإذا علمنا أن الشاعر كان ينظم للخاصة والعامة، وكان يرضى الطائفتين، وينتزع إعجابهم ، فيحق لنا أن نقول : هل يدرك هذا المعنى العامة الذين يدركون ظواهر الكلام ويكتفون بها ولايعنيهم ماوراءها ؟

وما أريد أن أمضى على هذا النحو فى تحليل القصيدة ، ولكنى أدع للقارئ قراءة المطلع وما يليه من أبيات ، لعله يقرر أنه لم يفسد على شوقى شعره ، وإنما أضاف إليه جمالا قد لا نجده فى شعره العادي .

---

(١) الشوقيات : ١٥٣/٢.

ولعل هذا المطلع قد بين لنا المذهب الفنى الذى اختاره شوقى، وهذا يسوقنا إلى ظاهرتين هامتين :

الظاهرة الأولى : هى أن الشاعر كانت لديه حساسية شديدة تجاه المناسبات الطارئة والحوادث العامة أو الخاصة. تلك طبيعة عرفت فى شوقى، تهزه المناسبات السياسية وغير السياسية، وتهز وجدانه الحوادث الطارئة، فلا يجد مناصا من أن يندفع فى الحديث عن كل تلك المناسبات التى أحس بها وشعر ، وأنت لاتستطيع أن تفسر العلاقة التي تربطه بالمناسبة إلا أن تقول إنه قد استجاب لدافع نفسى وخفقة وجدانية استولت عليه وقت إنشائه الشعر.

الظاهرة الثانية : هى أن الشاعر كان يعتمد على فنه أكثر مما يعتمد على أى شئ آخر ، وقد بذل جهدا مضنيا فى سبيل الوصول إلى درجة عالية من الفنية والإبداع، وهذه الظاهرة تجعله يحرص ضمن مايحرص على الإشارات والرموز التاريخية، ليستعين بها فى تصوير الأحداث والمواقف الطارئة . وربما أن هذا هو السبب الأول الذى جعل كثيرا من معانيه السامية وألوان الجمال فى شعره تخفى على الشادين فى الأدب غير الضالعين فى أشتات الثقافة ، فكثير من هؤلاء لايفهمون الشاعر، ولا يستطيعون مسايرة خياله، وكشف دقائقه فى التصوير والابتكار ، ولعل هذا هو السر فى إقبال العامة على شعر حافظ إبراهيم أكثر من إقبالهم على شعر شوقى.

---

(١) الشوقيات : ١٥٣/٢.

ثالثا : القدرة على استخلاص الحكم البالغة والمواعظ النافعة:

شوقى شاعر يرى من خلال الحوادث والمناسبات مايمكن أن يستخرجه منها لإرسال حكمه وضرب أمثاله . وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنه صاحب قوة نفاذة، وعين بصيرة، وقدرة على استخلاص المواعظ، فهو يتصرف مع الحوادث تصرف الفنان العالم الخبير ولذلك نجد فى شعره مايرضى كل إنسان ، ومايطمئن إليه كل شخص .

وفى كثيرمن شعره نجده يترجم ترجمة صادقة لأمته، ويستخلص لجمهور الشعب الحكم والمواعظ فى أبيات هى حجة لكل مستشهد ، وصورة متجلية لظروف الحياة ومتاعبها.

والذى ينفرد به أنه يجود بشعر الحكمة، يطلقه على سجيته دون تفكير ، لأنه يستوحيه من طبيعة الأحداث والمواقف ، ويطالعنا به كلما واتته الفرصة، وتقاضاه الحال ، وبمعنى آخر إن شعره فى الحكم والمواعظ يفرض نفسه ، ويعلن عن حقيقته فى الوقت المناسب ، والموقف المناسب من غير إقحام ولانشوز ، وتلك خاصية الحوادث كل حادث يوحى بنفسه عن موطن العبرة فيه ، ودور الشاعر هو دور المعبر عن هذا الوحى ليست إلا .

وليس من شك فى أن شعر الحكمة والموعظة الذى جاء به شوقى فى معرض شعر الحوادث والمناسبات إنما هو موضوع لتجربة مصورة، وهذا فى الواقع من أصعب الشعر مراما، وأبعده مرتقى،

ولايسلس قياده إلا للعباقرة من الشعراء الذين يستطيعون أن يقدموا الحقائق المسلم بها كما تبصرها الفطنة النافذة.

ولعل متابعة شوقى للشعب وقضاياه، ولكل مايجيش بنفسه من آمال ، ومايدور بفكره من خواطر ، لعل هذا هو الذى جعله يورد أبياته فى أسلوب من يتوقع المخالفة، ويحس أنه مطالب بالإقناع وإقامة الحجة ، ولعل اطلاعه أيضا على حوادث التاريخ القديم والحديث ، هو الذى ساعده على أن يكون غزيز الأفكار ، وأن يثرى شعره بكل هذه المعانى .

لننظر قصيدته " نهج البردة " والتى نظمها تذكارا لحج الخديوى سنة ١٣٢٧ هـ [١] . إنه يعرض للحديث عن الجهاد وجهة عصرية، ويأخذ فى مناقشة مقولة المستشرقين التى تقول إن الإسلام انتشر بحد السيف ، ويظل يسرد الحجة تلو الحجة ، فيقول [٢]:

لولا مواهب فى بعض الأنـام لما ... تفاوت الناس فى الأقدار والقيـم
شريعة لك فجرت العقول بهـا ... عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها ... كالحلى للسيف أو كالوشى للعلم
غراء حامت عليها أنفس ونهـى ... ومن يجد سلسلا من حكمة يحم
نور السبيل يساس العالمون بهـا ... تكلفت بشباب الدهر والهـرم
يجرى الزمان وأحكام الزمان على ... حكم لها نافذ فى الخلق مرتسم

---

(١) المعارضة فى شعر شوقى للدكتور إبراهيم عوضين ص ١٣٤ .
(٢) الشوقيات : ٢٠٤/١.

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت ... مشت ممالكها فى نورها التمم
وعلمت أمة بالقفر نازلة ... رعى القياصر بعد الشاء والنعم
كم شيد المصلحون العاملون بها ... فى الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم والعدل ، والتمدين ماعزموا ... من الأمور، وماشدوا من الحزم
سرعان مافتحوا الدنيا لملتهم ... وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم
....

وفى قصيدته الميمية التى نظمها يبكي فيها والدته وهو في منفاه بالأندلس [1] ، نجده يستهل القصيدة بالحديث عن مصائب الدهر وما أنزلته به الأيام :

إلى الله أشكو من عوادى النوى سهما ... أصاب سويداء القلوب وما أصمى
من الهاتكات القلب أول وهلة ... وما دخلت لحما ، ولا لا مست عظما

وبعد أن يتحدث عن البرقية التى حملت إليه نعى والدته وأثر هذه البرقية فى نفسه ، نجده يتحدث عن طبائع الحياة وسنن الكون، من نفاذ المقادير ، وحتمية الموت، ولحاق الأبناء بالآباء فيقول:

ولم أر كالأحداث سهما إذا جرت ....ولا كالليالى راميا يبعد المرمى
ولم أر حكما كالمقادير نافذا ... ولا كلقاء الموت من بينها حتما
إلى حيث آباء الفتى يذهب الفتى ... سبيل يدين العالمون بها قدما
وما العيش إلا الجسم فى ظل روحه ... ولا الموت إلا الروح فارقت الجسما
ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمة ... على نزلاء الدهر بعدك أو علما

---

(١) الشوقيات : ١٤٦/٣ - ١٤٩ .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن تجربته فى مصائب الدهر فيقول :

زجرت تصاريف الزمان، فما يقع .. لى اليوم منها كان بالأمس لى وهما
وقدرت (للنعمان) يوما وضـــده ... فما اغترت البوسى، ولا غرت النعمى
شربت الأسى مصروفه لو تعرضت ...بأنفاسها بالفم لم يستفق غمـــا
فأترع وناول يازمان فإنمـــا ... نديمك (سقراط) الذى ابتدع السما

وأحيانايزف شوقى شعر الحكمة فى ثوب ملحمة تاريخية. ومن ينظر قصيدته " أبو الهول " أو قصيدته " توت عنخ آمون " يجده لايقف عند حد الإشادة بمصر وأمجادها القديمة، بل إنه يتجاوز ذلك فيعبر عن وطنيته الصادقة، ويستشعر ما كان ينتاب مصر من حوادث ومحن ، فيزود المواطنين بما يلزمهم من نصائح وحكم ومواعظ ، والملاحظ أنه يسرد ذلك كله من خلال ربطه مجد مصر الماضى الملئ بالعظمة التى لاتدانيها عظمة، بوثبتها الحضارية الحديثة.

يقول فى قصيدته الأولى [١]:
فهل من يبلغ عنا الأصو ...ل بأن الفروع اقتدت بالسير ؟
وأنا خطبنا حسان العلا ...وسقنالها الغالى المدخـــر
وأنا ركبنا غمار الأمـو ...ر ، وأنا نزلنا إلى المؤتمر [٢]

---

(١) الشوقيات : ١/١٤٤.

(٢) المؤتمر : هو مؤتمر الصلح الذي عقد على إثر انتهاء الحرب الأوربية العامة سنة ١٩٢٠ (الشوقيات : ١/هامش ١٤٤).

ويقول فى مطلع الثانية [١]:

قفى - يا أخت يوشع - خبرينا ... أحاديث القرون الغابرينـــــا

وقصى من مصارعهم علينـــا ... ومن دولاتهم ماتعلمينـــــا

فمثلك من روى الأخبار طـــرا ... ومن نسب القبائل أجمعينـــا

نرى لك فى السماء خصيب قرن ... ولاتحصى على الأرض الطعينا

مشيت على الشباب شواظ نـار ....ودرت على المشيب رحى طحونا

تعينين الموالـد والمنايـــا ... وتبنين الحياة وتهدمينـــــا

فيالك هرة أكلت بنيـــها ... وماولدوا وتنتظر الجبينـــــا

إنه يبدأ القصيدة بمناجاة الشمس ، وسؤالها عما بينها وبين الحيـاة من صلة ، ووقفت أخت يوشع تلهمـه وصف مابينهـا وبين الحياة، وتلقى على الناس مواعظها الحسنة التى لا إسراف فيها ولاغلو .

ثم يبسط أمام الشباب تاريخ البلاد العتيد ، ويرسم لهم فى صورة حكيمة طريق الخلود ، ويحفزهم على الاقتداء بأجدادهم الذاهبين ، فيقول [٢]:

وليس الخلد مرتبة تلقـى ... وتؤخذ من شفاه الجاهلينا

ولكن منتهى همم كبـار ... إذا ذهبت مصادرها بقينا

وسر العبقرية حين يسرى ... فينتظم الصنائع والفنونـا

وآثار الرجال إذا تناهـت ... إلى التاريخ خير الحاكمينا

---

(١) الشوقيات : ٢٦٦/١ ، ٢٦٧.

(٢) الشوقيات : ١٦٨/١.

وأخذك من فم الدنيا ثناء ... وتركك فى مسامعها طنينا

ثم يتوجه بالخطاب إلى (أخا اللوردات)[١] ، ويقدم إليه المواعظ فيقول : [٢] :

(أخا اللوردات) ، مثلك من تحلى .. بحلية آلـه المتطولينـــا
لك الأصل الذى نبتت عليــــه .... فروع المجد من (كرنارفونـا)
ومالك لايعد ، وكل مـــــال .... سيفنى ، أو سيفنى المالكينـا
وجدت مذاق كل تليد مجـــد ... فكيف وجدت مجد الكاسبينا ؟
نشرت صفائحا ، فجزتك مصـــر ... صحائف سؤدد لاينطوينـــا
فإن تك قد فتحت لها كنـــوزا ... فقد فتحت لك الفتح المبينـــا
فلو (قارون) فـــوق الأرض إلا ... تمنى لو رضيت به قرينـــا
سبيل المجد كان عليك سهـــلا ... وعادته يكد السالكينـــا

وليست أجمل من مناجاته فرعون واستنطاقه بالحكمة ووعظه بأبلغ العظات فى قوله [٣]:

تعال اليوم خبرنا : أكانـــت .... نواك سنات نوم ، أم سنينـــا ؟
وماذا جبت من ظلمات ليـــل ... بعيد الصبح ، ينضى المدلجينا ؟
وهل تبقى النفوس إذا أقامـت ... هياكلها ، وتبلى إن بلينـــا ؟
وما تلك القباب ؟ و أين كانت ؟ ... وكيف أضل حافرها القرونـــا ؟
ممردة البناء ، تخال برجـــا ... ببطن الأرض محطوطا دفينـــا

---

(١) المخاطب هو اللورد كارنارفون (انظر الشوقيات : ١/ هامش ٢٧٠).
(٢) الشوقيات : ١/ ٢٧٠.
(٣) الشوقيات : ١/ ٢٧٣.

تغطى بالأثاث فكان قصـــرا ... وبالصور العتاق فكان زونا
حملت العرش فيه ، فهل ترجى .. وتأمل دولة فى الغابرينا ؟
وهل تلقى المهيمن فوق عـرش ... ويلقاه الملا مترجلينـــا ؟
....

ونحن نحس بمصرية الشاعر الصميمة ، ونحس كذلك بقلبه يخفق وهو يعلن سخطه على حكم الفرد، وهو بهذا يؤكد أنه يحس بما كان يحس به المصريون، ويشفق مما كانوا يشفقون منه [١]:

زمان الفردر يا (فرعون) - ولى ... ودالت دولة المتجبرينـــا
وأصبحت الرعاة بكـــــل أرض .... على حكم الرعية نازلينا

وأظن أننى لن أستطيع أن أصف جمال أبيات القصيدة، فكل بيت فيها يعكس نظرة فاحصة بعيدة المدى، والشاعر يلبس مواعظه أعذب لفظ وأمتن أسلوب وعبارات هى غاية فى تمثيل أصدق العواطف ، وعلى هذا فالمناسبة لم تحد من عواطفه القوية المؤثرة ، ولم تضعف من حراراتها.

وفى اعتقادنا أن أصالة شوقى فى هذه القصيدة ، وحرصه على جلال الفكرة والأداء ، وطرافة التعبير ، وخروج القصيدة مرآة صادقة للحياة بصفة عامة ولحياة شوقى بصفة خاصة، هو الذى جعل الدكتور طه حسين يقول عنها [٢]:

---

(١) الشوقيات : ٢٧٤/١.
(٢) حافظ وشوقى ص ٨٥ .

" هى قصيدة من قصائده الجيدة ، ولعلك إذا أردت أن تتلمس مصدر ما فى هذه القصيدة من جودة لم تتجاوز شيئا واحدا، وهو أن شوقى لم يتكلف فى هذه القصيدة لفظا ولا معنى ، وإنما شعر وأحس ، وجرى قلمه بما أحس وماشعر ، وليس هذا بالشئ القليل ولعل هذا هو كل شئ ".

وفى قصيدته " الرحلة إلى الأندلس " نحن نجده يستخلص العبرة مما أصاب الأندلس العربية ، يقول[١]:

إمرة الناس همة ، لاتأنــــى ... لجبان ، ولاتسنــــى لجبـــس
وإذا ما أصاب بنيان قــــوم ... وهى خلق فإنه وهــــى أس
ياديارا نزلت كالخلد ظـــــلا .... وجنى دانيا ، وسلســـال أنس
....
كسيت أفرخى بظلك ريشـــا ... وربا فى رباك واشتد غرســـى
هم بنو مصر ، ولا الجميل لديهم ... بمضاع ، ولا الصنيع بمنســـى
من لسان على ثنائك وقـــف ... وجنان على ولائك حبـــس
حسبهم هذه الطلول عظـــات ... من جديد على الدهـــور ودرس
وإذا فاتك التفات إلى المـــا ... ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

وحين ننظر قصيدته " بعد المنفى " والتى مطلعها [٢]:
أنادى الرسم لو ملك الجوابـــا ... وأجزيه بدمعى لو أثابـــا

---

(١) الشوقيات : ٢/٥٢.
(٢) الشوقيات : ١/٦٤.

فإننا نجد شخصيته تطالعنا فى القصيدة ، ونراه يطلع علينا من وراء كل بيت ، بل إن كل معنى من معانيه إنما هو أثر من حوادث حياته أو حوادث عصره ، فهو يتغنى فى كل بيت آماله وآمال شعبه، والأبيات خرجت مقتبسة من حقائق مجتمعه وظروف معيشته .

ومن النصائح الوطنية الحكيمة تلك الأبيات التى ذكرها شوقى فى مستهل قصيدته " مشروع ٢٨ فبراير " والتى تنصح بالتريث حتى تتضح الأمور ، يقول [١] :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبـــا ... وفاز بالحق من لم يأله طلبـــا

وماقضت مصر من كل لبانتهـــا ... حتى تجر ذيول الغبطة القشبـا

فى الأمر مافيه من جد ، فلا تقفوا ... من واقع جزعا ، أو طائر طربـا

لاتثبت العين شيئا أو تحققـــــه ... إذا تحير فيها الدمع واضطرابـا

والصبح يظلم فى عينيك ناصعـه ... إذا سدلت عليك الشك والريبـا

إذا طلبت عظيما فاصبرن لـــــه ... أو فاحشدن رماح الخط والقضبا

ولا تعد صغيرات الأمور لـــــه ... إن الصغائر ليست للعلا أهبـــا

ولن ترى صحبة ترضى عواقبهـــا ...كالحق والصبر فى أمر إذا اصطحبا

إن الرجال إذا ما ألجئوا لجئـــوا ... إلى التعاون فيما جل أو حزبـــا

ومن نصائحه المشهورة ما قاله عام ١٩٢٤ فى قصيدته " شهيد الحق " [٢] والتى نظمها فى الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم مصطفى كامل .

---

(١) الشوقيات : ٧٦/١ ، ٧٧.

(٢) الشوقيات : ٢٢١/١.

لقد كان شوقى جديرا بالثناء لو أنه دعا إلى الوحدة والألفة ثم اكتفى ، لأنه حذر من الفرقة ، وذكر أن ضعف مصر فى فرقتها، وحنق على المتناحرين ، ولكنه لم يكتف بذلك ، وإنما زاد عليه بأن رسم للشعب الوجهة النافعة للوطن، ولم يحصر نفسه فى نطاق الحزبية الضيق ، وإنما آثر أن يكون وطنيا مخلصا ، ينطق بلسان مصر ، ويمجد المخلصين من أى حزب ، ويذكر المنشقين بأن المحتل الأجنبى دائما يغتنم ضعف مصر فى فرقتها.

ومن ينظر مرثية شوقى فى العالم القانوني " عبد الحميد أبو هيف " [١] يجده يستجمع تصويره من تاريخ المرثى، كما يجده يتفنن فى ربط الحوادث بالخصائص ، هذا فضلا عن تفننه فى استخلاص العبر والعظات .

يقول من هذه المرثية [٢]:

اجعل رثاءك للرجال جـــزاء ... وابعثه للوطن الحزين عزاء

إن الديار تريق ماء شئونهـــا ... كالأمهات وتندب الأبنـاء

ثكل الرجال من البنين ، وإنمـا ... ثكل الممالك فقدها العلماء

يجزعن للعلم الكبير إذا هـوى ... جزع الكتائب قد فقدن لواء

علم الشريعة أدركته شرائـــع ... للموت ينظم حكمها الأحياء

....

---

(١) انظر ترجمته (الشوقيات : ٣ / هامش ص ٩).

(٢) الشوقيات : ٩/٣.

هكذا كان شوقى فى حكمه ومواعظه التى استمدها من تجارب الأيام وأحداثها، وإذا وجبت لنا وقفة مع نقد الأستاذ العقاد لشوقى لهى أوجب فى الحكمة منها إلى أى باب آخر [١] ، والذى لاشك فيه أن مانستدل به من أبيات قلائل لشوقى لاتؤدى ماتؤديه القصيدة الكاملة ، والأصول التى نزعت منها استشهاداتنا ، مما يفرض على من يريد مزيدا من وضوح الحكم الرجوع إلى الديوان .

وأيا ما كان الأمر فإن حكم شوقى التي ذكرناها ليست حكما وعظية تتعلق بمسلمات متداولة عبر العصور ، وإنما هى حكم تنطق بفكره وبنظرته الثاقبة ، وتنبعث عن عاطفة قوية صادقة ، والحق أن هذه لحكم قد ضمنت لشوقى ولشعره مكانة رفيعة على خريطة الإبداع الشعرى . وفى رأيى أنه كان لمناقشة شوقى لبعض القضايا السياسية أكبر الأثر في تضمين قصائده حكما إن شئت فقل استوجبتها رسالة الشاعر تجاه قضايا بلاده السياسية ، وربما يكون لها دور مؤثر فى نفوس الأمة وحياتها السياسية .

والحق أننا إذا قلبنا دواوين الشعراء الذين سبقوا شاعرنا، أو الذين عاصروه أو جاءوا بعده ، فإننا لن نجد لأحدهم قدرة على استخلاص المواعظ والعبر من الأحداث كما كان حال شوقى ، وما ورد لهم جميعا فى ذلك لايبلغ عشر ما قال شوقي وحده ، هذا فضلا عن طريقته الفنية التى اختص بها وامتاز ، إذ لايتوقف دوره

---

(١) انظر الديوان فى الأدب والنقد : ٢/١٥٥- ١٦٥.

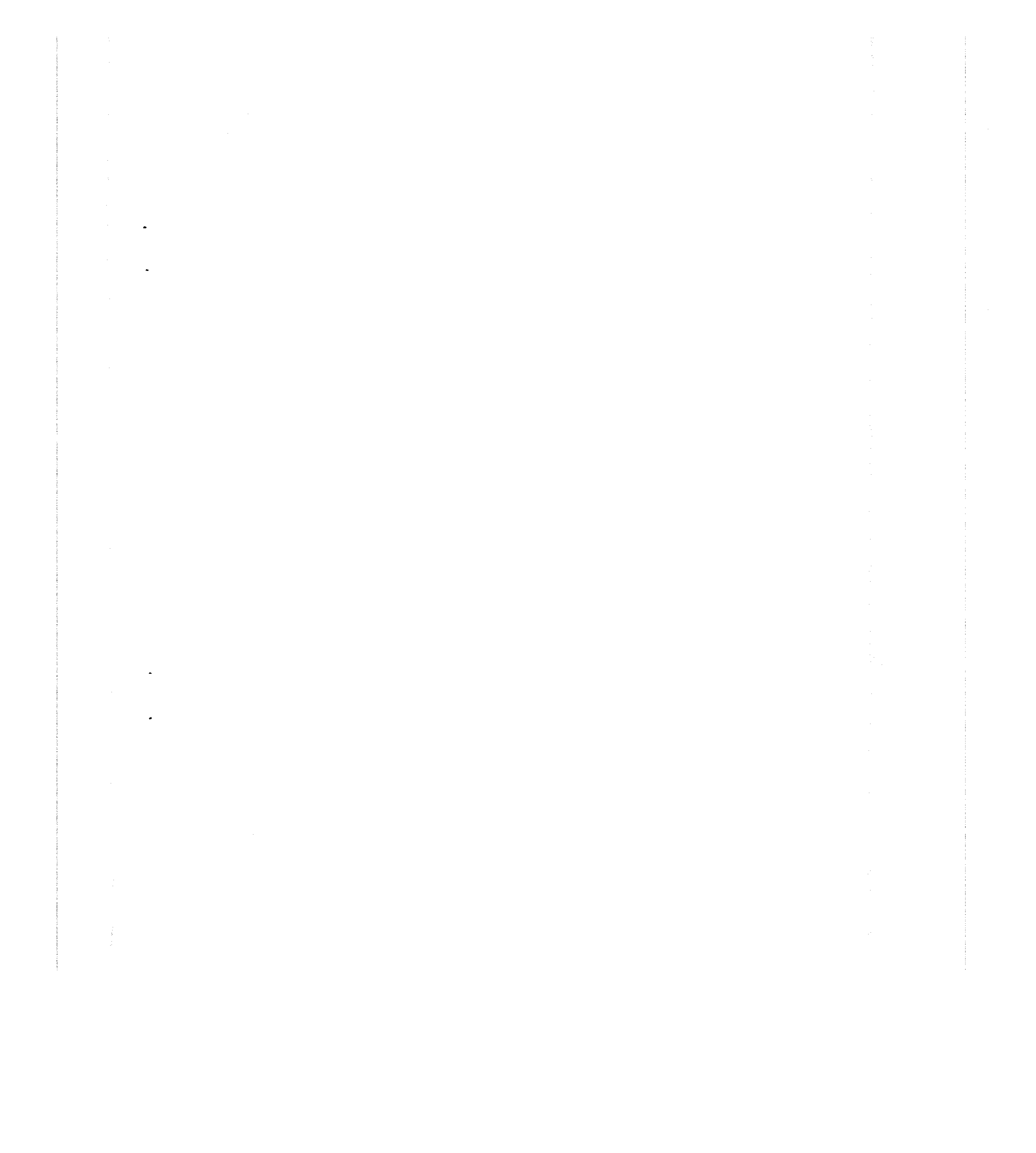
على ذكر المواعظ والعبر فحسب، لكنه أظهر قدرة غريبة فى استخلاصها من طبيعة المواقف والأحداث، وعلى هذا فإن فعل شوقى هذا يسد فراغا كبيرا فى فنون الشعر العربى فى العصر الحديث.

بقيت كلمة أخيرة أود أن أقولها ، وهى أننى لاأظن أن أحدا يأسف على وقت يقضيه فى قراءة أو تأمل قصيدة من قصائد شعر شوقى فى المناسبات، وذلك لما تحقق فيه من ملامح فنية كثيرة كشفت عن قدرة الفن الشعرى عنده . يضاف إلى ذلك أن الشاعر يحمل قارئ هذه الأشعار على أن يعيش وجدانه الحى، ومشاعره الصادقة ، وفنه الساحر ، وتصويره النابض ، وهذه السمات هى التى كتبت لشعره الخلود ، وهى التى حملت الجمهور على تقديمه ، ولا عجب فهى السمات الحقيقية للأدب الأصيل، وهذا هو السر الذى جعل الشاعر يحتل - على الرغم مما وجه له من نقد - مقاما رفيعا بين شعراء عصره.

وبعد فهذه هى مظاهر التفوق الرئيسية فى شعر شوقى فى المناسبات ، وهذه هى اللمحات الفنية التى تمس موضوعات شوقى وعاطفته نحو تمثيله لأحداث عصره وحضارته، وقد وقفنا عندها هذه الوقفة عل خصومه وحساده يقفون على مافيها من تجديد ، ويقنعون بعاطفته وقوتها ،وعمقها ، وغزارتها ، وشمولها.

الفصل الثانى

شعر تقليدى فى المناسبات



من خصائص الشعر الجيد أنه تعبير عن العاطفة ، أو عن العواطف التى تجيش بنفس الشاعر ، بصرف النظر عما إذا كان هذا الشعر قد صدر فى مناسبة خاصة أم عامة . وأى شعر لاينبع من العاطفة شعر زائف لايمكن أن يبهر النفوس ، أو يثير المشاعر .

وقد سبق أن قلنا عن شوقى إنه يمتاز برهافة حسه ،وتجدد آماله ، وإنه لسان قومه المعبر ، وترجمانهم الصادق ، يهيجه مايهيجهم ، ويؤلمه مايؤلمهم ، وكانت ينابيع شعره آلام الأمة وآمالها .

فالأمة جميعها - وشوقى فرد من أفرادها- تعتز بماضيها وبتراثها ، وتفخر بأبنائها ، وتحرص على ذلك أشد الحرص . والأمة - وشوقى من بينها - كانت تبغض الاستعمار وتناضله وترتخص أرواحها فى سبيل الذود عن الوطن وعن وحدته.

وعواطف شوقى فى شعره صادقة لا نفاق فيها ولازيف ، لأن مصدرها شعور عميق ،ولأنه لامدعاة إلى تكلف القول فى كثير من الموضوعات التى عرض لها ... ، يضاف إلى ذلك أن هذه العواطف سامية لأنها وطنية ، أو اجتماعية ، أو قومية تتصل بالأمة ، وترتبط بعزتها ونهضتها ، وليست فردية يمكن أن تكون هابطة كعاطفة الحقد والغيرة ، والحسد ، ونحو ذلك.

وإذن فشعر شوقى يتسم بقوة العاطفة ، يؤكد ذلك أن شعره يهيج نفوس المستمعين ، ويشركهم مع الشاعر فى الفرح والحزن ،

وفى الرضـا والغـضب ، ومـاشـاكل ذلك من العـواطف الوطنيـة والاجتماعية والقومية ، وصارت هذه القوة صفة ثابتة فى كثير من نصوصه، وإن اختلفت من قصيدة إلى أخرى .

وإذا كان شوقى قد انتهز المناسبات النبيلة، ونظم فيها شعرا، مدفوعا فيه بعاطفة صادقة بريئة من الملق والرياء ، فإن الحق يقتضينا أن نقول إنه شاعر كسائر الشعراء له كبوات وسقطات ، ونحن نرى بين صفحات ديوانه بعض القصائد والمقطوعات التقليدية التى نظمها فى المناسبات، وخرجت عن صدق التعبير، ولم تجش بها نفسه، ولم تتحرك بها مشاعره وأحاسيسه ، ومن هنا كان ضعف الفن الشعرى .

والحق أن مثل هذه المقطوعات قد ضمنت لنقاد شوقى وخصومه بعض مايرجونه ويطعمون فيه ، فأخذوا يدونون عنها وعن صاحبها أحكاما لاترضاها لشاعر كشوقى .

ومن الإنصاف أن نقول إن هذه القصائد ليست صورة طبيعية للفن والافتتان ، وليست طاقة من الرياض الأدبية البديعة، ونحن لانرى فيها العاطفة المتدفقة التى تستجيب للأحداث خيرها وشرها ، وتظهر على صفحتها صور الانفعالات واضحة صادقة ، ويبدو لى أن الشاعر إنما نظم هذه الأشعار ليزين بها مناسبة ، أو حفلا طارئا، أو ليشترك بها مع من نظم من الشعراء على إثر دوافع سياسية أو اجتماعية معينة ، ولهذا صارت تسجيلا لما يتناقله

الناس ، ولم تخرج قطعة من نفسه ، ولم تعبر عن تجربة أصيلة، وإنما انبعثت نتيجة أسباب مصطنعة .

ونحن وإن كنا قد قدمنا دفاعا عن شوقى فى غير هذا الموطن فإن هذا لا يعفيه من المآخذ التى تلاحظ على بعض أشعاره فى المناسبات، والتى كان يحمل على نظمها لدافع سياسى أو اجتماعى، أو بعض مدائحه التى كان يسرع إلى إعدادها فى المناسبات لمدح الخديوى وأسرته والإشادة بهما ، أو تلك التى يتدارك بها حفلا عاجلا أو مناسبة طارئة يؤدى بها واجب الوظيفة ومقتضياتها راضيا أم كارها ، أو بعض مرثياته التى من الظن أنه نظمها لأداء واجب أو إثبات وجود ، لايدفعه فيها دافع من شعور دفاق ، ولاوجدان متوثب ، أمثال ذلك مراثيه فى بعض أقاربه ، أو الذين تعهدوه فى نشأته الأولى .

ومن المحقق أن هذه الأشعار كانت فى الأغلب الأعم المدخل الحقيقى لتصدى بعض النقاد لشعر المناسبات والطعن فيه ، فهى - على جزالتها ورنين موسيقاها - لاتنم عن وجدان حقيقى ، أو ابتكار شعرى، أو تصوير دقيق متميز .

ونحن لو نظرنا فى مثل هذا اللون من الشعر ودون أن ننظر إلى دعوة المجددين وما يشوبها أحيانا من تعسف وغلو ، لوجدنا أنه قد طبع بشئ غير قليل من مظاهر التقليد الذى ينشأ بالضرورة حين يعتمد الشاعر على مايناسب التجربة العامة من مأثور،وقد وجد

المجددون فى هذه المظاهر من تقليد التراث فرصة سانحة ليهاجموا مافي هذا الشعر من ضعف ، وما فى بناء القصيدة وأبياتها من تفكك.

ونكتفى بسوق الأمثلة لنستبين منها مانقول :

أولا : المديح :

لشوقى قصائد فى المديح لايدفعه فيها دافع من شعور دفاق ولا وجدان متوثب ، وهى تلك القصائد الحكومية التى يؤدى بها واجب الوظيفة ومقتضياتها ، وغالبا ما تكون هذه القصائد فى مدح الخديوى وأسرته، ومن إليهم من العظماء الذين اختاروه وأعدوه ليكون الشاعر الرسمى الخاص بهم (١).

ومن ذلك قصيدته " خير التهانى بمولد ولى العهد" (٢) ، وقد هنأ فيها الأميرة والدة الخديوى بالمولود فقال :

الله أعطى عهد مصر محمـــدا .... والله إن أعطى أعز وأيـــدا

وللمرء فى الدنيا مقاصد جمـــة .... جمعت فكان النسل منها مقصدا

فإذا وفدت على الوجود فكن أبا .... أوكن خيالا فى الوجود مشـــردا

ومنها :

فرحت قلوب الأمهات وفتحـــت ..... لحفيدة الأمراء جدتهم غــــدا

---

(١) انظر دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٩٥.

(٢) الشوقيات المجهولة : ٢/ ٢٨٠ ، ٢٨١.

للأصل طهرا والفروع كريمـة ... والبرحقا والحنان مؤكـــدا
يارية التاجين عن آبائهـــا .... عن ماجد عال عن ابن أمجـــدا
يتألقان الدهر هذا بالعلـــى ... حال وهذا بالفضيلة والهـــدى
جددت صفو الملك بالنعم التـى ... صحبت ظهور الجود ميلاد الندى

....

مازال قصر الملك يشرق فيهمـا ... حتى حسبنا الصبح جالا سرمـدا
تتقابل الأعلام فى شرفاتــه ... وتخر للشرف المؤثل سجـــدا
والعرش فى عيد بصاحب عهده .... والتاج خلف العرش يحيى المولدا
وترى البلاد بها بناء وجودهـا ..... وعمادها ومنارها المتوقـــد

....

ومن الأبيات نرى أن الشاعر بوق دعوة ، تنازل عن أحاسيسه وأفكاره وعواطفه ، واستمد وحيه من غيره ، فجاء شعره مصنوعا خاليا من الحياة نفسها.

وينبغى ألا يخدعنا ما قد يتجلي فى هذه الأبيات من إثارة للعواطف ، فهى إثارة وقتية سرعان ماتزول ، ونحن لانكاد نذكر شيئا عن هذه الأبيات إذا قرأنا أبياتا أخرى للشاعر، لسبب بسيط وهو أن التجربة لم تكن صادقة ، والشاعر لم يتأثر بالحدث ، ولم يعايشه ، ولم يتأمله أو يكشف أبعاده .

ومن هذا القبيل قصيدته التى قالها فى عيد الفطر المبارك ليمدح بها ويهنئ ، ومنها [1] :

---

(١) الشوقيات المجهولة : ٣٦/٢ ، ٣٧ .

أنلنى يدا خلقت للقبـــــل ... من نالها بالسماك اتصـــل
أقبلها قبلة للجـــــلال ... وأخرى لنائلها المرتجـــل
تضاءل عن جودها حاتـــم ... ونالت من الحمد مالم ينـــل
وكم فى الجديد من الطيبـــات ... وإن ضربوا بالقديم المثـــل
تجدد فى الناس آى المسيـــح ... تميت القنوط وتحيى الأمـــل

* * * * *

أمولاى إن تك أكرمتنـــــى ... جميلك من قبل عندى وصل
وفضل أبيك على كاهلـــــى ... وعن بر جدك بى لاتســـل
وأنتم بناة العلا بالنـــــوال ... وآونة بالظبى والأســـل
أحاديثكم ملء سمع الزمـــان ... إذا ماحديث الكرام انتقـــل
طلعتم على الشرق كالنيـــرات ... فزنتم سماواته من عطـــل
هنيئا لك العيد والتهنئـــات ... من العصر أملاكه والـــدول
وعشت لأمثال أمثالـــــه ... إليك الهناء ومنك الجـــذل
خصيب الرحاب رهيب الجناب ... إذا ما أمرت الزمان امتثـــل

ومن مدائحه التى طغت عليها المناسبة والتى لاتعبر عن عواطفه وشعوره قصيدته التى حيا فيها الأمير بمناسبة رحلته حول مديرية البحيرة فى مايو ١٩١٤.

ومنها [١]:

أشرق عباس على شعبـــه ... كأنه المأمور فى ركبـــــه
زار رعاياه فأغناهـــــم ... عن زورة الغيث وعن خصبه
واستبشر القطر فأهلوه فى ... أمن من العام ومن جدبـــه

---

(١) الشوقيات المجهولة : ٢/١٥٦.

مر بهم والأرض فى جنة ....ربيعها يختال من عجبه
فزادها طيبا على طيبها ... وزادهم يسرا فأهلا به
ماجت دمنهور بسكانها ... وهزها الشوق إلى قربه
فأقبلت تسعى إلى حضرة ... ما إن لها فى البر من مشبه
ترجو قبولا علها ترتوى ... من مورد تهفو إلى عذبه
يالابس التاجين عش سالما ... ترعاك عين الله من حجبه

ويلاحظ أن قصائد شوقى التى مرت وإن لم تكن قد هبطت فى عمومها ، فإن ظروف المناسبة، وعدم انطلاق الشاعر فيها وجدانيا ، كل هذا لم يدع للشاعر فرصة يجيد فيها شعره ، فسرعان مانجد ملامح الفن الراقى وكأنها قد خاصمت القصيدة .

وأكاد أجزم بأن شهرة شوقى التى بلغت مبلغا عظيما وبخاصة قبل الحرب الأولى ، ومصاحبته للخديوى عباس ، ورغبته فى أن يكون وحده شاعر القصر فى عهده [1]هو الذي حال بينه وبين الشاعرية القوية أحيانا .

ثانيا : التكريم :

ولشوقى قصائد تكريمية لانجد فيها روحه الشعرية أو عواطفه إلا ضعيفة متكلفة ، وإن شئت فقل مستعصية .

ومن هذه القصائد قصيدته التى نظمها بمناسبة زيارة الأمير للبحيرة ، ومنها هذه الأبيات [2]:

---

(١) حافظ وشوقى ، بقلم زكى مبارك ، إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك ص ٥٨ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ (المكتبة الثقافية).

(٢) الشوقيات المجهولة : ١٥٧/٢.

تجر البحيرة أذيالهـــــا ... وتسبق بين يديك الزمـــر
وتمشى مجملة بالحلـــى ... وقد تتجلى ذوات الخفـــر
وتزهو بزينتها كالعروس ... وأنت الخطيب الحبيب الأغر
وما زينت لك بين القلوب ... أجل وأجمل مما ظهـــــر
وتبعث من ملحها حفنـة ... لعين الحسود إذا ما نظـر
تجلى الصباح على أفقها ... فألقى بغرته وانتظـــــر

ومن هذه القصائد قصيدته التي ألقاها فى حقل تكريم الرحالة المصرى أحمد حسنين [١].والملاحظ أن الشاعر لم يبن القصيدة على غرض واحد أساسى تقتصر عليه ، ولكنه أخذ يضرب فى نواح شتى، فتحدث عن المخترعات الحديثة ، ولفت الأنظار إلى الإقدام فى الحياة، وقدم النصح للشباب ، وحثهم على العلم والتعلم ، وأخذ يتسلل إلى بعض المعانى الشائعة المرددة ، ولم يأت فى القصيدة بذكر للرحالة إلا فى أبيات قليلة فى ختام القصيدة لا عاطفة فيها ولا وجدان .

يقول :

أكبرت من (حسنين) همة طمحت ... تروم مالا يروم الفتية القنـــع
وما البطولة إلا النفس تدفعهـــــا .... فيما يبلغها حمدا ، فتندفـــع
ولا يبالى لها أهل إذا وصلـــــوا ... طاحوا على جنبات الحمد أم رجعوا
رحالة الشرق ، إن البيد قد علمت ... بأنك الليث لم يخلق له الفــــزع
ماذا لقيت من الدو السحيق ومن ... قفر يضيق على السارى ويتسع؟

---

(١) الشوقيات : ١/١٥٥ - ١٥٧.

وهل مررت بأقوام كفطرتهـــــم ... من عهد آدم لاخبث ولاطبـــع ؟
ومن عجيب لغير الله ماسجــدوا ... على الفلا ، ولغير الله ماركعوا
كيف اهتدى لهم الإسلام ، وانتقلت ... إليهم الصلوات الخمس والجمع؟
جزتك مصر ثناء أنت موضعـــــه .... فلا تذب من حياء حين تستمع
ولو جزتك الصحارى جئتنا ملكـا ... من الملوك ، عليك الريش والودع

وعلى هذا المنوال قصيدته التكريمية التى نظمها فى احتفال تكريمى أقيم للأساتذة : عبد الملك حمزة ، وإسماعيل كامل، وعوض البحراوى [١].

ثالثا: الرثاء :

لقد استغرقت مرثيات شوقى جزءا كاملا من ديوانه ، وكانت هذه المراثى هدفا للنقد الساخر من دعاة الاتجاه الوجدانى ، فهم يرون فيها تمجيدا " موضوعيا" لكثير من قادة السياسة ، وزعماء العصر ، ووجهاء المجتمع ، على اختلاف اتجاهاتهم ، وأوضاعهم، واختلاف صلة شوقى الشخصية أو الاجتماعية بهم .

ومع أن شعر الرثاء تبدو فيه العواطف أكثر صدقا وانفعالا ، وذلك لانعدام أسباب الرغبة والرهبة - فإننا نلاحظ أن بعض مراثى شوقى وبخاصة قبل نفيه تركن إلى التعميم والإبهام ،وتغلب عليها روح الوصف ، لدرجة تجعلها تصلح لكل رثاء ولكل ميت . ومثلها مثل تلك المدائح المبهمة الغامضة التى يقدمها المادح إلى الأحياء جميعا من غير تفرقة بين ممدوح وآخر.والحق أن الشاعر فى مثل هذه

(١) انظر الشوقيات :١/ ٢٥٩.

الأشعار لم يكن ينطق عن عاطفة قوية ، ولكنه كان ينظر إليها على أنها فن خالص للمجاملات .

ومن الأمثلة على ذلك " ميمية شوقى " التى نظمها وهو فى منفاه بالأندلس سنة ١٩١٨م يبكى فيها والدته التى قضت سنوات الحرب الأولى حزينة موجعة القلب ألما على فراق ابنها المنفى [١].

والحق أن هذه القصيدة فقيرة من مادة لرثاء ، وفقيرة من العاطفة، وأبياتها ليست وليدة الرغبة الصادقة ، وقد ساقها شوقى شعرا جامدا ونظما مقهورا يبدو عليه الفتور والضعف ، وكأن خبر وفاة والدته لم يهزه ولم يحرك انفعالاته!.

إنه يستهل القصيدة بالشكوى إلى الله فى ألفاظ قوية وعاطفة حارة فيقول :

إلى الله أشكو من عوادى النوى سهما ... أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى

ثم يتحدث عن البرقية التي حملت إليه نعى والدته ، وأثر هذا المصاب فى نفسه :

توارد والناعى ، فأوجست رنـــة ... كلاما على سمعى، وفى كبدى كلمـــا
فماهتفا حتى نزا الجنب وانـــزوى ... فياويح جنبى! كم يسيل ؟ وكم يدمى؟
طوى الشرق نحو الغرب ، والماء للثرى ... إلى ، ولم يركب بساطا ولايمـــا
أبان ولم ينبس ، وأدى ولم يفـــه ... وأدمى وماداوى ، وأوهى وما رمـــا
إذا طويت بالشهب والدهم شقـــة ... طوى الشهب ، وأجاب الغدافية الدهما

---

(١) الشوقيات : ١٤٦/٣ - ١٤٩.

لكن قوة شوقى اللفظية سرعان ماتضعف ، وعاطفته سرعان ماتفتر . فبعد أن يتحدث عن أثر الأحداث على الإنسان ، نراه ينحى باللائمة على الحرب التى تسببت فى مقتل والدته :

لك الله من مطعونة بقنا النوى ... شهيدة حرب لم تقارف لها إثما

ثم يتحسر على فقدها فيقول :

فياحسرتا ألا تراهم أهلــــــة ... إذا أقصر البدر التمام مضوا قدما!
رياحين فى أنف الولى ، وما لها ... عدو تراهم فى معاطسه رغمـــا
وألا يطوفوا خشعا حول نعشها ... ولايشبعوا الركن استلاما ولالثما

وبعد أن يقدم المعذرة لأمه بأنه لم تكن له رغبة فى إشعال نيران الحرب، وبعد أن يصف حاله فى منفاه وخواطره تجاه أمه ووطنه، نراه يختم القصيدة مفتخرا بأمه وبنفسه فيقول :

لئن فات ما أملته من مواكب ... فدونك هذا الحشد والموكب الضخما !
رثيت به ذات التقى ونظمتــه ... لعنصره الأزكى وجوهره الأسمـــى
نمتك مناجيب العلا ونميتهــا ... فلم تلحقى بنتا ولم تسبقى أمـــا
وكنت إذا هذى السماء تخايلت ... تواضعت ، لكن بعد مافتها نجمـــا
أتيت به لم ينظم الشعر مثلــه ... وجئت لأخلاق الكرام به نظمــــا
ولو نهضت عنه السماء ومخضت ... به الأرض كان المزن والتبر والكرمـــا!

والقصيدة كما ترى تدور حول رثاء أم شوقى ، والذى يرثى حبيبا أو صديقا إنما يشعر بشئ غير قليل من الحزن ، فكيف بالذى يرثى أمه وهى أقرب الناس إليه ؟

كان من الطبيعى أن يكون رثاء شوقى رثاء حقا ، وأن تكون روحه الشعرية وعواطفه وإحساساته أظهر فى هذا الرثاء من غيره ، وأن يكون قوام هذا الرثاء عاطفة حزينة تتقاطر أسى وألما يغمران الألفاظ والمعانى .

فأين هذا كله من القصيدة التى معنا ؟ وأين الفن فيها وهى بعيدة عن شعر الرثاء الحق أو هي منه بأضعف نسب وأوهى سبب ؟ وهل أدركنا شيئا من الصورة يهز مشاعرنا ويحرك خواطرنا ؟

لقد خرجت القصيدة تتضاءل أمام جلال الموقف ورسالة الشعر، وقد أساء شوقى فيها إلى نفسه وإلى مواهبه ، فهى لاتنم عن معاناة حقيقية ، أو حرارة متقدة ، والشاعر يقف فى تعبيره عند حد اللهجة التقريرية، والأبيات لا تتخللها أحاسيس شوقى ولا انفعالات وجدانه والتياع فؤاده ، ومابها من آلام لايمكن بأى حال من الأحوال أن يمثل عاطفة إنسان يبكى والدته ، وكل مافى القصيدة من فضل إنما يتمثل فى يسر الصياغة وسلاسة التعبير ، وشوقي من جهته يحاول ستر مافى القصيدة من نضوب فى العاطفة ، فنراه يأتى بالأيمان الكثيرة المتتالية ، وبالاستدلالات المنطقية التى تؤكد أنه لاصلة له باشتعال الحرب :

حلفت بما أسلفت فى المهد من يد ... وأوليت جثمانى من المنة العظمى
وقبر منوط بالجلال مقلـــد ... تليد الخلال الكثر والطارف الجما
وبالغاديات الساقيات نزيلـــة ... من الصلوات الخمس والآى والأسما
لما كان لى فى الحرب رأى ولا هوى ... ولارمت هذا الشكل للناس واليتمـــا
ولم يك ظلم الطير بالرق لى رضا ... فكيف رضائى أن يرى البشر الظلما ؟

ولم آل شبان البرية رقـــــة ... كأن ثمار القلب من ولدى ثمـــا
وكنت على نهج من الرأى واضح ... أرى الناس صنفين : الذئاب أو البهما
وما الحكم إلا أولى البأس دولة ... ولا العدل إلا حائط يعصم الحكما

ومن عجب أن تكون قصيدة شوقى فى رثاء أمه على هذه الشاكلة مع أنها أندلسية ، ومع ما نال شوقى من شهرة ، وما عرف عنه من غيرة على شعره وحرص على تجويده واستصفائه ! والحق أننى لاأستطيع أن أهتدى إلى ما أدافع به عن شوقى فى هذه القصيدة خاصة ، لأن ضعف الفن الشعرى فيها غير محتمل ، وفى اعتقادى أن الشاعر إذا كان قد اضطر لنظمها ، فإن النقد الأدبى لن يقبلها للأسباب التى ذكرناها.

وليس مما يعتذر به عن شوقى أن الموقف جلل ، وأن الرجل كان متحطما واهنا مما أصاب فى غربته ، وأن البرقية التى حملت إليه نبأ الوفاة قد شلته ، وجعلته إلى الجازع الهالع أقرب من المتجلد الصبور . فتلك المعذرة واهية، بل غير صحيحة.

وفى رأيى أن اطلاع شوقى على مرثية المتنبى فى جدته والتى مطلعها [١]:

ألا لا أرى الأحداث حمدا ولاذما ... فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

---

(١) انظر مرثية المتنبى فى جدته فى الجزء الرابع من ديوانه .

قبل نظمه المرثية [١] ، وحرصه على معارضة هذه القصيدة، هو الذى أفقده شخصيته، وقاده إلى الخروج عن طبيعته ، وجعل القصيدة تخرج معيبة بما فيها من فتور ووهن وخواطر متهافتة ، حيث أقدم على نظم قصيدته معتمدا على ميمية المتنبى ، وأخذ يتابعه وينتقل خلفه من فكرة إلى فكرة ، كما أنه أخذ يصطنع الفخر على طريقة المتنبى [٢].

ولعله لهذا الذى قلناه كان تعقيب الدكتور محمد مندور علي هذه المرثية كما يلى [٣]:

" وهى مرثية ليست بالبداهة أندلسية فى شئ ، عدا أنه كتبها وهو لايزال منفيا فى الأندلس ".

وأضعف من قصيدة شوقى التى مرت ، وأفتر منها عاطفة مرثيته فى " سليمان باشا أباظة " وفى " على أبو الفتوح " .

يقول فى مطلع الأولى [٤] :

من ظن بعدك أن يقول رثاء ... فليرث من هذا الورى من شاء

فجع المكارم فاجع فى ربهـا ... والمجد فى بانيه والعليـــاء

---

(١) المتنبى وشوقى ، للأستاذ عباس حسن ص ٣٤٨.

(٢) انظر المعارضة فى شعر شوقى ، للدكتور إبراهيم عوضين ص ١٧٤-١٨٦، ٢٢٨.

(٣) أعلام الشعر العربي الحديث ص ٦٥.

(٤) الشوقيات : ٣/٣.

ونعى النعاة إلى المروءة كنزها .... وإلى الفضائل نجمها الوضاء
أأبا محمد اتئد فى ذا النـوى .... وارفق بآلك وارحم الأبنـاء

ويقول من الثانية (١):

مشت الشبيبة جحفـــلا ... تبكى لواء الجحفـــل
فانظر سريرك هل جـــرى ... فوق الدموع الهطل ؟
الله فى وطـــن ضعيف الركن واهى المعقــــــل
وأب وراءك حـــــزنه ... لنواك حزن المثـكـــل
يهب الضياع العامــــرا ....ت لمن يرد له " على "
ليس الغنـــى من البريـــة غير ذى البال الخلــــى
ولجيبة بين العقـــــا ... ئل همها لاينسلـــــى
دخلت منازلها المنــــو ... ن على الجرئ المشبــل
كسرت جناح منعـــم .... ورمت فؤاد مدلـــل

والراجح أن قصيدة شوقى فى رثاء " أم المحسنين " والدة سمو الخديوى عباس ، التى توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١م ليست إلا مجاملة خالصة، فالموقف فرض على الشاعر أن ينظم مرثية فى الفقيدة ، وإن شئت فقل إن القصيدة دين حل قضاؤه ، وهى أصدق مثال لشعر المناسبات الذى طغت المناسبة فيه على الشاعر ، لأننا لانرى فيها لوعة المصاب ، ولاأنين الباكين، ولاوله المصابين ، ولامرارة المفجوعين .

---

(١) الشوقيات : ٣/١٢٣ ، ١٢٤ .

إنه يستهل القصيدة بخطاب أم المحسنين وقد عادت من تركيا ، مظهرا اهتمام مصر وعنايتها باستقبال الفقيدة ، فيقول [١]:

أخذت نعشك مصر باليمين ....وحوته من يد الروح الأمين
لقيت طهر بقاياك كمـــا ... لقيت (يثرب) أم المؤمنين
فى سواديها وفى أحشائهـا ... ووراء النحر من حبل الوتين

ومن يقرأ أبيات القصيدة يجد الشاعر يخلع على الفقيدة ماجرى عليه العرف فى مواطن الرثاء ، ومن هنا كان الافتقار إلى تدفق الإحساس ، وصدق العاطفة وحرارتها، ولذلك فمن الصعب أن يظفر القارئ للأبيات بحركة نفسية نابضة تمثل لوعة الإحساس بالفقد، ومرارة الشعور بالضياع .

وبعد فتلك قصائد تقليدية نظمها شوقى فى المناسبات ، وخرجت لا عاطفة فيها ولا وجدان كما سبق القول عنها ، والحق إنها لقليلة إذا ماقيست بقصائده الجيدة .

ونحن نعتقد أن من الإسراف والظلم أن نحكم على شاعرية شوقى بهذه الأشعار ، أو أن نتخذها مقياسا لحظه من الإجادة أو الإساءة .

وكيف نسوغ لأنفسنا ذلك ونحن نعلم حق العلم - وكما سبق القول فى الفصل الأول من هذا الباب - أن شعر المناسبات عند شوقى يتضمن روائع ربما لاتقل فى روعتها عن شعره المسرحى والتمثيلى .

---

(١) الشوقيات : ٣/١٦٣.

وقد يبدو للقارئ المتسرع أن موهبة شوقي الشعرية قد استنفذت فى هذه الأشعار التقليدية التى لاتمثله ولا تصف شعوره ، ولكن القارئ المتأنى لصفحات الديوان يهتدى إلى تخطئة الرأى السابق وتقصيره ومن ثم تصويبه . على أننا إذا صرفنا النظر عن جميع ماقصر فيه شوقى ، وحاولنا أن نقيسه بمقاييس الألفاظ العذبة المصفاة ، والمعانى السامية المشرقة ، والأساليب المؤتلفة المتلائمة ، وروعة الموسيقى ، وبراعة الخيال ، لكان فى طليعة شعراء عصره ، بل أسبقهم جميعا فى هذا الميدان لا نستثنى أحدا .

فشوقى - على الرغم من العيوب التى وجدت فى شعره - أعلى الشعراء الذين نظموا فى المناسبات مكانة ، وبخاصة بعد أن تحرر من قيود الوظيفة ومن الاتصال الرسمى بالقصر ، و أقربهم من الصدارة منزلا ، وكم كنت أرجو لو يلازمه التوفيق فى كل الأحيان كى يكون الحكم له بالأولوية لا تعقيب فيه .

وعلى الرغم من عدم تحقق رجائى ، نحن لانجحد مقدرة شوقى وبراعته ، وتفرده بالسبق والزعامة ، وفى اعتقادى أنه لولا قوة تفكيره ، واتساع تجاربه وآفاقه الأدبية ، وإتقانه لصناعته ، ومهارته فى التأليف ، مابقى لشعره هذا رونق ولاديباجة .

ولست فى هذا الرأى مغاليا ، فقد سبقنى إلى القول بتفرد شوقى ، وزعامته على شعراء عصره جميعا ، وجمعه من المزايا الأدبية العالية مالم يجمعه غيره - وفود البلاد العربية التى

اجتمعت فى القاهرة فى مهرجان أدبى فريد [١] لم تشهد البلاد له مثيلا .

على أنه قد استهوى كثيرا من الباحثين فاعترفوا له بالعظمة والسبق . فهذا هو الأستاذ عباس حسن ، الذى نصب نفسه ناقدا عدلا للموازنة بين شاعر العربية الأول المتنبى وشوقى، على الرغم من جلال شأن المتنبى ، وسعة شهرته ، وذيوع صيته .

يقول عنه [٢] :

" إنه شاعر العربية الأكبر ، وأمير بيانها المجلى ".

ويقول [٣] :

" إن (شوقى) شاعر العربية كلها ، حاضرها ، وماضيها ، قديمها الغابر ، وحديثها القائم ".

---

(١) كان ذلك فى شوال ١٣٤٥ هـ أبريل ١٩٢٧م.

(٢) المتنبى وشوقى ص ١.

(٣) المصدر نفسه ص ٢ .

الفصل الثانى

فنيـــة شوقـــى

نتحدث فى هذا الباب عن العوامل التى كانت وراء تفوق شوقى فـى مناسباتـه ، إذ لايمكـن بأى حال من الأحوال تغافل هذه العوامل مادمـنا بـصـدد الحديـث عـن أصالة شوقى فى شعره ، ذلك لأنهـا هى التى عمقت آراءنا التى تحدثنا عنها فى هذا الشعر .

وهنا يحق لنا أن نتساءل :

إذا كانت شاعرية شوقى لا تتألق فى الأجواء الفكرية البعيدة ولا فى الخوالج العاطفية تألقها فى الجو السياسى والوطنى ، فما الذى دفع أهل الأدب فى شتى الأقطار العربيـة إلى الاعـتـراف بإمامته الشعرية وما العنصر الفنى فى شعره الذى أحرز له هذه المكانة العالية ؟

والواقع أن الإنصاف الذى حملنا على الجهر بأن لشوقى هنات فى شعره ، لهو الذى يدفعنا إلى القول بأن النقد العنيف الذى وجه إليه من شانئيه لم يحل بينه وبين المضى فى سبيله ، وأنه قد استطاع أن يسجل فضلا فى كثير من شعره ، مما يفرض علينا أن نعترف له بالمقدرة والبراعة ، وأنه يتمتع بشاعرية مشعة ، وقريحة وقادة .

على أننا لا نغالى إذا قلنا إن شاعرنا مع كل هذه المآخذ التى لوحظت على شاعريته ، ومع محاولة خصومه ودأب حساده على تضخيم ذلك ، وإبرازه كعيوب فى شعره، قد استطاع بمهارته الفائقة، وبقدرته العجيبة على صوغ العبارة ، أن يحلق فى أفق الشعر

العربى، وأن ينفعل بما شاهد حوله من مناسبات ، وأن يتغنى بها ويتخذ من كل ذلك إطارا لتجاربه العاطفية .

وفى رأيى وفى مجال التعليل لتفوق شوقى ، أن الذى صرف معظم نقاده وفى مقدمتهم العقاد والمازنى وطه حسين عن نقدهم له ، وجعلهم يغيرون رأيهم فيه بعد رحيله ، هو ما أشاعه فى شعره من حيوية وطلاوة ، يطيب لنا أن نردها إلى عوامل وأسباب مختلفة ضمناها الفصول التالية ، وكلها تتصل بتفوقه فى الشعر ، وسبقه فى كثير من نواحيه الفنية غيره من الشعراء .

الفصل الأول

المواءمة بين دواعى الفن وضرورات العصر



إذا كان البارودى قد بعث الشعر العربى ، وأحيا ديباجته ، وأعاد الصياغة العربية إلى ما كانت عليه فى عصور الأدب الزاهية، فقد كان لشوقى هدف آخر هو التجديد فى المعانى والأغراض الشعرية، والارتفاع بفنه الشعرى إلى مستوى الأدب الجيد بأوسع معانيه، كل ذلك فى خيال خصب يمثل بيئته وحضارة عصره .

ولكن هل أنتج شوقى شعرا يعبر عن روح العصر الذى عاش فيه، وينفعل مع البيئة التى صورها ؟

والواقع أنه فى كل أشعاره إنما يعبر عن روح عصره، فلقد صور البيئة التى عاش فيها، وخرج إنتاجه انعكاسا لتفاعله مع بيئته وعصره وقومه، وإنتاجه فى المناسبات ماهو إلا صورة من مصر التى قوى إحساسه بها ، فترجم عنها وأحسن التعبير .

وليس من شك فى أن الشاعر قد شاهد فى حياته أحداثا ومواقف فيها غذاء لشاعريته، وإرهاف لحسه ، وتقوية لشعوره . وإذن فمن الحق على شوقى نفسه أن يعنى بفنه أشد العناية، وأن ينتفع بكل ماحوله لتصبح هذه العناية خصبة ، وقد فعل شوقى من غير شك ، فتأثر شعوره وذوقه بكل ماحوله، وبكل الأحداث والظروف التى شهدها العصر، وأخذت تظهر آثار ذلك كله فى شعره الذى نظمه فى كل مرحلة من مراحل حياته.

وإذا كنا قد رأينا أن الشاعر قد وجه قسطا كبيراً من شعره للمناسبات والحوادث اليومية التى عاشها، فإننا نقول إنه لم يهبط

بهذا الشعر عن آفاقه العليا فى الصياغة والفن ، بل يحلق به فى أبعد سماء، ولم ينحدر به عن المستوى الرفيع للشعر العربى.

والحق أن شعر شوقى قد نضج بمرور الأيام ، وأنت تستطيع أن تقرأ شعره كله فستجده يساير روح العصر، فهو شاعر يداور الحوادث ، ويأخذ منها مايدعوه إلى الشعر، وقد حقق لشعر المناسبات كل غاياته وأهدافه ، ونحن لانراه - وبخاصة بعد أن عاد من منفاه - إلا محلقا مبدعا ، وقد ساعدته ظروفه بعد المنفى على أن ينطلق فى تيار التجديد فى معظم ماجادت به قريحته، وأن يتسنم ذروة الشعر العربى فى العصر الحديث ، ولذلك ثبت فنه فى وجه كل تلك التيارات التى كانت تحاول أن تقيس الشعر العربى بموازين وافدة.

ونحن لو تصفحنا كل الأغراض الشعرية التى طرقها شوقى فإننا سنجد من الظواهر البارزة أن الشاعر وجد فى هذه الموضوعات الشائعة منافذ للتجديد والتوليد ، وأنه تسلل إلى بعض المعانى المرددة، وتناولها بالصقل أو التوليد وحسن التصرف ، فجاءت كأنها الجديدة المبتكرة . فشوقى شاعر يجمع بين القديم والحديث ، يجئ بالجزالة والقوة البيانية على خير ما كان يجئ به القدماء ، ويغوص على معانى الحياة الإنسانية غوصا بعيدا، ويضمن شعره فلسفة حياة وثقافة تنتمى إلى القرن العشرين.

إن أكثر الذين توفروا على دراسة شوقى وشعره يعزون إليه مزايا فنية خاصة ،تجمعها كلها فى رأينا كلمة واحدة هى " التجديد" (١).

فما هو التجديد الذى يعزى إلى شوقى ، وإلى أى مدى جرى شاعرنا فيه على الرغم من وقوعه تحت ضغط الحياة السياسية والاجتماعية التى عاشها فى مصر ؟

إن التجديد الذى ننتظره من شوقى إنما هو امتداد لهذا البعث الذى حققه البارودى، فطموح شوقى للتجديد لم يسلمه مع أولئك الذين اعتنقوا مذاهب أو نظريات نقدية وافدة، ولم يجعله مع هؤلاء الذين خلبهم التجديد فتبعوه من غير تعقل حتى اضطربت مقاييس الشعر عندهم واختلت موازينه.

على أن آية التجديد فى شعر شوقى وجماع مظاهرها تتمثل فى الطبيعة الفنية التى يتسم بها شعره ، والتى تجعل حياة شوقى وفنه شيئا واحدا.

والذى نود أن يتقرر فى الأذهان أن شعر شوقى يساير روح العصر، وأنه يمثل بيئته وحضارته، وأن الفكرة عنده قد جاءت من روح الفترة، وتلونت بلون مناسب للعصر .فظروف العصر فرضت عليه أن يتناول أغراض الشعر بروح جديدة ، فيفتخر بوطنه، ويتغنى بأمجاد أمته وتاريخها وحضارتها، وآثارها على مر العصور.

---

(١) انظر شوقى شاعر العصر الحديث ، للدكتور شوقى ضيف ص ٨٤ ومابعدها .
وانظر كذلك دراسات أدبية ، للأستاذ عمر الدسوقى ص ١٥٤ ومابعدها.

ومن ينظر فى قصائده الوطنية يجد أن روح الوطنية بمفهومها الحديث بدأت تدخل الشعر ، ويجد أفكاره تدور حول ما يأتى :-

١- حب مصر والإشادة بها ، والرغبة فى التضحية والفداء من أجلها ، والتطلع إلى مجدها المرموق ، وترديد نفحات الوطنية هتافا بحياة مصر ، أو بكاء على ماضيها .
٢- الوحدة سبب فى الألفة والمحبة بين أبناء الوطن ، كما أنها السبيل إلى القوة والنصر ، وتحقيق آمال البلاد.
٣- الدعوة الصريحة إلى الجلاء ، وتحرير مصر من الاستعمار ، واتخاذ القوة وسيلة لهذا.

ومن البديهى أن نقول إن هذه كلها أفكار جديدة، لأنها جاءت مناسبة لروح العصر ، تلك الروح التى واجهت المعتدين على الحريات ، وهى على الجملة نتاج للصراع المحتدم بين مصر من ناحية والمحتل الأجنبى من ناحية أخرى .

إننا نرى الشاعر يتحدث عن مصر فى المناسبات المختلفة حديثا كله فخر وطنى يشف عن حب عميق لها ، وقد انبعث هذا كله نتيجة لشعور داخلى عميق، شعور يتجاوب مع جماهير الأمة ، وتتطلبه الظروف العامة وتنادى به .

ومن ينظر فى قصائده القومية يجده يتجاوب مع آمال العرب ومشاعرهم ، ويتأثر بكل تلك الأحداث التى وقعت فى البلاد العربية، كما يجده يشيد بالعروبة، وبما كان لها من مجد فى تاريخها الطويل، ويتخذ من مجدها الزائل حافزا للعرب يستنهضهم

ليستأنفوا المسيرة فى عزة ونجاح ، ويهبوا لاسترجاع ذلك المجد ، فتتوحد من ثم جهودهم ويجتمع شملهم.

وقد أدرك شوقى أن القومية العربية تقتضى أن يعمل العرب على تحقيق وحدتهم وسيادتهم ، وأدرك كذلك مابين العرب من روابط ، إذ وحدتهم الآمال ، وصهرتهم خطوب الزمان التى تعرضوا لها ، هذا فضلا عن الجهاد الذي هو قائم فى كل قطر من أقطار العروبة ، لاستكمال الحرية ونشدان الاستقلال .

كذلك كان الحال فى الشعر الإسلامى ، فهو لم يكن كالشعر الإسلامى قديما، حيث امتازت أفكاره بالجدة ، فهو يشيد بخصائص الإسلام، وينوه بحضارته تنويها يعكس إيمانه القوى الراسخ فى الدفاع عنه، ورد دعاوى المستشرقين ، وإبطالها وتفنيد حججها .

ثم كان لاتصالنا بأوربا ، واطلاعنا على كثير مما لدى الأوربيين، أثر كبير فى قيام شوقى بعقد مقارنات بين المصريين والأوربيين فى مجالات عديدة من مجالات الحياة، وتهدف إلى إحداث تغيير فى سلوك المصريين ، والرغبة فى التطلع إلى الجديد .

والحق أن ثقافة شوقى قد تجلت فى شعره وبخاصة فى الشعر الإسلامى، فثقافته هى الينبوع الأول لأفكاره الجديدة التى عرض لها . وأغلب الظن أن احتفاءه بالشعر التاريخى كان نتيجة من نتائج ثقافته وتأثره بالأدب الغربى ، واطلاعه على التاريخ المصرى

والإسلامى ، يضاف إلى ذلك طبيعته المتطلعة إلى استخلاص مافى الماضى من عبر ودروس .

ومن الطبيعى أن نقول إن سعة الفكر لن تتوفر إلا لمن يحسن تمثل التراث الحضارى القومى والبشرى ، ويربطه بتيار الحياة ، ويمزجه بالجديد من الثقافة ونتاج الفكر بهدف التلوين والتطور فى صورة يقبلها العصر، وتدفع به إلى التقدم ، وتلك لعمرى مزية نالها شوقى، فلقد حظى بثقافة متنوعة واسعة ، وأوتى إحساسا مرهفا وعاطفة جياشة ، أعانته على الانفعال بمايشاهده ويتخيله.

هكذا كانت ظروف الحياة وأحداث العصر سببا فى اتجاه شوقى إلى التجديد، فلقد هجر بعض الأغراض القديمة، وانطلق من مجال الشعر الذاتى الخالص إلى مجال الشعر الإنسانى الخالد، وراح يحلق بشعره فى الأجواء التى طالما حن إليها، واستوحى مواضيع جديدة من واقع الحياة حوله ، أو من وقائع التاريخ ، فجاء شعره من ثم صورة صادقة لأمته بعاداتها وتقاليدها ، ومامر عليها من الأحداث التى كانت نقطة التحول فى حياتها ومصيرها.

وقد استطاع شوقى فى شعره الجديد أن يحافظ على روعة الموسيقى، وعلى البيان العربى الناصع ، وهذه الضروب من التجديد طالما تاق إليها شعرنا العربى . بل إن الأستاذ عمر الدسوقي حينما تعرض للتجديد فى شعر شوقى نجده يقول عن أصول لغته وسلامتها [١]:

---

(١) دراسات أدبية ص ١٥٩.

" مع أن بعث اللغة على هذه الصورة الجميلة آكد وسائل التجديد " .

وهذا المقياس فى حقيقة أمره يعد فرعا عن " شعر الشخصية"، لأن الشاعر حين يعبر عن عصره ، ويبعد عن التقليد ، تظهر شخصيته فى شعره على أية حال ، سواء تحدث عن نفسه صراحة ، أو اختفت نفسه وراء خواطر صادقة تعلن عن صاحبها وتبين عن خصائصه وآرائه ومشاعره وذات نفسه.

وعلى هذا الفهم نرى أن ما أحدثه شوقى فى الشعر من تجديد إنما يتمثل من وجهة نظرنا فى التعبير عن شخصيته فى شعره، على أنه وإن لم يتخلص من كل مظاهر التقليد فى شعره فحسبه أنه جارى عصره فيما جد على الحياة التى تغيرت مظاهرها عما كانت عليه قبل ، وعكس فى شعره التصور السائد للحياة، وعبر عن فلسفة العصر .

ومهما يكن من أمر فإن طريقة شوقى هذه هى التى بلورت مذهبه الجديد فى الشعر ، وجعلت منه مدرسة قائمة بذاتها ، ثم تفرعت عنها شعب أخرى ، ذهبت فى التجديد مذاهب شتى ، فشوقى ، إذن هو الذى مهد هذا التمهيد القوى ، وقاد الحركة من مبدئها.

الباب الثالث

لماذا تفوق شوقى فى مناسباته؟

أولا : موهبة شوقى الشعرية :

أوتى شوقى موهبة شعرية وملكة معبرة [١] وهذه الملكة التى وهبها لم يكن هناك بد من أن ينفذ إليها وجدانه الخالص.

وفى اعتقادى أنه إذا كان هذا الوجدان لم يجد سبيله إلى شعر شوقى قبل نفيه عن مصر، فإنه من المحتم أن يكون قد تسلل إليه بعد عودته من منفاه ، يؤكد ذلك انفراد شعره بعد المنفى بحرارة العاطفة وقوتها ،وجلال الصور وطرافتها، وغزارة الأفكار وجدتها.

ومن حق شوقى أن نقول إن طاقته الشعرية لم تثر به ، ولم يحفزه طموحه المشروع إلى مجد الشعر لأن يعيش فى متاهات الخيال على نحو ماحدث لبعض الشعراء الرومانسيين ، ولكن موهبته الشعرية انطلقت كقوة عارمة من قوى الطبيعة ودفعته لأن يشعر بشئون المجتمع ، ويعيش فى الجو الوطنى أكثر مما يعيش فى أحلام يقظته وتهويمات خياله ، ويسجل كل حادثة من حوادث السياسة والاجتماع فى أيامه.

وكان شوقى على درجة من الذكاء جعلته يطمح إلى أن يرود فى الشعر العربى آفاقا جديدة ، وقد بدت تباشير هذا الذكاء فى مستهل حياته الأدبية ، وقد ساعده ذلك على أن يختزن فى قرارة نفسه من الصور والمشاهد التي وقع عليها نظره فى أسفاره العديدة، أو فى دراساته الواسعة ، حتى إذا مابدت فرصة تحركت نفسه ، واهتزت شاعريته ، وجادت قريحته الفذة بشعر يحمل أثرا من ذلك.

---

(١) انظر شوقى شاعر العصر الحديث ، للدكتور شوقى ضيف ص ٥٨ ومابعدها .

وقد حفل شوقى بموهبته، وأخذ ينميها بالشعر العربى القديم، وبكل ما أوتى من ثقافة ، أعانه على ذلك أنه صاحب اطلاع وافر، وقد أتيحت له ظروف خاصة وقفت جنبا إلى جنب مع ثقافة عصره وأحداث زمانه، ومكنته كلها من أن ينهل من ينابيع الثقافات المختلفة فى يسر وسعة [١].

وليس من شك فى أن سياحات شوقى الكثيرة فى بلاد الغرب وفى بلاد الشرق القريب، قد ساعدته على الوقوف على طباع الناس وأخلاقهم ، ومأثور عاداتهم ، كذلك أعانته ثقافته على تسجيل تاريخ مصر والعرب والإسلام بالشعر.

يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى فيه [٢]:

" نبغ فى عصر واحد شوقى ومطران وصبرى وحافظ ، وكان لمطران رسالة مستمدة من الإنسانية أولا ومن القومية ثانية ، إلى جانب شعره الوجدانى وشعر الطبيعة المنوع، وكانت رسالة إسماعيل صبرى وجدانية وطنية وأقلها الجانب الوطنى ،وأغلبها شعر العواطف المترفة التى لا تحمل أية رسالة فوق المتعة الموسيقية والأناقة الفنية للترويح عن النفس ، وكانت رسالة حافظ وطنية سياسية شعبية إلى أبعد غاية ، وإن حفظت له نماذج رائعة فى

---

(١) انظر الأدب العربى المعاصر فى مصر ، للدكتور شوقى ضيف ص ٤٧.

(٢) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٠٧ عن (المقتطف فبراير ١٩٥٢م).

شكوى الزمان، وأما رسالة شوقى فكانت أساسيا التغنى بمجد مصر، ثم بتاريخ الإسلام والعرب ، تسعفه فى كل ذلك ثقافته التاريخية وقربه من ولى الأمر فى مصر ، واستجابته لميوله .

ولاريب أن (شوقيا) كان صادقا فى تاريخياته المنوعة التى تجلت فيها عبقريته ولم يبزه أحد فيها ، وتفوقه فى هذا المضمار جدير بالتمجيد والتبجيل ، وانها لرسالة ذات قيمة كبيرة لايعاديها أى إنسان حصيف ولا أى ناقد منصف ، إلا إذا جاز أن يعادى من يسجل أمجاد التاريخ القومى بإخلاص ولذة بل وشراهة ".

وقد اطلع شوقى فى منفاه بالأندلس على كتب التراث ، حيث لم يدع كتابا من أمهات الأدب العربى إلا قرأه واستوعبه (١)، كما قرأ للشعراء القدامى أمثال : أبى نواس، أبو تمام، البحترى، المتنبى ، وقد تأثر بهم ، وظهر أثرهم على شعره ، ونحن نلمح فى شعره الوطنى والسياسى جزالة أبى فراس والشريف الرضى، ونرى شيوع الحكمة في شعره أثرا من تأثره بالمتنبى ، ونلمح فى شعره معانى أبى تمام العميقة ، وغنائية البحترى وإحكام نسجه.

ثانيا : الأداء الشعرى :

إن سر الفن فى شعر شوقى هو تلك الشاعرية الخصبة التي مكنته من الديباجة المشرقة الألوان والظلال، وجعلته يستوحـــــــى

---

(١) مجلة الهلال عدد اكتوبر سنة ١٩٨٢م ص ١٩.

المعانى فيخرجها صورا رائعة الجمال . فهو شاعر صاحب حصيلة خصبة وافرة ، وقد أوتى قدرة على حسن الصياغة وإبراز المعانى فى ثوب جميل ، حتى صار قريضه يوسم بسمة الإشراق والنصاعة.

والذى لاشك فيه أن ظروف النفى قد أتاحت لشوقى تنمية فنه الشعرى بالاطلاع على أعظم كتب التراث إن لم يكن كلها ، فلم يترك ديوانا جيدا من دواوين الشعر العربى فى عصور ازدهاره إلا نظر فيه وأطال النظر، وقد تأثر فى شعره بمن عارض من الشعراء ، ولم يحتذ بالشاعر منهم إلا فيما تفوق فيه ، هذا إذا عرفنا أن الشعراء الذين عارضهم كانوا من مختلف البيئات والعصور ، وفى هذا مافيه من دلالات مما كان له أكبر الأثر فى شعره .

ولهذا يمكننا أن نقول إن الشاعر بعد أن عاد من منفاه صار أنضج عقلا ، وأوفر تجربة ، وأخصب خيالا، وأكمل شاعرية ، وقد توفرت لشعره الجزالة والمرونة، وحسن الأداء، على الرغم من اتصال هذا الشعر بالأحداث المعاصرة له ووقائع التاريخ ونحن إذا أردنا أن ندل على قدرة شوقى البيانية أعجزنا الاختيار ، ذلك لأن هذه القدرة صفة ثابتة لشعره، وقد ثبت هذا الشعر على مر الزمان ،وأخذ يزداد قوة وقيمة بعد رحيل الشاعر ، حيث جرى على ألسنة الأجيال، واستشهد الأدباء والدارسون بأبيات كثيرة منه فى مواقف عديدة ، كأنهم لم يجدوا أجود منه أداء وحسن بيان .

يقول الدكتور شوقى ضيف (١):

" وهذه الروعة فى الموسيقى تقترن بحلاوة وعذوبة لا تعرف فى عصرنا لغير شوقى ، وربما كانت تلك آيته الكبرى فى صناعته، فأنت مهما اختلفت معه فى تقدير شعره لاتسمعه حتى ترهف له أذنك ، وحتى تشعر كأنما يحدث فيها ثقوبا " .

ولعنا نستطيع تبيان هذه القدرة البيانية بكثير من الأمثلة فى شعره . ويكفى أن نقرأ أبيات قصائده : " صدى الحرب " ، " بعد المنفى " ، " خلافة الإسلام " ، " شهيد الحق " ، " توت عنخ آمون"، " نكبة دمشق " لنرى مافيها من ديباجة مشرقة ، وأسلوب متين ، وقافية محكمة ، وموسيقى جذابة ، ومعان لاتعسف فيها ولا تكلف ، تدل على فكر ثاقب ، وعقل مثقف ناضج.

ولا تنحصر جودة الصياغة عند شوقى فى مواقف البطولة أو مواقف الاعتزاز وما إلى ذلك مما يثير حماسة النفس ، بل نجدها فى غير ذلك من شعر المواقف والمناسبات التى لاتقتضى حماسة واعتزازا. ونحن لو فتشنا فى ديوانه لوجدنا وفرة من هذه النماذج ، وكلها تؤكد أن جودة الصياغة نتيجة طبيعية لعبقرية شوقى ونبوغه، عبقرية شعرية تجعله يأتى بالمعانى الرائعة الوقع فى الأسماع والقلوب .

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ص ٤٤.

ويجدر بنا أن نؤكد على حقيقة مهمة تنفعنا فى هذا المقام ، وهى أن الشاعر ينفرد فى كثير من شعر المناسبات بطريقة لاتمت إلى طرائق السابقين ، فهو يستهل موضوعه فى القصيدة من غير تمهيد غالبا ، وذلك بكشف خواطر طارئة تموج بها نفسه ، وهذه الخواطر تتصل بأحداث هامة تشغل باله وبال الناس وقت نظم القصيدة، وكأنه متحفز متهيئ لأن يشير إلى أمر هام يشغله ويشغل خواطر الناس ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على تخيره للمطالع المناسبة التى تختلب أفئدة السامعين وتملأ خواطرهم .

ومن المطالع التى تمثل ذلك مطلع قصيدته فى الزعيم سعد زغلول حين نجا من رصاصة أطلقت عليه واستقرت فى صدره ، الأمر الذى فوت على المعتدى الفرصة ، ووقى البلاد من فتنة محققة .

يقول (١):

نجا وتماثل ربانها ..... ودق البشائر ركبانها

ومطلع قصيدته فى إلغاء الخلافة (٢) :

عادت أغانى العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح

---

(١) الشوقيات : ٢٦٢/١.

(٢) الشوقيات : ١٠٥/١.

ومن ينظر مطلع قصيدته " شهيد الحق " [١]:

إلام الخلف بينكم ؟ إلامـــا .... وهذى الضجة الكبرى علاما ؟

وفيم يكيد بعضكم لبعــض .... وتبدون العداوة والخصامــــا ؟

يراه يستهل القصيدة بإعلان خواطره الطارئة ومايشغل باله وبال الناس وقت نظم القصيدة ، فهو يتحدث عن الصراع الحزبى الذي يهدد مستقبل البلاد ،ويعرضها لأن تكون فريسة للمحتمل الأجنبى .

ومن يقرأ قصيدته فى رثاء حافظ إبراهيم والتى مطلعها [٢]:

قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يامنصف الموتى من الأحيـــاء

يرى القصيدة فيها مافيها من بيان ناصع، ومعان دقيقة ، ثم يرى براعة الاستهلال التى تجعل الكلام قويا يسترعى الأسماع ، فالمطلع بالغ الجودة والإتقان ، هذا فضلا عما فيه من جرس موسيقى.

والحق أن ألفاظ شوقى فى المطلع صورة لنفسه وحياته، وأغلب الظن أن لطبيعة الشاعر الهادئة الوديعة وضلوعه بثقافة واسعة، وتوفره على الحياة الناعمة المترفة ، ومظاهر المدنية الحديثة- أكبر الأثر فيما نرى من ألفاظه الصافية العذبة .

---

(١) الشوقيات : ٢٢١/١.

(٢) الشوقيات : ٢٢/٣.

وشئ آخر نلحظه في كثير من مطالع شوقى . إنه يضمنها غالبا كثيرا من المعانى المناسبة للغرض الأساسى فى القصيدة ، وفى تصورى أن رغبته فى اختلاب أفئدة السامعين هى التى تجعله يجمع فى مطلع القصيدة كل ماتفرق فيها من معانى .

ومن الأمثلة على ذلك بجانب الأمثلة التى مرت قوله فى رثاء الشاعر إسماعيل صبرى [١]:

أجل وإن طال الزمان موافى ... أخلى يديك من الخليل الوافى

وقوله فى تحية الأزهر سنة ١٩٢٤ [٢] :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا

وقوله فى رثاء الزعيم سعد زغلول [٣]:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها

ومن يتأمل البيت يجده يحمل كل معانى الرثاء ، ولننظر إلي (الشمس) و (ضحاها) ، والتورية الجميلة فى كلمة (الشرق).

ومن ذلك مطلع رثائه فى عمر المختار [٤]:

ركزوا رفاتك فى الرمال لـواء ... يستنهض الوادى صباح مساء

ياويحهم! نصبوا منارا من دم ... توحى إلى جيل الغد البغضاء

---

(١) الشوقيات : ١٠٤/٣ .

(٢) الشوقيات : ١٥١/١.

(٣) الشوقيات : ١٧٤/٣.

(٤) الشوقيات : ١٧/٣.

وانتهز فرصة الكلام على الأداء الشعرى لأنوه ببراعة شوقى فى التشبيه، ومقدرته عليه فى يسر وسهولة ، فقد كانت لديه مقدرة عجيبة على الإتيان بتشبيهات متوالية محكمة قوية .

وقد أتاحت بحبوحة النعمة التى كان شوقى يرتع فيها، على أن يحلق خياله عاليا فى سماء الفن ، مما جعل شعره أكثر عمقا وأشد خصبا، وهذا هو أكبر فارق بين شعر حافظ وشعر شوقى ، فشعر الأول واضح قريب إلى الأفهام ، وقد عجز خياله عن مطاولة خيال شوقى .

يقول الدكتور أحمد زكى أبو شادى عن حافظ [١]:
" كانت تنقصه الوثبات القوية الأخاذة ، والخيال الرائع المحبوب ، وقدرة التصور الفني المتجلية فى شعر شوقى مهما يكن من استجابة حافظ لعواطف الشعب استجابة فطرية ".

ثالثا : موسيقى شعر شوقى الرنانة :

اهتم شوقى فى شعره بالوجدان الجماعى ، وشارك بفنه فى قضايا قومه الوطنية والسياسية والإنسانية ، وقد تحدد المصطلح الشعرى عنده على هذا الأساس .

ومن هنا فهو فى حاجة إلى موسيقى خاصة ناجحة ، لأن التأثير فى الوجدان الجماعى يتطلب .

---

(١) مجلة أبولو عدد ديسمبر سنة ١٩٣٢ ص ٥٠٠ .

موسيقى خاصة مجلجلة ، واضحة الإيقاع وضوحا يفوق في الأهمية انسجام النغمات؛ لأن تلك الموسيقى " تساعد كثيرا على تحقيق غاية الشعر من التأثير وإثارة العواطف والانفعالات في نفس المتلقي [١]".

والحق أن الشاعر كان يتمتع بفطرة موسيقية رائعة، وكان يعرف أسرار الصوت ومايتصل به من أنغام وألحان ، وربما تكون موسيقاه في صفائها وعذوبتها أروع خصاله الفنية .

وبسبب من موسيقى شعره الرنانة نحن نجده أطوع للغناء من شعر أقرانه، وقد تيسر للمغنين والملحنين أن يضعوا له الألحان المتنوعة يتغنون بها في كل مكان ، وله قصائد مشهورة يتغنى بها أو ببعض أبياتها المغنون [٢].

ولايفوتنا أن نقول إن الشاعر كان معجبا إلى حد كبير بفحول شعراء العربية الممتازين في موسيقاهم ، وقد تعقبهم ، واندفع يعيش مع أشعارهم ، يقرأها ويعارضها ، ويراها جديرة بأن تلهمه وتوحي إليه .

---

(١) قضايا النقد الأدبي للدكتور بدوي طبانة ص ١٩٧، ١٩٨. دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

(٢) انظر الشوقيات المجهولة : ٢/٢٩٩ ومابعدها .

يقول الدكتور شوقى ضيف [١]:

" وكان شوقى موكلا بشعراء العربية الممتازين فى موسيقاهم جميعا ، فهو يتعقبهم ، يريد أن يشبع أذنه من أصواتهم وما استخرجوه من ألحان واعتصروه من أنغام ، فيوما مع البحترى ، ويوما مع ابن الرومى ، ويوما مع مهيار أو الشريف الرضى . ويخيل إلى الإنسان أنه لم يبق لحن و لم تبق قصيدة فى العربية إلا وشد رحاله ليستمع إليها ، ولايكتفى بذلك غالبا ، بل مايزال يشحذ خياله وقيثارته ليعارض هذا اللحن أو تلك القصيدة . ومن أجل ذلك كثرت المعارضات فى شوقياته ، فتارة يعارض ابن زيدون فى نونيته، وتارة يعارض البوصيرى فى بردته ، وتارة يعارض الحصرى فى داليته " .

فشعر شوقى إذن يستمد جماله من روعة موسيقاه ، وفيه أصبحت الموسيقى أداة للتعبير تفوق فى أهميتها اللفظ والصورة ، وأرانى فى غير حاجة إلى أن أسوق الأمثلة على ذلك ، فالشاعر يعرف أسرار مهنته معرفة دقيقة، وكان محصوله الضخم فى اللغة يعينه على أن يولى الناحية الموسيقية اهتماما شديدا.

وبسبب من فنية شوقى الموسيقية نحن نراه يربط بين الموضوع الشعرى والرنات، وله فى ذلك باع طويل ، وإن كان الأستاذ عباس حسن قد رأى - ونحن نتحفظ فى قبول هذا الرأى - أن النصيب الأوفى الذى ناله شوقى من ثقافة عصره وحضارته ، ووسائل عيشه، قد أفسد عليه الأمر ، مما جعل الرقة تلازم شعره فى المواطن كلها [٢].

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ص ٧٤ .

(٢) المتنبى وشوقى ص ١٨٣ ، ١٨٤.

وإذا أردنا أن نتذوق جمال الموسيقى المعبرة فى شعر شوقى فلنقرأ أشعاره التى توفر عليها آخر حياته ، إننا نرى موسيقى الأداء قد امتزجت فى نفسه بموسيقى الإحساس وتألف من إيقاعهما فن سحرى جميل ، والحق أن هذه الطبيعة الموسيقية فى شعره تسندها وتشد من أزرها براعته فى التصوير ، فلقد عرف كيف يفيد من التشبيهات والاستعارات .

لننظر قصائده التى عمد فيها إلى التاريخ ، أو لننظر قصائده التى استنهض بها الإسلام والعروبة ، إننا نرى موسيقى رائعة، موسيقى يسندها استخدام الشاعر للتصوير استخداما بارعا ، كما يسندها الإحساس المرهف والعاطفة الرقيقة .

ومن ينظر قصيدته التى قالها فى حادث مصاب الزعيم سعد زغلول ، يجدها قصيدة عذبة الموسيقى ، غنائية الألفاظ، حلوة الجرس ، وهى فضلا عن ذلك كله آية فنية رائعة بما توفر لها من عنصر موسيقى يتلاءم كل التلاؤم مع الصور البيانية .

إن من يستمع للقصيدة يرى السفينة تسير قدما دون أدنى اضطراب ، ويسمع كذلك تلاطم الأمواج لها [١]:

نجا وتماثل ربانهـــــــــا .... ودق البشائر ركبانهـــا

وهلل فى الجو قيدومهـــــا ... وكبر فى الماء سكانهـــا

تحول عنها الأذى وانثنـــــى ... عباب الخطوب وطوفانها

نجا (نوحها) من يد المعتدى ... وضل المقاتل عدوانهـــا

---

(١) الشوقيات : ١/٢٦٢.

ولننظر قصيدته التى مطلعها (١):

إلام الخلف بينكم ؟ إلا ما ... وهذى الضجة الكبرى علاما ؟

إننا نرى بعد قراءة القصيدة أن الشاعر نجح تماما فى المواءمة بين اللفظ والمعنى والانفعال، وأن الروح السارية فى القصيدة ، أو الحالة النفسية التى انتظمتها قد وجهته إلى اختيار نوع من الألفاظ والتراكيب يحقق هذا النجاح والانسجام ، كما أنه يستعمل كثيرا من أساليب الاستفهام التى توحى بالحيرة التى عاش فى ظلها وعانى منها، ونراه كذلك يكثر من ترداد ألفاظ تعبر عن الثورة التى تجتاح إحساسه.

ولننظر أخيرا إلى مرثاته التى نظمها عام ١٩٢٧ فى الزعيم سعد زغلول والتى مطلعها (٢).

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها.

إننا نرى مطلعا موسيقيا بديع التصوير ، وقد اعتمد الشاعر على خياله المحلق ، وارتفع إلى المعانى المتوهجة ، واعتصر من الألفاظ والتراكيب خير مافيها من ألحان ، وأخذ يصب كل ذلك فى قوالب موسيقية تهز المشاعر وتحرك النفوس ، بما فيها من روعة وجلال.

---

(١) الشوقيات : ١/٢٢١.

(٢) الشوقيات : ٣/١٧٤.

هذه كلمة موجزة عن موسيقى شعر شوقى الرنانة، لا أعتقد أنها تفيه حقه ، أو أنها تعمقت فى دراسة أثر هذه الموسيقى ، فالحق أن للموسيقى فى شعر شوقى حديثا طويلا، وحسبنا ماذكرناه من نماذج توضح كيف نجح الشاعر فى المواءمة بين ألفاظه وانفعالاته ومعانيه ، وكيف استطاع من خلال ذلك كله أن يعطينا نغما موسيقيا رائعا.

الفصل الثالث

غيرة شوقى على شعره

لقد أحب شوقى نفسه، وأحب الثناء عليها، وكان يتطلع إلى أن يعرف الناس قدره وأن يولوه ماهو خليق به من التقدير والإعظام.

يفتخر بنفسه فى مرثيته لوالدته فيقول : (١)

لئن فات ما أملته من مواكب ... فدونك هذا الحشد والموكب الضخما !
رثيت به ذات التقى ونظمته ... لعنصره الأزكى وجوهره الأسمى
نمتك مناصيب العلا ونميتها ... فلم تلحقى بنتا ولم تسبقى أما
وكنت إذا هذى السماء تخايلت ... تواضعت ، لكن بعد مافتها نجما
أتيت به لم ينظم الشعر مثله ... وجئت لأخلاق الكرام به نظما
ولو نهضت عنه السماء ، ومخضت ... به الأرض كان المزن والتبر والكرما !

ويضمن مرثيته فى شاعر النيل حافظ إبراهيم أبياتا تصرح بتيهه بنفسه وافتخاره بها ، فيقول (٢) :

بالأمس قد حليتنى بقصيدة ... غراء تحفظ كاليد البيضاء
غيظ الحسود لها وقمت بشكرها ... وكما علمت مودتى ووفائى
فى محفل بشرت آمالى به .... لما رفعت إلى السماء لوائى

والحق أن الشاعر كان غيورا على شعره ، يكره النقد وينفر منه ، وليس أدل على ذلك مماكتبه الدكتور هيكل فى ذكرياته مع شوقى من أنه كان يضيق بالنقد ولايطيقه (٣).

---

(١) الشوقيات : ١٤٩/٣.
(٢) الشوقيات : ٢٣/٣.
(٣) مجلة الهلال أكتوبر سنة ١٩٨٢م ص ١٩.

ويبدو أن هذه كانت طبيعة شوقى ، ولذلك دفعته هذه الغيرة إلى أن يوجه حياته على النحو الذى يجعل شاعريته مصقولة دائما [١] ، فحرص بالغ الحرص على مراجعة شعره ، وإعادة النظر فيه بعد إتمامه ، ولذلك جاء جميل اللفظ ، حسن الصياغة ، رائع الموسيقى ، مما يدل علي أن الشاعر يتمتع بشاعرية مشعة وقريحة وقادة . ولعل حرص شوقى على هذه الصورة الجميلة هو الذى أغرى به ناقديه ، ودفعهم إلى الطعن فيه واتهامه بالتقليد والجمود .

وكان شوقى يشعر بعبقريته ، ويحس بجلال قدره، وكان يشعر فى نفسه بأنه لايقل عن فحول شعراء العربية موهبة وفنا، ولذلك كان كلفا بمعارضة الفحول ، كما صنع مع البحترى ، والبوصيرى ، وابن زيدون .

وإذا قلبنا صفحات ديوانه وجدنا تيهه بنفسه ، وإدلاله بشاعريته ، وذكره للحاقدين والحاسدين ، وتحديه للشعراء الذين أحرزوا تفوقا وشهرة فائقة ، وغير هذا وذاك مما يرضى طبع الغيرة فيه .

فلقد أحس بأنه واحد فى دولة الشعر يقول [٢]:

ياواحد الإسلام غير مدافع .... أنا فى زمانك واحد الأشعار

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) الشوقيات : ٣٩/٢.

ويقول فى قصيدته التى هنأ بها الخليفة بالنجاة[١]:

ملكت - أمير المؤمنين - ابن هانئ ... بفضل له الألباب ممتلكـــات

ومازلت حسان المقام ولم تــــزل ... تلينى وتسرى منك إلى النفحـات

زهدت الذى فى راحتيك وشاقنــى ... جوائز عند الله مبتغيـــات

ومن كان مثلى أحمد الوقت لم تجــز ...عليه- ولو من مثلك - الصدقـات

ولى درر الأخلاق فى المدح والهـوى... وللمتنبى درة ، وحصــــاة

إنه يشبه نفسه بالمتنبى ، ليس هذا فحسب بل إنه يقول إذا كان للمتنبى الجيد والردئ من الشعر فله الجيد دائما.

وقد صارت دولة الشعر إليه ، يقول فى رثائه لجورجى زيدان[٢]:

(زيدان) إنى مع الدنيا كعهدك لى .. رضى الصديق ، مقيل الحاسد القالى

لى دولة الشعر دون العصر وائلـة ... مفاخرى حكمى فيها وأمثالـــى

ويقول [٣]:

إنا إن عجزت فإن فى .... بردى أشعر من (جرير)

وقريضة يزرى بزهير [٤]:

يزرى قريضى زهيرا حين أمدحه ... ولا يقاس إلى جودى لدى هرم

---

(١) الشوقيات : ٩٧/١ .

(٢) الشوقيات : ١٢٦/٣.

(٣) الشوقيات : ١٢١/١.

(٤) الشوقيات : ١٩٥/١.

وليس فى الدولة من نظرائه كثر [١]:

إيه (فروق) الحسن نجوى هائم ... يسمو إليك بجده وبخالـــه
أخرجت للعرب الفصاح بيانـــه .... قبسا يضئ الشرق مثل كما له
لم تكثر (الحمراء) من نظرائـه ... نسلا ولا (بغداد) من أمثالـه

وهو يغار أن يصل إلى درجته فى العبقرية والمجد أحد ، حتى ولو كان أقرب الناس إليه ، يقول [٢]:

رزقت صاحب عهـده ... وتم لى النسل بعدى
هم يحسدونى عليه .... ويغبطونى بسعدى
ولا أرانى ونجلـــى... سنلتقى عند مجـد
وسوف يعلم بيتـــى ... أنى أنا النسل وحدى
فيا على لاتلمنـــى .... فما احتقارك قصدى

وفى اعتقادنا أن طابع الغيرة الذى كان عند شوقى هو الذى وجهه إلى تحدى الشعراء المشهورين كوسيلة لإثبات التفوق والمقدرة الفنية ، والتطلع إلى مكانة الفحول من شعراء العصر العباسى [٣].

* * * * * *

ذلك رأيى فى العوامل التى أكدت تفوق الفن الشعرى عند شوقى ، ومايتصل بها والتى جعلته يضيف إلى التراث والشعـر

---

(١) الشوقيات : ١/١٧١، ١٧٢.
(٢) الشوقيات : ٩٦/٤ .
(٣) انظر المعارضة فى شعر شوقى ، للدكتور إبراهيم عوضين ص ١٣.

إضافات بالغة الأهمية ، ويوسع دائرة الشعر الحديث والفن المعاصر، وما أظن باحثا منصفا يقرأ هذه العوامل ثم يتردد في الحكم على شوقى فى هذا الميدان .

وزاد اطمئنانى لهذا الرأى أنى مسبوق به من كثير من أعلام الأدب والنقد، فقد أجمع النقاد على وصف شوقى بأنه أعظم شاعر فى العربية بعد أبى الطيب المتنبى[١]، وعده بعض مؤرخى الأدب العربى من رجال الطبقة الأولى بين شعراء العربية ، وعده البعض الآخر أعظم شاعر ظهر بين العرب فى جميع العصور [٢].

وهذه مجموعة من آراء الأدباء تقوى ماذهبنا إليه :

(١) يروى الأستاذ لطفى السيد فى حديث للدكتور طه حسين قوله [٣]:

" كنت ألقى (حافظ) أول عهده بالشعر ، وكان يسمعنى كثيرا من شعره فلا يعجبنى ، فقلت له ذات يوم : أرح نفسك من هذا العناء فلم يخلقك الله شاعرا، ولكنه لم يقبل نصحى ، وحسنا فعل فما زال يكدح حتى أرغم الشعر على أن يعنو له ويصبح شاعرا ، وكنت شديد الإعجاب بشعر شوقى أقرؤه فى لذة تكاد تشبه الفتنة وأثنى عليه كلما لقيته " .

---

(١) أضواء على حياة الأدباء المعاصرين ، للأستاذ أنور الجندى : ٣/٢٢.

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل ، للدكتور عبد الحميد سند الجندى ص ٢١٥، ٢١٦.

(٣) أضواء على حياة الأدباء المعاصرين ، للأستاذ أنور الجندى : ٣/٢١.

(٢) وكان شكيب أرسلان يعترف لشوقى بإمارة الشعر ، وقد بايعه بها قبل أن يحمل شوقى لقب الإمارة وقبل أن يبايعه الشعراء العرب بها (١).

وهو القائل فى رثاء شوقى (٢):

هذا أمير الشعر غير مدافـع ... فى الشرق أجمع مذفتق لهاته

لو كان وحى بعد وحى محمد ... لانشق ذاك الوحى عن آياته

على أن كتابه (شوقى أو صداقة أربعين سنة) يمثل خط الدفاع الأول عن شوقى وشعره، فقد دافع فيه عن مدائح شوقي للملوك ، ومما قرره شكيب فى الكتاب يتبين لنا أنه من أكابر العارفين بمكانة شوقى ، ولعل أعظم ماقرره شكيب فى كتابه هو تلك الموازنة التى صنعـــها بـين المتنبى وشوقى ، وكأنه يريد أن يخرج منها بنتيجة وهى أن متنبى العصر الحديث هو الشاعر أحمد شوقى.

(٣) ويقول عنه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى (٣):

" ... إنه ولاريب أقدر شعراء عصره ، ولم يكن ينازعه في زعامة الشعر أحد من أنداده ومعاصريه " .

---

(١) شخصيات فى حياة شوقى ، للأستاذ عبد المنعم شميس ص ٦٤ ، ٦٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٤ .

(٣) شعراء الوطنية فى مصر ص ٥٤ ، ٥٥ . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

ويقول [١]:

"على أن لقب (زعيم الشعراء) لايكفى للتعريف به والتنويه بمكانته، وخير لقب له أن يسمى (شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه فى هذا الكتاب (شاعر الوطنية الأكبر) ".

(٤) كذلك عرف قدره الشاعر حافظ إبراهيم ، ومع أنهما كانا كفرسى رهان ، وكانا مختلفين أشد الاختلاف، وظلا يتصارعان طيلة حياتهما ، مع هذا كله أدرك حافظ إبراهيم قوة شوقى وعظمته، فبايعه بإمارة الشعر فى مهرجان ٢٩ أبريل عام ١٩٢٧م قائلا [٢]:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

وحكى أن بعض الأدباء " حاول أن ينال من شاعرية شوقى أمام حافظ ، فاحتد حافظ عليه وقال : كلا ... لا تكونوا خبثاء أو جهلاء ، والله إن شوقى لشاعر ، وإنه لأشعر منى ...وماكفرت بهذه الحقيقة فى شبابى وكهولتى ، ولا أريد أن أكفر بها فى شيخوختى، وأودأن يعرفها الناس بعد مماتى " [٣].

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٥.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم : ١٢٨/١.

(٣) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٩١ . وانظر كذلك أضواء على حياة الأدباء المعاصرين ، للأستاذ أنور الجندى : ٢٥/٣.

(٥) ويقول الدكتور زكى مبارك عن شوقى [١]:

" لم أسئ يوما إلى شوقى الشاعر والحمد لله ، وإن كنت بعت حظى مع شوقى الصديق ، وقد عانيت فى سبيل إعجابى بشعره نكبات عديدة ، فإن ناسا كانوا يودون لو هدموه ، ومن أولئك الناس رجال احترمهم وأرى فيهم مخايل العبقرية، ولكنهم أولعوا بالنيل من ذلك الرجل ، وسلكوا إلى هدمه شتى الشعاب .

وكان الرجل عظيم الشاعرية حقا ، وكان أصلب من أن تنال منه معاول الهادمين ، فعادوا يتمسحون بأعتاب الخلق والوطنية ، وكانت لهم فى ذلك جولات رسم خطواتها الشيطان ".

(٦) ويقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى [٢]:

" كان شوقى أنضج شعراء طبقته ، وأدقهم تعبيرا ، وأبدعهم بيانا " .

ويقول [٣]:

" ولقد كان إلى هذا شديد التمكن من نفسه ، حتى لايرى فى الدنيا شاعرا يباريه ، أو يتعلق بغباره "...

---

(١) شخصيات فى حياة شوقى ، للأستاذ عبد المنعم شميس ص ١٠٩.

(٢) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ص ٨٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٨٨.

ويقول [١]:

" إن بعض النقاد ليتخطى به القرون فيصله بأعلام الشعراء فى أزكى عصور العربية وأنضرها بيانا، ولقد تصرف شوقى فى كل فن ، وجال فى كل غرض ، وأصاب من كل مطلب ، فبذ وبرع ، وعارض متقدمى الشعراء ومتأخريهم ، فماقصر ولا تخلف ".

(٧) وهناك مجموعة من الآراء ذكرها الأستاذ أنور الجندى فى كتابه " أضواء على حياة الأدباء المعاصرين " [٢] ، وكلها تشير إلى عبقرية شوقي فى شعره ، وقد وقف كل صاحب رأى من هذه الآراء فى الحكم على شوقى إلى المقاييس النقدية المتعارفة .

وإلى هنا نرانا قد انتهينا من الإجابة عن الأسباب التى كانت وراد تفوق شوقى فى مناسباته ، ومن ذكر خلاصة موجزة لآراء كثير من الأدباء والدارسين التى تعرضت لشوقي ولآثاره الفنية ، وهى فى مجموعها تشيد بفن شوقى ، وتعلى من قيمته الأدبية ، وتتخذ له مكان الصدارة بين شعرائنا الذين حملوا راية الشعر بعد البارودى ، ونهضوا بإحيائه طوال الثلث الأول من القرن العشرين.

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٩ .

(٢) انظر الكتاب : ٣/ ٢١- ٢٦ .

الخاتمة

وبعد فهذا رأيى فى تلك القضية التى ثار حولها جدل عنيف، ودارت فيها معارك طاحنة .

وأغلب الظن أن الباعث على الجدل وإنكار أفضلية شوقى إنما يرجع إلى عدم فهم شعره ، ووظيفته ومراميه على الوجه الحق، فبعض الناقمين على شعره من الأدباء والنقاد لم يلتفتوا إلى رسالة الشعر عنده، وراحوا يتعجلون نقده ، والغض من شأن رسالته ، وقد حالت هذه الأحكام العاجلة بين الدارسين ونصوص شوقى الأصيلة.

يضاف إلى ذلك أن أغلب الذين تحاملوا على الشاعر إنما تأثروا بأهوائهم الذاتية، وبمرور الأيام جاء نقاد آخرون ، ساروا على نفس الدرب ، وتسرعوا فى حكمهم علي شعره وإن تباينوا بعض الشئ ، وبقيت هذه القضية تتردد دون حسم إلى وقتنا الحاضر.

وفى اعتقادنا أن الدارس لشعر شوقي ينبغي له أن يقف علي مفهوم الشعر عنده، ونظرته إلى الحياة التى يعيشها، وموقفه منها ، وكيف يحسها ويراها ، فعدم فهم مثل هذه الأمور هو المسئول الأول عن توريط بعض النقاد فى أحكام لايؤيدها الواقع ولاتستند إلى دليل، وتفرع عن هذا أن حكم فريق لشوقى بالسبق ، وحكم عليه آخرون بالضعف ، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، إذ اختلف الحكم

على أبيات لشوقى بعينها، فأشاد بها ناقد ، وقلل من شأنها ناقد آخر ، والأبيات فى الحالتين واحدة.

وقد تأكد بعد النظر فى شعر شوقى أن هناك بواعث عديدة أدت إلى انخراطه فى النظم فى المناسبات ، وأن طبيعة العصر كانت مهيئة لظهور مثل هذا اللون من الشعر ، وتأكد لنا كذلك أن اتجاه شعر المناسبات عند شوقى يخالف فى كثير اتجاهه عند غيره، لأسباب كثيرة منها مايتعلق بظروف كل شاعر ، وإحساسه وميوله ، ووعيه، وثقافته ، وتأثراته، ومنها مايتعلق بالموضوع الذى ينظم فيه الشاعر.

كذلك تأكد لنا أن نتاج شوقى الشعرى بصفة عامة ، ونتاجه فى المناسبات بصفة خاصة ، ينقسم إلى طورين مختلفين بالنسبة لمراحل تطوره الفنى ، بدأ الطور الثانى منهما بعد أن عاد من منفاه فى نهاية الحرب العالمية الأولى .

وفى خضم المحاولات النقدية التى قام بها المجددون ضد شعر المناسبات، والتى تهدف إلى الطعن فى شعر شوقى ، ظهر العقاد ليقوم بالدور الكبير فى شن الحملات العنيفة ، وقد استخلصنا ماكتبه فى ذلك ، وظهر لنا من ثنايا دراستنا لآرائه النقدية أنها متممة لمنهجه النفسى الذى ينتهجه فى دراسة الشعراء وتصوير شخصياتهم.

على أننا قد ناقشنا آراء العقاد ، ورجحنا أنه قد تغالى فى حكمه على شوقى وعلى مقدرته الفنية ، يؤكد ذلك أنه نفسه قد

رجع عن بعض ماسبق أن أبداه فى هذا الشأن، وأيدنا ذلك بما انتهينا إليه من تطبيق على شعر شوقى ، والنتيجة التى خلصنا إليها من هذا كله أن ملامح شوقى الشخصية تظهر فى شعره ، وأنه يتمتع بعبقرية فنية تظهر شخصيته وتجعله معروفا من ديوانه ، سواء تحدث عن نفسه صراحة ، أو اختفت نفسه وراء خواطر صادقة تعلن عن صاحبها ، وتبين عن خصائصه وآرائه ومشاعره وذات نفسه.

ومن خلال دراستنا لشعر المناسبات بين التجديد والتقليد ، عرفنا مظاهر تفوق شوقى فى هذا الشعر ، وقسمناها أنواعا ، أولها: عمق العاطفة وغزارة الشعور ، وهذه الصفة هى التى نتحراها حين نبحث عن صدق الشعور الذى يعبر عنه الشاعر ، وصدور ذلك الشعور منه عن مزاج أصيل لاتكلف فيه ، أو بمعني آخر دلالة شعر الشاعر على شخصيته . وثانيها : التعمق فى استيعاب الحوادث التاريخية ، وثالثها : القدرة على استخلاص الحكم البالغة والمواعظ النافعة.

وانتهينا من هذا كله إلى أن شعر شوقى فى المناسبات يرقى - بسبب من هذه المظاهر - إلى درجة الشعر الذى هو مظهر من مظاهر الشعور النفسى .

وقد تتبعنا شعر شوقى التقليدى فى المناسبات ، وبينا أن هذا الشعر ليس دليلا على شخصية شوقي ولا على طبعه ، وكل مافيه من ميزات تتلخص فى الصقل والمهارة وجودة الصياغة وما إليها،

وبينا كذلك أن هذا الشعر - مع قلته - كان المدخل الذي ساق النقاد إلى الطعن فى شاعرية شوقى ، واتهامه بأنه لاينشد شعره بشعوره ومزاجه ،وأنه لم تظهر شخصيته فى شعره ظهورا مباشرا.

وقد ظهر من دراستنا لأسباب تفوق شوقى فى شعر المناسبات أنها تقوم أول ماتقوم على تمثيله لروح العصر الذي يعيش فيه ، وخروج هذا الشعر مرآة صادقة تتجلى فيها صورة ناطقة لحياته ، وحين يبلغ شوقى فى شعر المناسبات هذا المبلغ ، فتلك منه آية التعبير الصادق، أو تلك آية الشاعرية والملكة الفنية .

وقد حرصنا على أن نبين أن فنية شوقى تقوم على موهبته الشعرية ، وأنه يتمتع بعبقرية خلاقة تجعله يتطور بشعر المناسبات، ويثبت فيه إبداعا وخلقا، وأن الأصالة عنده تعتمد على طبعة القويم الذى ترفده قريحته ، كما تعتمد على أدائه الشعرى المتميز ، وعلى موسيقى شعره الرنانة، تلك التى تحدث الأثر الذى يهدف إليه الشاعر.

ورأينا كذلك أن اعتداد شوقى بشخصيته ، وغيرته على شعره، كان له أكبر الأثر فى تفوقه فى شعر المناسبات ، وفى اتجاهه إلى الأصالة والصدق فيه ، وبذلك عبر عن نفسه، وجاء تعبيره موافقا لطبعه لاتكلف فيه ولا اختلاق .

والله أرجو أن أكون قد وفقت إلى بعض الصواب، وهو سبحانه وتعالى الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

أهم المراجع والمصادر

أولا : الكتب :

- أبى شوقى ، للأستاذ حسين شوقى ، مطبعة مصر ١٩٤٧م.
- اتجاهات وآراء فى النقد الحديث ، للدكتور محمد نايل ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٧١م.
- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، للدكتور محمد محمد حسين :
  * الجزء الأول ، المطبعة النموذجية ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر للدكتور عبد القادر القط، نشر مكتبة الآداب بالمنيرة ١٩٧٨م.
- أحمد شوقى شاعر الوطنية ، للأستاذ أحمد زكى عبد الحليم، المكتبة الناصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م.
- أدب السياسة فى العصر الأموى، للدكتور أحمد محمد الحوفى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- الأدب العربى فى الجاهلية والإسلام ، للأستاذ عمر كحالة ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.
- الأدب العربى المعاصر فى مصر ، للدكتور شوقى ضيف ، مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٦م.

- الأدب المقارن ، للدكتور محمد غنيمى هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.
- الأديب والالتزام ، للدكتور نورى حمودى القيسى ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.
- أضواء علي حياة الأدباء المعاصرين ، للأستاذ أنور الجندى :
  * الجزء الثالث . دار الأعلام للطبع والنشر القاهرة ١٩٥٥م.
- أعلام الجيل الأول من شعراء العربية فى القرن العشرين ، للأستاذ أنيس المقدسى ، مطابع التجارة والصناعة ، بيروت ١٩٧١-١٩٧٢م.
- أعلام الشعر العربى الحديث ، للدكتور محمد مندور ، والأستاذ عبد العزيز الدسوقى ، والأستاذ أديب مرورة ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- الأغانى ، للأصبهانى ، إشراف وتحقيق الأستاذ إبراهيم الإبيارى :
  * الأجزاء : ٤، ٥ طبعة دار الشعب ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
- الالتزام فى الشعر العربى ، للدكتور أحمد أبو حاقة . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.
- البيان والتبيين ، للجاحظ :
  * الجزء الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨م.

- تاريخ آداب اللغة العربية ، للأستاذ جورجى زيدان ، تعليق الدكتور شوقى ضيف :
  * الجزء الأول ، طبعة دار الهلال ، القاهرة .
- تاريخ الأدب العربى ، للدكتور شوقى ضيف :
  * (العصر الإسلامى) دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة.
  * (العصر العباسى الأول) دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة .
  * (العصر العباسى الثانى) دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
- تاريخ الشعر العربى ، للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى :
  * الجزء الأول . دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- التجديد فى الأدب المصرى الحديث ، للأستاذ عبد الوهاب حموده ، دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى .
- التطور والتجديد فى الشعر الأموى ، للدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٧(مكتبة الدراسات الأدبية).
- ثورة الأدب للدكتور محمد حسين هيكل ، القاهرة ١٩٤٨م.
- ثورة سنة ١٩١٩ للأستاذ عبد الرحمن الرافعى :
  * الجزء الثانى . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥م.

- حافظ إبراهيم ، بقلم زكى مبارك ، إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م (المكتبة الثقافية).
- حافظ إبراهيم شاعر النيل ، للدكتور عبد الحميد سند الجندى، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م (مكتبة الدراسات الأدبية).
- حافظ وشوقى ، للدكتور طه حسين ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م.
- حوليات مصر السياسية ، للأستاذ أحمد شفيق :
  * (الحولية الثالثة) مطبعة حوليات مصر ، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م.
- الحيوان للجاحظ ، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون :
  * الجزء الأول . مكتبة ومطبعة مصطفى البابا الحلبى ، الطبعة الثانية (مكتبة الجاحظ).
- خمسة دواوين للعقاد ، عباس محمود العقاد ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م.
- خمسة من شعراء الوطنية :
  * الجزء الأول . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.
- دراسات أدبية ، للأستاذ عمر الدسوقى ، مطبعة الرسالة ، نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية .

- دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الطباعة المحمدية ، نشر مكتبة الأزهر، القاهرة ١٩٧٤م.
- ديوان حافظ ابراهيم ، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب الأساتذة: أحمد أمين ، أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى :
  * الجزء الأول . دار العودة للصحافة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٣٧م.
- ديوان شكرى ، جمع نقولا يوسف ، الاسكندرية ١٩٦٠م.
- الديوان فى الأدب والنقد ، للعقاد والمازنى :
  * (الجزءان) طبعة دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.
- الرثاء للدكتور شوقى ضيف (سلسلة فنون الأدب العربى) الطبعة الثالثة.
- ساعات بين الكتب ، للعقاد ، دار الكتاب العربى ، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.
- شاعر الغزل عمر بن أبى ربيعة ، للعقاد ، القاهرة ١٩٥١م.
- شخصيات فى حياة شوقي ، للأستاذ عبد المنعم شميس ، دار المعارف (سلسلة اقرأ عدد ٤٥٠ أكتوبر ١٩٧٩م).
- شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى ، نشر الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون :
  * (القسم الثانى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، للعقاد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٣م.
- شعراء الوطنية فى مصر، للأستاذ عبد الرحمن الرافعي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦م.
- الشعر المصرى بعد شوقى ، للدكتور محمد مندور .
  * الحلقة الأولى . دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة.
- الشوقيات ، أحمد شوقى :
  * الأجزاء الأربعة ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت .
- الشوقيات المجهولة ، للدكتور محمد صبرى :
  * الجزءان . دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.
- شوقى شاعر العصر الحديث ، للدكتور شوقى ضيف . دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م.
- عباس العقاد ناقدا ، للأستاذ عبد الحي دياب . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.
- العقاد وقضية الشعر ، تأليف : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والأستاذ عامر محمد بحيرى ، والدكتور عبده بدوى ، والأستاذ محمد طاهر الجبلاوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩م.

- العمدة لابن رشيق ، تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد :
  * الجزء الأول . دار الجيل للنشر والتوزيع والطبع ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
- الغربال ، ميخائيل نعيمة . دار صادر بيروت ١٩٦٠م.
- فصول فى الأدب والنقد ، للدكتور طه حسين ، مطابع دار المعارف بمصر .
- فى أعقاب الثورة المصرية ، للأستاذ عبد الرحمن الرافعى :
  * الجزء الأول . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩م.
- في النقد الأدبى ، للدكتور شوقى ضيف . دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة (مكتبة الدراسات لأدبية) .
- قضايا النقد الأدبى ، للدكتور بدوى طبانة . دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.
- قضايا النقد الأدبى الحديث، للدكتور محمد السعدى فرهود ، مطبعة زهران ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م.
- القومية العربية فى الشعر الحديث ، للدكتور أحمد محمد الحوفى ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، نشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م.
- المتنبى وشوقى للأستاذ عباس حسن . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.

- المدخل إلى النقد الأدبى الحديث، للدكتور محمد غنيمى هلال، طبعة عام ١٩٥٨م.
- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، للأستاذ عبد الرحمن الرافعى . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢م.
- مطالعات فى الكتب والحياة ، للعقاد ، القاهرة ١٩٢٤م.
- المعارضة فى شعر شوقى ، للدكتور ابراهيم عوضين . مطبعة السعادة ، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.
- مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ١٩٦٩م.
- النقد الأدبى ، للأستاذ أحمد أمين :
 * الجزء الأول ، مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
- النقد الأدبى الحديث ، للدكتور محمد غنيمي هلال ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة، نشر دار النهضة العربية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.
- وطنية شوقى ، للدكتور أحمد محمد الحوفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة ١٩٧٨م.

ثانيا: الصحف والمجلات :

- أبولو (مجلة) عدد ديسمبر سنة ١٩٣٢م.
- أخباراليوم (صحيفة) عدد ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧م.
- الرسالة (مجلة) عدد ٣٦١ فى ٣ يونيو سنة ١٩٤٠م.
- الشعر (مجلة) مصر، عدد ١٥ يوليو سنة ١٩٧٩م.
- المقتطف (مجلة) فبراير ١٩٥٢م.
- الهلال (مجلة) (جزء خاص للذكرى الخمسين لشوقى وحافظ) اكتوبر ١٩٨٢م.

فهرس الموضوعات

الباب الأول

الباب الثانى

الباب الثالث

****

****

*****

رقم الإيداع فى دار الكتب المصرية

١٩٩١ / ٨٠٥٧

I. S.B. N.

977-00-2209 - 8